أجاثا كريستي

الموعد الدامي

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

الموعد الدامي

رواية بوليسية

1938

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الجزء الأول

الفصل 1

" ألا توافقيننى فى أنها يجب أن تُقتل؟ ".

تردد السؤال فى هواء الليل الساكن، وبدا كما لو أنه ظل معلقاً هناك لدقيقة قبل أن يتلاشى هابطاً فى الظلمة باتجاه البحر الميت.

لبث هيركيول بوارو ساكناً للحظة ويده على مقبض النافذة، ثم أغلقها بإحكام مقطباً جبينه ؛ لكى يحجز أى هواء ليلى مؤذٍ! لقد وصل هيركيول بوارو إلى اقتناع بأن كل هواء خارجى من الأفضل أن يبقى بالخارج، وكان هواء تلك الليلة على الخصوص خطراً على الصحة.

وبعد أن أسدل الستائر تماماً على النافذة وخطا نحو فراشه، ابتسم لنفسه فى سماحة:

" ألا توافقيننى فى أنها يجب أن تقتل؟ ".

كلمات مثيرة للفضول بالنسبة لشخص مثل " هيركيول بوارو "، المخبر السرى، ومن المثير أن تتناهى لأذنيه فى أول ليلة له بالقدس: " بلا خلاف، أينما حللتُ هناك شىء ما يذكرنى بالجرائم! " هكذا غمغم لنفسه.

ظل مبتسماً بينما يتذكر الحكاية التى سمعها ذات مرة عن الروائى " آنتونى ترولوب ". كان " ترولوب " مسافراً عبر المحيط الأطلنطى ذات مرة وسمع اثنين من المسافرين يناقشان أحدث رواياته التى تصدر مسلسلة.

قال أحد الرجلين: " جيدة جداً، لكن عليه أن يقتل تلك المرأة العجوز المرهقة ".

توجه إليهما الروائى بابتسامة عريضة: " أيها السيدان المهذبان، إننى ممتن لكما كل الامتنان! سأذهب وأقتلها على الفور! ".

تساءل " هيركيول بوارو " حول مناسبة الكلمات التى تناهت إلى سمعه. عمل جماعى؟ ربما، كتأليف مسرحية أو كتاب.

فكر، وهو مازال مبتسماً: " قد يتذكر تلك الكلمات يوماً ما، وقد يكون لها معنى خطير ". يستعيد الآن أنه كانت هناك نبرة توتر شديد مثيرة للفضول فى صوت المتحدث ـ شىء كارتعاشة تعرب عن بعض العبء العاطفى الحاد. صوت رجل ـ أم

صبى....

حدّث هيركيول نفسه بينما يطفئ الضوء المجاور لفراشه: " ينبغى أن أعرف ذلك الصوت مرة أخرى.... ".

حدق كل من " ريموند بوينتون " و " كارول بوينتون " فى زرقة الليل، ومرافقهما متكئة على حافة النافذة، ورأساهما متضامان معاً. كرر " ريمون " كلماته السابقة فى توتر: " ألا توافقيننى فى أنها يجب أن تقتل؟ "

تحركت " كارول بوينتون " قليلاً. وقالت بصوت عميق مبحوح: " إنه أمر رهيب... ".

" ليس رهيباً أكثر من هذا! ".

" أحسبُ ذلك.... ".

قال " ريموند " بعنف: " لا يمكن للوضع أن يستمر هكذا ـ لا يمكن.... لابد أن نفعل شيئاً ما.... وما من شىء آخر يمكننا القيام به.... ".

قالت " كارول " ـ لكن صوتها شابه عدم الاقتناع وكانت تعلم هذا: " إذا استطعنا الهرب بطريقة ما ".

جاء صوته خاوياً ويائساً: " لا نستطيع. تعرفين أننا لا نستطيع يا كارول.... ".

اقشعر بدن الفتاة وقالت: " أعلم يا رى. أعلم ".

أطلق ضحكة قصيرة ومفاجئة وذات مرارة.

" سيرمينا الناس بالجنون ـ ليس بمقدورنا حتى أن نخرج ".

قالت كارول ببطء: " لعلنا قد فقدنا عقلنا حقاً! ".

" أجزم بذلك. نعم، أجزم بأننا كذلك. على أية حال، قريباً سنكون... أحسب أن بعض الناس سيقولون إننا بالفعل كذلك، فها نحن نخطط فى هدوء، وبأعصاب باردة، لقتل أمناً! ".

قالت كارول بحدة: " إنها ليست أمنا! ".

" كلا، هذا صحيح ".

ساد الصمت لبرهة ثم قال ريموند بصوت هادئ يُقر واقع الحال: " هل توافقين يا كارول؟ ".

أجابته كارول فى ثبات عزم: " أظن أنها لابد أن تموت، نعم... ".

ثم اندفعت فجأة قائلة: " إنها مخبولة.... إننى واثقة تماماً من أنها مخبولة.... إنها ـ إنها لا يمكنها أن تعذبنا كما تفعل إذا لم تكن مخبولة. ظللنا لسنوات نقول: من المستحيل لهذا أن يستمر! لكنه قد استمر! فقلنا: ستموت ذات يوم. ولكنها لم تمت! لا أظنها ستموت أبداً ما لم... ".

قال ريموند بعزم ثابت: " ما لم نقتلها... ".

" نعم ".

شددت قبضتيها على حافة النافذة التى أمامها.

واصل شقيقها حديثه بنبرة هادئة مسلمة بالواقع، مع تهدج هين يوحى بتوتره العميق المكتوم.

" لهذا يجب أن يقوم أحدنا بهذا الأمر، أليس كذلك؟ مع " لينوكس "، وهناك " نادين " أيضاً. ولا نستطيع أن ندفع بـ " جينى " فى هذا ".

اقشعر بدن " كارول ".

" إننى أشفق على " جينى "... إننى خائفة للغاية... ".

" أعرف. يصير الأمر بالغ السوء، أليس كذلك؟ ولهذا يجب القيام بشىء ما على وجه السرعة، قبل أن تصل إلى الحافة ".

نهضت " كارول " فجأة، وهى تبعد شعرها الكستنائى المشعث عن جبهتها.

وقالت: " رى، أنت لا ترى أن فى ذلك الأمر خطأً حقاً، أليس كذلك؟ ".

أجابها بنفس تلك النبرة المخيبة: " كلا. أظن الأمر مثل قتل كلب مسعور ـ كائن يسبب الأذى والضرر فى العالم وينبغى وضع حد له. وهذا هو السبيل الوحيد لوضع حد لذلك ".

غمغمت كارول: " ولكنهم ـ لكنهم سيرسلوننا إلى المقعد الكهربائى... أقصد أننا لا يمكننا أن نشرح كيف كانت... سيبدو كلامنا خيالياً... كما لو أنه كله نتاج أوهام عقلينا وحدنا كما تعرف! ".

قال " ريموند ": " لن يعرف أحد أبداً. لقد وضعت خطة. لقد فكرت فى كل شىء. سنكون فى أمان تام ".

التفتت كارول نحوه فجأة.

" رى، إنك تبدو مختلفاً بطريقة ما. لقد حدث لك شىء ما.... ما الذى دفع بهذا كله إلى رأسك؟ ".

" لماذا تعتقدين أنه قد حدث شيء لى؟ ".

أشاح برأسه بعيداً، محدقاً فى الليل.

" لأنه لابد..... رى، هل هذا بسبب تلك الفتاة التى كانت بالقطار؟ ".

" كلا بالطبع لا ـ لماذا ينبغى أن يكون هذا هو السبب؟ عجباً يا " كارول " لا ترددى كلاماً فارغاً. هيا نعود من جديد إلى... ".

" إلى خطتك؟ هل أنت واثق من أنها خطة جيدة؟ ".

" نعم. أعتقد هذا... علينا أن ننتظر الفرصة السانحة، بالطبع. وعندها ـ إذا مضت الأمور على ما يرام ـ سنكون أحراراً، جميعنا ".

" أحراراً؟ " أطلقت " كارول " تنهيدة صغيرة. وتطلعت عالياً إلى النجوم. ثم اهتز بدنها فجأة من الرأس إلى القدمين فى نوبة نحيب عاصفة مباغتة.

قال ريموند: " كارول، ما الخطب؟ ".

قالت وهى منفطرة من البكاء: " ما أروع هذا كله ـ الليل وزرقة السماء والنجوم. لو أمكننا فقط أن نكون جزءاً من كل ذلك... لو أمكننا فقط أن نكون مثل سائر الناس بدلاً من أن نكون على هذه الحال ـ كل شيء يتسم بالشذوذ والعوج والخطأ ".

" لكننا سنكون على ما يرام حينما تموت! ".

" هل أنت متأكد؟ ألن يكون الأوان قد فات؟ ألن نكون على الدوام مختلفين وشاذين عن الآخرين؟ ".

" كلا، كلا، كلا ".

" إننى أتساءل... ".

" كارول، لو أنك فقط لا... ".

تدفع ذراعه المطمئنة جانباً.

" كلا، إننى معك ـ إننى معك بلا أى شك! من أجل الآخرين، وخصوصاً من أجل " جينى ". لابد أن ننقذ جينى! ". يصمت ريمون لبرهة، ثم يقول: " إذن سنمضى فى هذا؟ ".

" نعم! ".

" جيد. سأخبرك بخطتى.... ".

يحنى رأسه بالقرب من رأسها.

الفصل 2

كانت الآنسة سارة كنج، الحاصلة على بكالوريوس الطب، تقف أمام الطاولة بحجرة المكتب بفندق سليمان فى القدس، تتصفح الصحف والمجلات بعدم اكتراث. وهى مقطبة الجبين ويبدو عليها الانشغال.

راح الرجل الفرنسى الطويل ـ الذى كان فى منتصف العمر، والذى دخل القاعة من الردهة ـ يراقبها لدقيقة أو دقيقتين قبل أن يخطو إلى الجانب المقابل من المائدة.

عندما التقت عيناهما، أومأت سارة إيماءة صغيرة وهى تبتسم ابتسامة تنم عن معرفتها السابقة له. تذكرت أن هذا الرجل قدّم لها المساعدة عند السفر من القاهرة وحمل عنها إحدى حقائبها حينما لم تجد حمالاً يحمل عنها.

بعد أن تبادلا التحيات، سألها د. جيرار: " هل تعجبك مدينة القدس؟ ".

قالت سارة: " إنها من بعض النواحى لا تطاق ". ثم أضافت: " العادات والتقاليد هنا فى منتهى الغرابة! ".

بدأ الرجل الفرنسى مستمتعاً بحديثها.

كانت لغته الإنجليزية سليمة تماماً ولا غبار عليها: " أفهم ما تقصدين. فكل طائفة يمكن تخيلها تتجادل وتتشاحن مع الأخرى! ".

قالت سارة: " والأشياء البشعة التى قاموا ببنائها كذلك! ".

" نعم، صحيح حقاً ".

تنهدت سارة.

قالت فى وجوم: " لقد أخرجونى من أحد الأماكن اليوم لأن ملابسى لم تكن لائقة لطبيعة المكان! ".

ضحك د. " جيرار "، وقال لها: " كنت على وشك أن أطلب بعض القهوة. هل تشاركيننى يا آنسة...؟ ".

" كنج "، اسمى هو سارة كنج ".

قالت ذلك بينما كان يخرج بطاقة تعريف: " اسمحى لى... رجاءً ".

تناولتها سارة واتسعت عيناها باندهاشة فرحة.

" د. تيودور جيرار؟ آه! كم يسعدنى أن ألتقى بك. لقد قرأت كل أعمالك، بالطبع. إن آراءك حول مرض الفصام مثيرة للاهتمام بشدة ".

" أحقاً؟ " ارتفع حاجبا " جيرارد " فى فضول.

شرحت له سارة على الفور.

" كما ترى ـ إننى فى طريقى لأن أكون طبيبة مثلك. لقد حصلت لتوى على بكالوريوس الطب ".

" آه! فهمت إذن ".

طلب د. جيرار القهوة وجلسا فى ركن بالردهة. كان اهتمام الرجل الفرنسى لا ينصب على منجزات سارة الطبية بقدر ما كان منصباً على شعرها الأسود الذى يسترسل على جبهتها وعلى فمها الأحمر جميل التقسيم. كان مستمتعاً بنظرة الإعجاب والدهشة الواضحة والتى ترسلها نحوه.

سألها لتبادل أطراف الحديث: " أتقيمين هنا لفترة طويلة؟ ".

" بضعة أيام. لا أكثر. ثم أريد أن أذهب إلى البتراء ".

" حقاً! أنا أيضاً كنت أفكر فى الذهاب إلى هناك إذا لم تكن الرحلة تستغرق وقتاً أطول من اللازم. فكما ترين، علىّ أن أعود إلى باريس فى يوم الرابع عشر ". " إنها تستغرق حوالى أسبوع، على ما أظن. يومان للذهاب، ويومان هناك، ويومان للعودة مرة أخرى ".

" علىّ أن أذهب لمكتب السفريات فى الصباح وأرى ما يمكن عمله ".

" دخلت إلى الردهة مجموعة من الناس وجلسوا. راقبتهم سارة ببعض الاهتمام. وخفضت من صوتها.

وهى تقول: " هؤلاء الأشخاص الذين دخلوا لتوهم، هل انتبهت لهم على القطار فى تلك الليلة؟ لقد غادروا القاهرة فى نفس الوقت الذى غادرنا نحن فيه ".

ثبت د. جيرار منظاراً وحيد العدسة فوق عينيه ووجه نظره عبر الغرفة. " إنهم أمريكيون؟ ".

أومأت سارة.

" نعم. أسرة أمريكية. غير أنها تبدو أسرة غريبة على ما أعتقد ".

" غريبة؟ كيف ذلك؟ ".

" حسناً، انظر إليهم. وإلى المرأة العجوز بالذات ".

أذعن لها د. جيرار. إن نظرته الفاحصة تنقلت ببطء من وجه إلى وجه.

لاحظ أولاً رجلاً طويلاً رخواً ـ فى حوالى الثلاثين من العمر. كان الوجه مبتهجاً، ولكنه شاحب، وبدا أسلوبه لا مبالياً على نحو غريب. ثم كان هناك اثنان أصغر سناً وعلى قدر من الوسامة ـ الصبى يكاد يكون له رأس يونانية. قال د. جيرار لنفسه: " هناك شىء ما فيه هو أيضاً. نعم، إنها حالة من التوتر العصبى لا شك فى هذا، ومن الواضح أن الصبية هى شقيقته، فالشبه قوى، وهى الأخرى كانت فى حالة من الإثارة والتوتر. كانت هناك فتاة أخرى أصغر سناً ـ شعرها الأحمر الذهبى ينتشر وكأنه هالة حولها ؛ كانت يداها فى حالة من التوتر، تقبضان بشدة على منديل وتعبثان به فى حجرها. وامرأة أخرى شابة هادئة، سوداء الشعر، ذات وجه هادئ ولكنه شاحب، ملائكى الملامح كأنها تمثال رائع. لا شىء لافت فيها! ومركز المجموعة كلها ـــ " والعياذ بالله! " هكذا قال لنفسه " جيرار " بنفور الرجل الفرنسى الصريح ـ " يا لها من امرأة شنيعة! "، كانت منتفخة متضخمة، تجلس هناك بلا حراك فى وسطهم تماماً ـ وكأنها تمثال مشوه، أو عنكبوت ضخم فى مركز شبكة!

قال لسارة: " يا لها من أم! تفتقد الجمال، أليس كذلك؟ "، وهز كتفيه.

قالت سارة متسائلة: " لكن هناك شيئاً ما خبيثاً فيها، ألا تعتقد؟ ".

وافقها د. جيرار مرة أخرى. وهذه المرة كانت نظرته نظرة متفحصة، وليست نظرة ذات حماس ومرح.

" الاستسقاء، ومرض القلب ـ ". وأضاف عبارة طبية بطلاقة.

لكن سارة ألغت الجانب الطبى قائلة: " صحيح، ذلك! ".

" ولكن هناك شيئاً ما غريباً فى سلوكهم تجاهها، ألا تظن ذلك؟ ".

" ومن هُم؟ ألا تعرفين؟ ".

" اسم العائلة هو " بوينتون ". الأم، الابن المتزوج وزوجته، وابن أصغر وشقيقتان صغيرتان ".

غمغم د. جيرار قائلاً: " عائلة " بوينتون " حول العالم ".

" نعم، ولكن هناك شيئاً ما غريباً فى الطريقة التى ينظرون بها نحوها. إنهم لا يتحدثون مطلقاً إلى أى شخص آخر. ولا أحد منهم يمكنه القيام بأى شىء إلا إذا سمحت له السيدة العجوز! ".

قال د. جيرار مفكراً: " إنهم يتبعون نمط المجتمع الذى تكون فيه السطوة للنساء

".

قالت " سارة ": " إنها طاغية مستبدة تماماً، على ما أظن ".

هزّ د. جيرار كتفيه وأشار إلى أن السيدة الأمريكية تحكم الأرض ـ كان هذا معروفاً جيداً.

قالت سارة بإصرار: " نعم، ولكن الأمر يتجاوز هذا الحد. إنها... آه، إنها قد روضتهم جميعاً، إنهم رهن إشارة من إصبعها ـ وهذا ـ هذا غير لائق! ".

وافقها جيرار بجاذبية مفاجئة، وقال وهو يومئ برأسه: " إن التسلط والطغيان شيء سيئ بالنسبة لامرأة ".

" من الصعب على امرأة ألا تسيء استغلال السلطة ".

ألقى بلمحة جانبية سريعة نحو سارة، وهى تراقب عائلة " بوينتون " ـ أو بالأحرى كانت تراقب فرداً محدداً منها. ابتسم د. جيرار ابتسامة الفرنسى المتفهم. نعم، هذا هو الأمر إذن، أليس كذلك؟

غمغم قائلاً فى تردد: " لقد تحدثت إليهم ـ صحيح؟ ".

" صحيح، على الأقل إلى واحد منهم ".

" الشاب، الابن الأصغر؟ ".

" نعم. على متن القطار إلى هنا من القنطرة. كان يقف بالردهة. تحدثت إليه ".

لم تكن تنشغل بصورتها لدى الآخرين فى موقفها من الحياة. فلديها ولع بالبشر ونوع من الحميمية بصورة متلهفة.

سأل " جيرار ": " ما الذى جعلك تتحدثين إليه؟ ".

هزت " سارة " كتفيها فى لامبالاة وقالت:

" ولم لا؟ غالباً ما أتحدث إلى أشخاص مسافرين. إننى أهتم بالبشر، أهتم بأفعالهم وبأفكارهم ومشاعرهم ".

" لنقل إنك تضعينهم تحت عدسة الميكروسكوب ".

قالت الفتاة: " يمكنك أن تسمى الأمر كذلك ".

" وماذا كانت انطباعاتك عن هذه الحالة؟ ".

ترددت قائلة: " كان الأمر غريباً نوعاً ما... لنبدأ بالقول بأن الصبى أحمّر خجلاً حتى جذور شعر رأسه ".

تساءل " جيرار " بجفاف: " هل كان الأمر ملحوظاً لهذه الدرجة؟ ".

ضحكت سارة، وقالت:

" تقصد أنه أعتقد أننى امرأة وقحة، أو بلا حياء تحاول تجاذب أطراف الحديث معه ".

" عجباً، كلا، لا أظنه اعتقد ذلك. يستطيع الرجال أن يميزوا هذا على الدوام، أليس كذلك؟ ".

رمته بنظرة صريحة متسائلة. أومأ د. جيرار برأسه موافقاً.

قالت سارة، وهى تتحدث ببطء وقد قطبت قليلاً: " لقد راودنى الانطباع بأنه قد كان ـ كيف أعبر عن ذلك؟ ـ كان يشعر بالإثارة والخوف. يشعر بالإثارة بشكل يتجاوز كل حد ـ لكنه كان متوجساً تماماً على نحو غريب فى الوقت نفسه. والآن أليس هذا غريباً؟ ذلك أننى على الدوام كنت أجد الأمريكيين مهووسين بأنفسهم فوق العادة. ولعل صبياً أمريكياً ـ لنقل فى العشرين مثلاً ـ لديه من الاطلاع على العالم والدراية بشئونه ما يفوق صبياً إنجليزياً فى نفس عمره. وهذا الصبى لابد أنه قد تجاوز العشرين سنة ".

" ينبغى أنه يكون فى الثالثة والعشرين، أو الرابعة والعشرين ".

" هل يمكن أن يكون قد تجاوز العشرين؟ ".

" أظن ذلك ".

" نعم... قد تكون محقاً... فقط،إنه يبدو صغير السن للغاية..».

" انحراف عقلى. الطفل الذى بداخله يطل برأسه ".

" إذن أنا على حق؟ أقصد، هناك شىء ما غير طبيعى بالمرة بشأنه؟ ".

هز د. جيرار كتفيه، مبتسماً قليلاً لشغفها واهتمامها.

" عزيزتى الشابة، من منا طبيعى مائة بالمائة؟ لكننى أوافقك أن هناك على الأرجح حالة اضطراب عصبى من نوعٍ ما ".

" أنا واثقة أنه بسبب التواصل مع تلك العجوز الرهيبة ".

نظر إليها " جيرار " فى فضول وقال: " يبدو أنك حانقة عليها بدرجة كبيرة ".

" إننى كذلك. إن لها تلك العين الحقود! ".

فغمغم جيرار: " وهكذا هن العديد من الأمهات عندما يُفتن أبناؤهن بشابات

جميلات! ".

هزت سارة كتفها بنفاد صبر. الرجال الفرنسيون جميعهم سواء، هكذا فكرت، مهووسون بالنساء! ومع ذلك كان عليها بالطبع كعالمة نفس أن تقر بأن الانجذاب نحو الجنس الآخر دائماً ما يكون الأساس الخفى لمعظم الظواهر. سبحت أفكار سارة مع تيار علم النفس المألوف لها.

وخرجت من تأملاتها بحركة مفاجئة. كان ريمون بوينتون يعبر الغرفة إلى المنضدة الموجودة فى وسط الردهة. انتقى مجلة. وبينما يمر بمقعدها فى أثناء عودته إلى مكانه نظرت إليه وتحدثت قائلة:

" هل انشغلت اليوم بزيارة المعالم السياحية؟ ". انتقت كلماتها بشكل عشوائى، كان اهتمامها الحقيقى هو أن ترى كيف سيستقبل هو هذه الكلمات، أوشك ريمون أن يتوقف، تخضب بالحمرة ونفر كأنه مهر عصبى وتوجهت عيناه فى توجس نحو أفراد أسرته. غمغم قائلاً: " أو ـ أوه، نعم، لماذا، نعم، بلا شك. إننى... ".

وعندئذٍ، أسرع عائداً إلى أسرته، فجأة وكان إبرة مهماز قد وخزته ليتحرك، ممسكاً بالمجلة.

تناولت المرأة قبيحة الشكل المجلة بيدها المكتنزة، غير أن عينيها كانتا على وجه الصبى، كما لاحظ د. جيرار.

همهمت بشىء، غالباً كلمة شكر غير مسموعة. وحركت رأسها بدرجة طفيفة للغاية. رأى الطبيب أنها الآن كانت تنظر محدقة إلى سارة. كان وجهها محايداً جامداً تماماً، فما من تعبير فيه بالمرة، فمن المستحيل إدراك ما كان يمر بخلد المرأة عندئذ.

نظرت سارة إلى ساعة يدها وصاحت بدهشة.

ونهضت وهى تقول: " لقد تأخر الوقت أكثر مما كنت أعتقد. شكراً جزيلاً لك يا د. جيرار لدعوتى على القهوة. علىّ أن أكتب بعض الرسائل الآن ".

نهض وتناول يدها.

قال: " لابد أن نلتقى مرة ثانية، آمل ذلك ".

" حسناً، طبعاً! قد تأتى إلى البتراء؟ ".

" لا شك أننى سأحاول ".

ابتسمت له سارة ومضت. مرت فى طريقها خارج القاعة من أمام عائلة بوينتون.

لاحظ د. جيرار أن السيدة بوينتون قد حولت بصرها نحو وجه ابنها. رأى عينى

الصبى تلتقيان بعينيها. وحين مرت بهم سارة، تحولت عينا ريموند بوينتون قليلاً، ولكن ليس باتجاه سارة ولكن بعيداً عنها.... لقد كانت حركة بطيئة لا إرادية ونقلت فكرة أن السيدة بوينتون العجوز قد حذرته بشكل ما.

لاحظت سارة كنج إعراض الصبى وتجنبه، وكانت صغيرة على قدر من الحساسية جعلها تنزعج من ذلك الإعراض وتضيق به. لقد تبادلا تلك المحادثة الودية معاً فى الردهة المتأرجحة لعربات القطار. لقد قارنا ما دوناه من انطباعات عن مصر، وضحكا للغة الإنجليزية السيئة والمضحكة لصبية الحمارين والبائعين. ووصفت له سارة كيف أن رجلاً من مؤجرى الجمال شرع فى محادثتها قائلاً: " إنجليزية السيدة أم أمريكية؟ ". وتلقى جوابها: " لا، صينية ". وسرورها لرؤية الحيرة التامة للرجل بينما يحدق إليها. فكرت بأن الصبى كان أقرب إلى تلميذ لطيف ومتلهف، ربما كان هناك شىء يبعث على الشفقة فى تشوقه ولهفته. والآن، دون أى سبب مطلقاً، أصبح خجولاً وفظاً، ووقحاً بدرجة كبيرة!

قالت سارة لنفسها فى حنق: " لن أعبأ بأمره أكثر من ذلك! ".

كانت سارة تثق فى نفسها وفى جمالها بدرجة كبيرة، وذلك دون غرور لا مبرر له، وكانت تدرك أنها جذابة تماماً بالنسبة للجنس الآخر، وأنها ليست من النوع الذى يقبل أن يتجاهله أحد.

ربما كانت مبالغة فى مودتها لهذا الصبى قليلاً لأنها، ولسبب ما غامض، شعرت بالأسف نحوه.

أما الآن، فقد كان واضحاً، إنه لم يكن سوى صبى أمريكى فظ ومتعجرف ووقح!

وبدلاً من كتابة الرسائل التى ذكرتها، جلست سارة كنج قبالة منضدة الزينة، تمشط شعرها إلى الخلف من جبهتها، ناظرة فى عينين بنيتين حائرتين خلف النظارة، وتتأمل وضعها فى الحياة.

لقد اجتازت لتوها أزمة عاطفية صعبة. فمنذ شهر فسخت خطبتها من طبيب شاب يسبقها فى الدراسة بنحو أربعة أعوام. كانا مرتبطين ببعضهما البعض بصورة كبيرة، ولكنهما متماثلان فى المزاج إلى حدٍ بعيد. وكان نشوب الخلافات والمشاحنات أمراً معتاداً بينهما. كانت سارة شديدة التسلط من ناحيته، بحيث لم تتخل عن استقلاليتها الهادئة. ومثل كثير من النساء اللاتى يتمتعن بروح معنوية عالية، كانت سارة تقتنع بأنها تهوى القوة، اقتنعت بأنها تعجب بالقوة. وكانت دائماً ما تقول لنفسها إنها ترغب فيمن يسيطر عليها. وحين التقت برجال قادرين على السيطرة عليها، لم يروقوا لها على الإطلاق! وكلفها فسخ الخطوبة قدراً كبيراً من الألم النفسى وحسرة الفؤاد، ولكن رؤيتها للأمور كانت واضحة بدرجة كافية لأن تدرك أن الانجذاب المتبادل ليس هو

الأساس الكافى لبناء حياة كاملة من السعادة. وكافأت نفسها برحلة مثيرة عبر العالم من أجل مساعدتها على النسيان قبل أن تعود للشروع فى عملها بجدية.

عادت أفكار سارة من الماضى إلى الحاضر.

قالت لنفسها: " تُرى هل سيسمح لى د. جيرار بأن أتحدث إليه حول عمله؟ لقد أنجز أعمالاً خرافية. لو أنه فقط يتعامل معى بجدية... ربما ـ إذا ما أتى إلى بتراء... ".

ثم فكرت من جديد فى ذلك الأمريكى الصغير الفج الغريب.

لم يساورها شك فى أن حضور عائلته هو ما جعله يتصرف بهذا الأسلوب الغريب، لكنها شعرت بالحنق نحوه قليلاً، على الرغم من ذلك. فكون المرء واقعاً تحت رحمة عائلته على هذا النحو، كان هذا سخيفاً حقاً، خصوصاً بالنسبة لرجل!

وعلى هذا...

ساورها شعور غريب. بالطبع كان ثمة شىء غريب فى هذا كله؟

قالت فجأة بصوت مسموع: " ذلك الصبى يحتاج لإنقاذ! وسوف أعتنى بأمره! ".

الفصل 3

حينما غادرت سارة الردهة، ظل د ". جيرار " جالسًا مكانه لبضع دقائق. ثم اتجه صوب المائدة، والتقط أحدث عدد من جريدة " لوماتان " وعاد بها إلى مقعده الذى كان على بعد ياردات من عائلة " بوينتون ". كان فضوله قد تزايد.

لأول وهلة كان يجد اهتمام الفتاة الإنجليزية بالأسرة الأمريكية مصدر تسلية له، وقد أصاب ظنه بتشخيص ذلك الاهتمام على أنه منصب نحو أحد أفراد هذه الأسرة على وجه التحديد. ولكن الآن ثمة شىء ما خارج المألوف فى هذه الأسرة أيقظ بداخله اهتمامًا أعمق وله طابع علمى. فقد أحس بأن ثمة شيئًا ها هنا فى هذه العائلة يثير الاهتمام النفسى الشديد.

وبحذر، وتحت ستار جريدته، أخذ يتطلع نحوهم بتفرس. أولاً نحو الصبى الذى اهتمت به الفتاة الإنجليزية اهتمامًا خاصًا. نعم، فكر جيرار، فى أنه بلا خلاف من النوع الذى يجذب مزاجها الحاد. كانت سارة كنج تنطوى على قوة ـ وقد كانت متوازنة نفسياً بدرجة كبيرة، وتتمتع بخفة روح وإرادة حازمة. كان ظن د. جيرار بالشاب أنه حساس ونبيه ومتهيب وسهل الانقياد بشكل كبير. وقد لاحظ بعين الطبيب الحقيقة الساطعة، وهى أن الصبى فى تلك اللحظة كان فى حالة شديدة من التوتر العصبى. وتساءل د». جيرار " عن السبب. كان متحيراً. لماذا ينبغى لشاب له بنية قوية، وموفور الصحة هكذا والذى يُفترض أنه يستمتع بوقته عبر العالم أن يكون فى مثل تلك الحالة التى تنذر بانهيار عصبى وشيك؟

حول الطبيب انتباهه إلى فرد آخر من الأسرة. كان من الواضح أن الفتاة ذات الشعر الكستنائى هى شقيقة ريموند. فقد كانت من الطراز نفسه، العظام الصغيرة، وحُسن المظهر، والهيئة الأرستقراطية. وكان لهما نفس الأيدى النحيلة جميلة الشكل، ونفس خط الفك الواضح، ونفس شكل الرأس على رقبة طويلة رفيعة. والفتاة، هى الأخرى، كانت متوترة... وبدت عليها حركات عصيبة لا إرادية طفيفة، وكان بأسفل عينيها ظلال داكنة عميقة وكانتا لامعتين. وحين تحدثت جاء صوتها أسرع من اللازم ولاهثاً بدرجة طفيفة. وكانت فى حالة ترقب ـ غير قادرة على الاسترخاء والهدوء.

وحدّث د ". جيرار " نفسه قائلاً: " بل خائفة كذلك. نعم، إنها خائفة! ".

تناهى إلى مسامعه طرف من المحادثة ـ وجدها محادثة طبيعية جداً.

" قد نذهب لزيارة المعالم السياحية غداً؟ "، " ألن يكون بعض منها بعيداً للغاية بالنسبة للأم؟ "، " سنذهب لزيارة الحائط الشرقى ومسجد عمر يا ليونكس ".

كان حديثاً شائعاً بين مجموعة من السائحين. ومع ذلك، فقد أحس د. جيرار بشكل ما باقتناع غريب بأن ذلك الحوار كله لم يكن حقيقياً على نحو ما. وأنه لم يكن إلا قناعاً، أو غطاءً لشىء ما يمور ويدور فى الأعماق ـ شىء عميق، أعمق من اللازم ولا يمكن صياغته فى كلمات... ومن جديد ألقى نظرة سريعة عليهم من وراء الصحيفة.

" لينوكس "؟ كان ذلك هو الأخ الأكبر. فيمكن بسهولة إدراك ذلك التشابه بين أفراد العائلة، غير أن ثمة اختلافاً ما. " فلينوكس " لم يكن على درجة كبيرة من التوتر ؛ وقرر جيرار أنه كان أقل توتراً من الآخرين. ولكن كان هناك شىء غريب بشأنه كذلك، فلم يكن يعانى من التوتر الحاد كأخويه الآخرين. فقد جلس مسترخياً، متهدلاً. وفى حال من الحيرة، راحد. " جيرار " يفتش بين ذكرياته عن مرضاه ممن رآهم يجلسون على هذا النحو فى أقسام المستشفى النفسى، حتى حدث نفسه قائلاً:

" إنه مُتعب ـ نعم، لقد قضت عليه المعاناة. وتلك النظرة فى عينيه، النظرة التى قد تراها فى عينى كلب جريح أو حصانٍ مريض، نظرة التحمل البهيمى الصامت... إنه أمر غريب، إنه... سليم من الناحية البدنية... ومع ذلك فما من شك بأنه قد تعرض مؤخراً للكثير من المعاناة ـ المعاناة العقلية ـ والآن لم يعد يعانى ـ يتحمل فى صمت ـ وينتظر، على ما أحسب، لحدوث شىء ما؟ هل أتخيل ذلك كله؟ لا، الرجل بانتظار شىء ما، بانتظار أن تأتى النهاية. بالضبط كما يرقد مرضى السرطان وينتظرون، ممتنين لأن المُسكّن قد هوّن عليهم الألم قليلاً..».

نهض " لينوكس بوينتون " وتناول كرة الصوف التى أسقطتها السيدة العجوز.

" تفضلى يا أماه ".

" شكراً لك ".

ماذا كانت تحيك هذه العجوز الهائلة مثل النصب التذكارى؟ إنه شىء سميك وقاسٍ. فكر جيرار: " أهى قفازات للمحكوم عليهم بالعمل الشاق؟ " وابتسم لخيالاته.

ثم حول انتباهه إلى العضو الأصغر فى العائلة ـ الفتاة ذات الشعر الأحمر الذهبى. لعلها فى التاسعة عشرة. كانت بشرتها ذات صفاء لطيف مما تكون غالباً لذوى الشعر الأحمر. وعلى نحافتها، كان وجهها جميلاً. كانت جالسة تبتسم لنفسها ـ تبتسم للفراغ. كان هناك شىء مثير للفضول بشكل ما بخصوص ابتسامتها، كانت نائية تماماً عن فندق سليمان، وعن القدس... لقد ذكرت د. جيرار بشىء ما... وقد واتاه ذلك الآن. كانت ابتسامة غريبة كأنها ليست من هذا العالم، مثل تلك التى تعلو شفاه تماثيل عذارى معبد الأكروبوليس فى آثينا ـ شىء بعيد وجميل وغير إنسانى بشكلٍ ما... نقل

إليه سحر الابتسامة، وسكونها الحاد وخزة طفيفة.

وعندئذ وفى صدمة، لاحظ د». جيرار " يديها. كانت المنضدة تحجب يدها عن الجميع، غير أنه كان بوسعه رؤيتها بوضوح من مجلسه. فعلى حجرها كانت يداها تشدان ـ تشدان ـ وتمزقان منديلا رقيقاً إلى قطع صغيرة للغاية.

مما أصابه بصدمة رهيبة. الابتسامة البعيدة المتوحدة، الجسد الساكن، واليدان المنشغلتان بالتمزيق...

الفصل 4

انبعث صوت سعال بطيء له صفير ـ ثم تحدثت المرأة الهائلة وهى تحيك:

" جنفرا، أنت متعبة، من الأفضل أن تذهبى إلى فراشك الآن ".

تحركت الفتاة حركة مفاجئة، توقفت أصابعها عن حركتها الآلية: " لستُ متعبة يا أمى ".

تعرف " جيرار " راضيًا على نبرة صوتها الموسيقية. كان لها صوت حلو مغرد يضفى سحراً على أكثر كلام الناس شيوعًا.

" كلا، أنت متعبة. إننى دائماً ما أعلم. لا أظن أنك ستكونين قادرة على القيام بنزهات سياحية غداً ".

" أماه، ولكنى سوف أذهب. إننى فى أتم حال ".

وبصوت أبح ثخين ـ يكاد يكون صوتًا متحشرجًا، قالت أمها: " كلا، لست بذاهبة. فسوف تمرضين هكذا ".

" لن أمرض. لن أمرض ".

شرعت الفتاة ترتجف ارتجافًا شديداً.

انبعث صوت ناعم وهادئ قائلاً: " سآتى معك يا جينى ".

نهضت المرأة الهادئة صغيرة السن، ذات العينين الرماديتين الثاقبتين الواسعتين والشعر الداكن المصفف بعناية.

قالت السيدة بوينتون العجوز: " لا. دعيها تصعد بمفردها ".

صاحت الفتاة: " أريد أن تأتى نادين معى! ".

" إذن سأذهب معها بلا شك! ". هكذا قالت المرأة وتحركت خطوة إلى الأمام.

قالت العجوز: " إن الطفلة تفضل أن تذهب بمفردها ـ أليس كذلك يا جينى "؟ ".

كانت هناك برهة من الصمت ـ حوالى دقيقة، ثم قالت " جنفرا بوينتون " وقد صار صوتها فجأة كئيبًا:

" نعم ؛ أُفضل أن أذهب بمفردى. شكراً لك يا نادين ".

وسارت مبتعدة.

خفض د». جيرار " من جريدته وتفحص السيدة بوينتون جيداً. كانت تتبع ابنتها بعينيها وقد تغضن وجهها الممتلئ بابتسامة غريبة. كانت الابتسامة، وعلى نحو غامض تمامًا، صورة كاريكاتورية للابتسامة الجميلة الملائكية التى أضاءت وجه الفتاة قبل برهة وجيزة.

ثم حولت العجوز نظرتها نحو نادين. بعد أن عادت إلى مجلسها. رفعت عينيها والتقت بعينى حماتها. كان وجهها هادئاً تمامًا. أما نظرة العجوز فكانت حاقدة خبيثة الطوية.

فكر د». جيرار ": " ياله من تسلط امرأة عجوز! ".

ثم تحولت عينا العجوز فجأة نحوه، وراح يخرج زفيراً عميقًا حادًا. كانتا عينين صغيرتين سوداوين تطلقان شرراً، لكن ينبعث منهما شىء ما، طاقة، قوة قاطعة، موجة من الشر والخبث. كان د. جيرار يعلم شيئًا حول قوة الشخصية. وقد أدرك أن هذه الطاقة لم تكن مجرد نزوة أو نزوع تافه نحو التسلط والتحكم الذى لا مبرر له، بل كانت هذه العجوز ذات قوة شخصية شديدة. فى خبث نظرتها أحس بتشابه مع الأثر الذى تخلفه نظرة الكوبرا. قد تكون السيدة بوينتون عجوزاً، ومعتلة الصحة، وفريسة للمرض، لكنها لم تكن معدومة الحيلة أو السلطة والقوة. كانت امرأة تعرف معنى السلطة والتحكم، امرأة عاشت عمراً كاملاً من السلطة، ولم يساورها الشك مطلقًا فيما لها من قوة. التقى د. جيرار ذات مرة بامرأة كانت تؤدى عرضًا فى غاية الخطورة، وهو مشهد مع النمور. فقد نجحت فى ترويض الحيوانات المتوحشة، فقبعت فى أماكنها، وقدمت خدعها المهينة والمذلة لها. وفى عيونها باحت نظرات الشر المقموعة بالكراهية، الكراهية المريرة، لكنها أذعنت وأطاعت. تلك كانت امرأة شابة، امرأة ذات جمال يطل من بشرتها السمراء وينم عن كبرياء، لكن النظرة كانت هى نفسها.

" مُروضة قاهرة! "، هكذا قال د. جيرار فى نفسه.

وأدرك الآن ما يكمن تحت السطح وراء الحديث العائلى الأليف. إنها الكراهية ـ نبع مظلم ودائم من الكراهية.

حدث نفسه قائلاً: " كم سيظن معظم الناس بى الإمعان فى الخيال والابتعاد عن المنطق! فليس هنا إلا أسرة أمريكية متفانية وعادية تتنزه فى فلسطين ـ وها أنذا أنسج

خيوط قصة من السحر الأسود حولها! ".

ثم نظر باهتمام نحو الشابة الهادئة التى تدعى نادين. كان هناك خاتم زفاف فى يدها اليسرى، وإذ يراقبها رآها تنظر نظرة خائنة وناعمة نحو لينوكس صاحب الشعر الجميل، لقد عرف إذن....

كانا زوجًا وزوجة، هذان الاثنان. غير أنها كانت نظرة أم وليست نظرة زوجة ـ نظرة أم حقيقية ـ نظرة حامية وقلقة. فأدرك شيئًا آخر. أدرك أنه وسط كل تلك المجموعة، فإن نادين بوينتون لا تقع تحت تأثير لعنة حماتها. لعلها تبغض العجوز، لكنها لم تكن خائفة منها. فقوة العجوز وتسلطها لم يسيطرا عليها.

كانت بائسة، ومنشغلة انشغالاً عميقًا حيال زوجها، لكنها كانت حرة.

قال د. جرار لنفسه: " كل هذا مثير للاهتمام، إنه مثير جدًا ".

الفصل 5

وسط تلك التخيلات الكئيبة أطل شيء مألوف كان له تأثير يكاد يكون مضحكًا.

فقد جاء رجل إلى الردهة، ونظر نحو أسرة بوينتون واقترب منهم. كان أمريكياً فى منتصف العمر من النمط التقليدى. كان مرتدياً ملابسه بعناية، وذا وجه طويل حليق وكان له صوت بطيء فرح ورتيب بعض الشيء.

قال: " لقد كنت أبحث عنكم جميعًا ".

صافح أفراد العائلة بكاملها باعتناء واهتمام.

" وكيف حالك يا سيدة " بوينتون "؟ أتمنى ألا تكون الرحلة قد أنهكتك تمامًا؟ ".

قالت السيدة العجوز بفحيح: " كلا، شكرًا لك. إن صحتى لم تكن أبدًا على ما يرام، كما تعرف... ".

" لماذا، بالطبع، كم هذا سيئ جدًا ".

" ولكنى بلا شك لست فى حال أسوأ ".

أضافت السيدة بوينتون بابتسامة باهتة:

" فإن نادين ها هنا تعتنى بى خير عناية، أليس كذلك يا نادين؟ ".

قالت نادين: " إننى أبذل قصارى جهدى ". كان صوتها خاويًا من أى تعبير.

قال الرجل الغريب بإخلاص وحماس: " أنا واثق من ذلك. حسنٌ يا لينوكس، ما رأيك فى مدينة النبى داود؟ "

" لا أدرى ".

تحدث لينوكس بغير اكتراث ـ ودونما اهتمام.

" هل تجد أنها مخيبة للآمال نوعًا ما؟ سأعترف بأننى صُدمت هذه الصدمة لأول وهلة. ولكن لعلك لم تتجول فيها بما يكفى حتى الآن ".

قالت كارول بوينتون: " لا يمكننا أن نقوم بالكثير نظراً لظروف أمنا ".

أوضحت السيدة بوينتون: " إن ساعتين من التنزه ورؤية المعالم هى كل ما يمكننى القيام به فى اليوم الواحد ".

قال الغريب فى حماس: " أظن أنه من الرائع أن تنجحى فى القيام بكل ما تقومين به يا سيدة بوينتون ".

ضحكت السيدة بوينتون ضحكة غليظة ذات حشرجة ؛ لقد كان صوتها يشوبه التلذذ والارتياح.

" إننى لا أسلم الانقياد لجسدى! فالعقل هو ما يهمّ ، نعم، إنه العقل... ".

تلاشى صوتها. رأى جيرار أن ريموند بوينتون صدرت عنه حركة عصبية لا إرادية.

تساءل: " هل ذهبت إلى الحائط الشرقى، يا سيد كوبى؟ ".

" نعم، كان من بين أولى المواقع التى زرتها. وأرجو أن أنتهى من زيارة مدينة القدس عن آخرها فى غضون يومين إضافيين، وسوف أترك لهم فى شركة كوك تحديد خط سير الرحلة لى، بحيث أغطى الأراضى المقدسة تماماً ـ بين بيت لحم، وطبرية، وبحر الجليل ـ كم سيكون ذلك مثيراً بحق. ثم هناك جَرَش، فهناك بعض الآثار المهمة جداً، أثار رومانية كما تعرفون. كما أننى أود حقاً أن ألقى نظرة على مدينة الوردة الحمراء فى بيترا، أكثر الظواهر الطبيعية بروزاً، لكنى أظن أن الأمر سيقتضى أسبوعاً كاملاً للوصول إلى هناك ثم العودة، والقيام بالأمر على خير وجه ".

قالت كارول: " كم أحب أن أذهب إلى هناك! إن الرحلة تبدو رائعة ".

" علىّ أن أقول إنه مكان جدير بالزيارة والرؤية ـ نعم، بلا خلاف، إنه يستحق الزيارة ". ثم توقف السيد كوبى، وألقى نظرة متشككة نوعاً ما على السيدة بوينتون، وعندئذ واصل كلامه فى صوت تنامى إلى الرجل الفرنسى المنصت أنه صوت مضطرب اضطراباً واضحاً:

" أتساءل الآن إذا لم أستطع إقناع أحدكم بالمجىء معى يا رفاق؟ بطبيعة الحال أعلم أنكِ لا تستطيعين تحمل ذلك يا سيدة بوينتون، وبطبيعة الحال، فإن بعض أفراد أسرتك سَيرغبون فى البقاء معك، ولكن إذا كان عليك تقسيم المجموعة أو الفريق، أو لنقل... ".

توقف عن الكلام. سمع " جيرار " صوت رنين إبرة الحياكة الخاصة بالسيدة بوينتون حين سقطت. ثم قالت السيدة بوينتون:

" لا أظن أننا سنفضل الانقسام إلى مجموعات. إننا مجموعة بيتية متآلفة ".

وتطلعت إليهم: " حسنًا يا أطفالى، ما قولكم؟ ".

كانت هناك نبرة غريبة فى صوتها. وتدافعت الإجابات ". كلا يا أمى "، أو " لا، كلا، كلا، بالطبع لا ".

ابتسمت السيدة بوينتون ابتسامتها الغريبة تلك، وقالت: " أرأيت، إنهم لن يتركونى. ماذا عنك أنت يا نادين؟ لم تقولى شيئًا؟ ".

" كلا، أشكرك يا أماه، إلا إذا كان " لينوكس " مهتمًا بالأمر ".

التفتت السيدة بوينتون برأسها نحو ابنها ببطء.

" حسناً يا لينوكس، ما رأيك؟ لم لا تذهب أنت ونادين؟ يبدو أنها تريد ذلك ".

حدق فيها قائلاً: " أنا ـ حسناً ـ كلا، أنا أعتقد أنه من الأفضل أن نبقى جميعًا معًا ".

قال السيد كوبى فى بشاشة: " حسناً، إنكم حقًا أسرة مُخلصة ومتماسكة! " غير أن شيئًا ما فى بشاشته بدا أجوف قليلاً ومكرهًا.

قالت السيدة بوينتون: " إننا نفضل البقاء معاً،...». راحت تحل كرتها الصوفية، ثم قالت: " بالمناسبة يا ريموند، مَنْ كانت تلك الشابة التى تحدثت إليك قبل قليل؟ ".

حدق ريموند متوترًا، واحمر وجهه، ثم شحب لونه.

" أنا ـ أنا لا أعرف اسمها. إنها ـ إنها كانت معنا على متن القطار الليلة الماضية ".

بدأت السيدة بوينتون ببطء تحاول أن ترفع نفسها خارج مقعدها.

قالت: " لا أظن أن هناك ما نقوم به معها ".

نهضت نادين وساعدت السيدة العجوز على الصراع للخروج من مقعدها. قامت بهذا بحذق المحترفين مما لفت انتباه جيرار.

قالت السيدة بوينتون: " وقت الخلود للفراش. طاب مساؤك يا سيد كوبى ".

" طاب مساؤك سيدة بوينتون. طاب مساؤك سيدة لينوكس ".

خرجوا فى موكب صغير. بدا أنه من غير المسموح لأى من أفراد المجموعة الأصغر سنًا بالبقاء بعد ذلك.

ظل السيد كوبى وراءهم ينظر نحوهم. وارتسم على وجهه تعبير غريب للغاية.

ومن واقع خبرته، كان د. جيرار يدرك أن الأمريكيين من المفترض أنهم شعب ودود. فهم ليس لديهم تشكك البريطانيين عندما يسافرون. وبالنسبة لرجل متحفظ

مثل الطبيب، فإن التعرف على السيد كوبى كان يمثل له بعض الصعوبات. جلس الأمريكى وحيداً، ومثل أغلب أهل بلاده، كان ميالاً إلى الرفقة الودودة. وكانت البطاقة المطبوع عليها اسم الطبيب جيرار ظاهرة للعيان:

وقرأها السيد " جيفرسون كوبى " فتأثر بشدة وقال:

" الطبيب جيرار، لقد كنت فى الولايات المتحدة منذ فترة غير بعيدة؟ ".

" الخريف الماضى. كنت أحاضر فى هارفارد ".

" إنك من أبرز الأسماء فى مجالك. إنك على رأس الأطباء فى حقلك بباريس ".

" سيدى العزيز، إنك تبالغ فى مديحك، اسمح لى بأن أعترض ".

" كلا، كلا، إنها لفرصة عظيمة بالنسبة لى أن ألتقى بك هكذا. وفى حقيقة الأمر، فإن هناك العديد من الأشخاص البارزين هنا بالقدس فى الوقت الحاضر فقط. فهناك أنت وهناك لورد ويلدون، والسير جابرييل شتينباومس، الخبير المالى ".

" ثم هناك السير مانديرس ستون العالم الإنجليزى المحنك، وهناك أيضاً الليدى وستهولم، ذات الشأن الكبير فى السياسة الإنجليزية. وهناك المخبر الشهير هيركيول بوارو ".

" هيركيول بوارو الصغير؟ أهو هنا؟ ".

" قرأت اسمه فى الصحيفة المحلية من بين من وصلوا مؤخراً. يبدو لى كأن رجال العالم كله وزوجاتهم موجودون بفندق سليمان الآن. ياله من فندق هائل وفاخر كذلك، وزينته وتصميماته ذات ذوق عالٍ ".

كان من الواضح أن السيد " جيفرسون كوبى " يستمتع بوقته. أما عن الطبيب جيرار، فقد كان رجلاً يعرف كيف يبدى الكثير من سحر الشخصية عندما يحتاج إلى ذلك. ولم يمض وقت طويل حتى ذهب الرجلان إلى المقهى.

وبعد ذلك قال جيرار: " قل لى، أكانت تلك التى كنت تتحدث إليها أسرة أمريكية نمطية؟ ".

احتسى جيفرسون كوبى شرابه مفكراً. ثم قال: " لماذا؟ كلا، أنا لا أطلق عليها أسرة نمطية بالضبط ".

" كلا، أظن أنها عائلة متماسكة جداً ".

قال السيد كوبى ببطء: " أتقصد أنهم جميعاً يتمحورون حول السيدة العجوز؟ ذلك صحيح للغاية. إنها سيدة عجوز مرموقة ".

" حقًا؟ ".

لم يكن السيد كوبى بحاجة إلا إلى الحد الأدنى من التشجيع. كانت الدعوة الرقيقة كافية تمامًا.

" لا بأس فى أن أخبرك بذلك أيها الطبيب جيرار، لقد كنت أفكر كثيراً فى أمر تلك الأسرة مؤخراً. فقد فكرت كثيراً جداً بشأنهم. وإذا كان لى أن أقول هذا، فمن المريح لعقلى أن أتحدث إليك بشأن أمر تلك الأسرة. إذا لم يكن هذا شيئاً لا يبعث على الملل بالنسبة لك ".

نفى الطبيب جيرار شعوره بالملل. فواصل السيد جيفرسون كوبى حديثه ببطء، وقد تغضن وجهه الفرح الملىء بالحيرة والارتباك.

" سأقول لك مباشرة، إننى أشعر ببعض القلق، فالسيدة بوينتون هى صديقة قديمة، ولست أقصد السيدة بوينتون العجوز، بل السيدة الشابة، السيدة لينوكس بوينتون ".

" آه، نعم، تلك الشابة الجذابة ذات الشعر الأسود ".

" تماماً. تلك هى نادين. نادين بوينتون، وهى شخصية بديعة للغاية. لقد عرفتها قبل أن تتزوج، فقد كانت تتدرب فى مستشفى آنذاك، لتصبح ممرضة. ثم ذهبت لمهمة عمل لتمكث مع أسرة بوينتون فتزوجت من لينوكس ".

" حقًا؟ "

ارتشف السيد جيفرسون كوبى من العصير الذى أمامه وواصل قائلاً:

" وأود أن أخبرك أيها الطبيب جيرار طرفًا يسيراً من تاريخ عائلة بوينتون ".

" حقًا؟ إن ذلك شىء مثير للاهتمام ".

" حسناً، كما ترى، كان الراحل السيد إيلمر بوينتون رجلاً ذا شهرة واسعة جداً وذا شخصية ساحرة ـ تزوج مرتين. توفيت زوجته الأولى بينما كان كل من كارول وريموند مازالا طفلين يتعلمان المشى. الزوجة الثانية هى السيدة " بوينتون "، وكما قيل لى، كانت امرأة جميلة حين تزوجها، على الرغم من أنها لم تكن صغيرة السن. يبدو من الغريب التفكير فى أنها كانت جميلة ذات يوم بالنظر إليها الآن، ولكن هذا ما قيل لى من مصادر موثوق بها.

على أية حال، كان زوجها يضع لها كل الاعتبار ويستشيرها فى كل شىء. وقد تدهورت صحته وظل يعانى من المرض لبضعة أعوام قبل وفاته، وبصورة عملية تولت هى زمام الأمور. إنها امرأة بارعة للغاية، ولها عقل رائع فى إدارة الأعمال.

كما أنها صاحبة ضمير حى أيضًا. فبعد وفاة إيلمر، كرّست نفسها تمامًا لأولئك

الأطفال. وهناك ابنة لها كذلك، هى جنفرا ـ الفتاة الجميلة حمراء الشعر، لكنها رقيقة للغاية. حسناً، وكما كنت أقول لك، فإن السيدة بوينتون قد كرست نفسها بالكامل لعائلتها. انغلقت تماماً عن العالم الخارجى وحسب. والآن لا أدرى ما الذى تعتقده أيها الطبيب جيرار، لكنى لا أظن أن هذا دائماً ما يكون هو الأمر الصائب تماماً ".

" إننى أتفق معك. إنه شىء مُضر بالنسبة للأطفال فى مراحل النمو العقلى ".

" نعم، هذا هو التعبير السليم، وهو ما حدث بالفعل فلقد عزلت السيدة بوينتون هؤلاء الأطفال عن العالم الخارجى، ولم تسمح لهم مطلقاً بإقامة أى نوع من العلاقات مع الآخرين. ونتيجة لذلك كبروا، وهم على درجة من اضطراب الأعصاب. إنهم فى حالة دائمة من التوتر والاضطراب، إذا كنت تدرى ما أقصد، إنهم لا يمكنهم عقد صداقات مع غرباء. أليس ذلك أمراً سيئاً؟ ".

" إنه أمر فى غاية السوء ".

" ليس لدى أى شك فى النية الحسنة للسيدة بوينتون. لقد كان هناك إخلاص مفرط من جانبها ".

سأل الطبيب، " أجميعهم يعيشون فى المنزل؟ ".

" نعم ".

" ألا يعمل أى من الأبناء؟ ".

" لا. لقد كان إيلمر بوينتون رجلاً ثرياً. وقد ترك كل أمواله للسيدة " بوينتون "، غير أنه كان من الطبيعى أن هذه الأموال أيضاً من أجل إعالة الأسرة عموماً ".

" إذن فهم معتمدون عليها مالياً؟ ".

" هذا هو الأمر. ولقد حثتهم على العيش بالمنزل وعدم الخروج بحثاً عن أعمال أو وظائف. حسن، لعله ما من بأس فى ذلك، فهناك مال وفير، إنهم غير مضطرين للعمل، ولكنى أرى أنه ـ أى العمل ـ بالنسبة للذكور، على أية حال، دواء. ثم إن هناك شيئاً آخر ـ ما من أحد منهم لديه هواية من الهوايات، فهم لا يلعبون الجولف ولا ينتمون إلى أى نادٍ من نوادى الريف. ولا يذهبون للحفلات الراقصة أو يقومون بأى شىء مع الشباب الآخرين. يعيشون فى منزل هائل أشبه بالثكنات العسكرية فى قلب الريف على مسافة أميال من أى مكان آخر. إننى أقول لك أيها الطبيب جيرار إن الأمر كله يبدو لى غير صائب ".

قال الطبيب: " إننى أتفق معك ".

" ولا يتمتع أى منهم بأقل القليل من الحس الاجتماعى، أو روح الجماعة والتواصل.

هذا ما يفتقدون إليه! قد يكونون عائلة متماسكة ومخلصة جداً، لكنهم جميعاً منخرطون فى أنفسهم ومنغلقون بشدة ".

" ولكن ألم يحاول أى منهم أن ينتهج سلوكاً خاصاً به فى الحياة؟ ".

" لم أسمع أمراً كهذا. إنهم يكتفون بالجلوس وحسب! ".

" هل تلقى باللوم فى ذلك عليهم، أم على السيدة بوينتون؟ ".

التفت جيفرسون كوبى بضيق قائلاً:

" أظنها مسئولة بدرجة أو بأخرى عن ذلك. إنها تنشئة سيئة من جانبها. وبالقدر نفسه، حين يصل شاب لسن النضج، فالأمر بيديه أن يتمرد على أى سلطة أو تحكم من تلقاء نفسه. لا يجب أن يظل الصبى مرتبطاً وملتصقاً بأمه إلى الأبد. عليه أن يختار أن يكون مستقلاً ".

قال الطبيب جيرار فى تأمل: " لعل هذا كان مستحيلاً بالنسبة لهم؟ ".

" مستحيل لماذا؟ ".

" ثمة أساليب يا سيد كوب لمنع الشجرة من أن تنمو ".

حدق كوبى: " إنهم يتمتعون بصحة جيدة أيها الطبيب، جيرار ".

" يمكن أن يُعاق العقل عن النمو شأنه شأن الجسد ".

" كما أنهم ذوو عقول نيرة أيضاً ".

تابع جيفرسون كوبى كلامه قائلاً: " كلا أيها الطبيب على الرجل أن يكون سيد مصيره، وأن يمسك بزمام حياته بين يديه. الرجل الذى يحترم نفسه يشق سبيله معتمداً على نفسه ويصنع شيئاً بحياته. ولا يكتفى بالجلوس هكذا. فما من امرأة تحترم رجلاً يسلك هذا المسلك ".

نظر الطبيب جيرار نحوه بفضول لدقيقة أو اثنتين.

ثم قال: " على ما أحسب، فإنك تشير تحديداً إلى السيد لينوكس بوينتون؟ ".

" نعم، كان لينوكس هو من أفكر به. إن ريموند " مازال صبياً صغيراً. لكن لينوكس بلغ الثلاثين تقريباً. أى حان الوقت الذى يجب أن يحقق فيه شيئاً ".

" ربما تكون حياة صعبة بالنسبة لزوجته؟ ".

" بالطبع هى كذلك بالنسبة لها! إن نادين فتاة من طراز فريد جداً. وإننى لمعجب بها بشدة، إنها لم تنبس بكلمة شكوى واحدة، ولكنها ليست سعيدة، د. جيرار. إنها بائسة

إلى أقصى حد ".

أومأ جيرار برأسه موافقاً.

" نعم، أظن أن هذا هو الحال ".

" لا أدرى ما الذى ستظنه حول ذلك أيها الطبيب جيرار، لكنى أعتقد أن هناك حدوداً لما يمكن أن تتقبله وتتحمله أى امرأة!

وإذا كنت فى موضع نادين سأقولها صريحة للشاب لينوكس. فإما أن ينهض ويحاول إنجاز شىء فى الحياة، وإلا... ".

" وإلا، على ما تعتقد، ينبغى عليها أن تتركه؟ ".

" إن لديها حياتها الخاصة لتعيشها أيها الطبيب جيرار. وإذا لم يكن لينوكس يقدرها حق قدرها فإن هناك رجالاً آخرين سيقدرونها ".

" هناك أنت، على سبيل المثال؟ ".

احمر وجه الأمريكى. ثم نظر مباشرة نحو الآخر بقليل من الكبرياء والثبات.

قال: " هكذا الأمر. إننى لست خجلاً من مشاعرى نحو تلك السيدة، إننى أحترمها، وإننى أعترف بأنى منجذب لها بشدة. وكل ما أبتغيه هو سعادتها. ولو كانت سعيدة مع " لينوكس "، لتراجعتُ واختفيتُ من الصورة ".

" ولكن فى تلك الحال؟ ".

" مادام الأمر غير ذلك فإننى بجوارها دائماً! إذا احتاجت إلىّ، فإننى هنا بجانبها! ".

غمغم جيرار: " إنك فى الحقيقة، آخر فرسان الزمن النبيل ".

" عفواً؟ ".

" سيدى العزيز، الفروسية لا توجد حالياً إلا فى القليل النادر من الناس! إنك مستعد لخدمة محبوبتك بدون رجاء وبلا مقابل! إنه أكثر شىء يستحق الإعجاب! فما الذى تأمل على وجه التحديد فى أن تكون قادراً على تقديمه لها؟ ".

" إن كل ما أريده هو أن أكون قريباً منها إذا ما احتاجت إلىّ ".

" إذا سمحت لى بالسؤال، ما هو موقف السيدة بوينتون نحوك؟ ".

قال جيفرسون كوبى ببطء: " لم أكن مطمئناً أبداً بشأن تلك السيدة العجوز. فكما أخبرتك، إنها ليست مغرمة بإقامة أية علاقات خارجية. لكنها تعاملت معى بشكل

مختلف، فهى دائماً لطيفة جداً، وتعاملنى كأننى واحد من العائلة ".

" فى الحقيقة، هل توافق على صداقتك بالسيدة لينوكس؟ ".

" إنها موافقة ".

هز الطبيب جيرار كتفيه.

وقال متعجباً: " إن ذلك شىء غريب إلى حد ما؟ ".

قال جيفرسون كوبى بصرامة: " دعنى أؤكد لك أيها الطبيب، أنه ليس هناك ما يشين فى تلك الصداقة. إنها صداقه بريئة مائة بالمائة ".

" سيدى العزيز، إننى واثق من ذلك كل الثقة. لكنى أكرر، مع ذلك، أن تشجيع سيدة من نوع السيدة بوينتون لتلك الصداقة تصرف مثير للفضول وغريب من جانبها. أنت تعلم، يا سيد كوب، أن السيدة بوينتون تثير اهتمامى، إنها تثير اهتمامى بشدة ".

" إنها امرأة جديرة بكل اهتمام. إنها تتمتع بشخصية قوية، شخصية مهيمنة وبارزة لأبعد حد. وكما أقول، كان إيلمر بوينتون يثق فى آرائها ثقة مطلقة ".

" إلى الحد الذى جعله راضياً عن أن يترك أبناءه تحت سيطرتها كلية من الناحية المالية. فى بلادى يا سيد كوبى يكون من المستحيل قانونياً القيام بمثل هذا ".

نهض " السيد كوبى "، وقال: " نحن نؤمن إيماناً كبيراً بالحرية المطلقة فى أمريكا ".

ونهض الطبيب كذلك، لكنه لم يتأثر كثيراً بالملاحظة. سمعها كثيراً من قبل على ألسنة أشخاص من جنسيات عديدة مختلفة. فوهم أن الحرية حق مقصور على أمة بعينها دون الأخرى، لهو أمر شائع. كان الطبيب جيرار أكثر حكمة من ذلك. كان يعلم أنه ما من أمة، وما من دولة، وما من فرد واحد يمكن أن يوصف بالحرية. لكنه كان يعلم أيضاً أن هناك درجات مختلفة من العبودية.

ذهب لفراشه مشغول العقل ومفعماً بالاهتمام.

الفصل 6

وقفت سارة كنج فى ساحة الأقصى. كانت قبة الصخرة وراءها. وتناهت إلى أذنيها الأصوات المختلطة. مرت بها مجموعات صغيرة من السائحين دون أن يجرحوا سكينة وسلام الجو الشرقي.

ثم تناهى إليها وقع خطوات جماعة صغيرة آتية من داخل المسجد. كانت تلك هى أسرة بوينتون وبصحبتهم أحد المترجمين طلق اللسان. كانت السيدة بوينتون تتكئ فى أثناء سيرها على ذراعى كل من لينوكس وريموند. وخلفهما سارت نادين والسيد كوبى. ثم كارول فى المؤخرة. وبينما كانوا يخرجون، رأت كارول سارة.

ترددت قليلاً، ثم فى قرار مفاجئ انطلقت بخفة ودون جلبة وقطعت الباحة.

قالت لها متقطعة الأنفاس: " اسمحى لى، لابد أن.. إننى أشعر بأننى بحاجة لأن أتحدث إليك ".

قالت سارة: " نعم؟ ".

كانت " كارول " ترتجف بشدة. وعلا وجهها بياض الشحوب.

" إنه بشأن أخى. عندما تحدثت إليه ليلة أمس لابد أنك ظننت أنه كان يتحدث بوقاحة، لكنه لم يقصد أن يكون وقحاً ـ إنه ـ إنه لم يستطع أن يفعل غير ذلك. أرجوك صدقينى ".

رأت سارة أن المشهد برمته كان سخيفاً. فقد أهين كل من كبريائها وذوقها السليم. لماذا تضطر فتاة غريبة أن تندفع نحوها فجأة وتعرب عن اعتذار سخيف نيابة عن أخيها البائس؟

وحركت شفتيها فى صوت هامس، ثم فجأة تبدل مزاجها.

كان ثمة شىء خارج عن المألوف. فقد كانت هذه الفتاة. وأنبأتها غريزتها بأن هناك شيئاً سيئاً للغاية يحدث.

فقالت لها مشجعة: " أخبرينى عن ذلك ".

بدأت كارول: " لقد تحدث إليك على متن القطار، أليس كذلك؟ ".

أومأت سارة: " بلى، لقد بادرته الحديث، ولكن... ".

" بالطبع. لابد أن الأمور جرت هكذا. لكنك كما رأيت، فقد كان " رى " خائفا ليلة أمس.

توقفت.

" خائفا؟ ".

تحول بياض وجه كارول إلى حمرة الخجل.

" أوه، أعلم أن هذا يبدو عبثياً ـ بل جنوناً. كما ترين، فإن أمى ـ إنها ليست بخير ـ لا تحب أن نعقد صداقات خارجية ـ ولكن ـ لكن " رى " سيحب ـ يحب جدا أن يتخذك صديقة له ".

أثار هذا الكلام اهتمام سارة. وقبل أن تتمكن من الحديث، واصلت كارول قائلة: " إننى ـ إننى أعرف أن ما أقوله سيبدو سخيفاً للغاية، ولكننا ـ عائلة غريبة شيئاً ما ". ثم ألقت نظرة سريعة على ما حولها ـ كانت نظرة ملأها الخوف.

وغمغمت قائلة: " لا ـ لا يجب أن أبقى أكثر من ذلك، فقد يتركوننى ".

حزمت سارة أمرها، ثم تحدثت قائلة:

" لماذا لا تبقين مادمت تريدين ذلك؟ ".

" يمكننا أن نعود سوياً ".

تراجعت كارول قائلة: " أوه، كلا. لا يمكننى القيام بذلك ". قالت سارة: " ولم لا؟ ".

" لا يمكننى ذلك حقا ؛ فإن أمى سوف ـ سوف تكون... ".

قالت سارة فى وضوح وهدوء:

" أعرف أنه يكون أحياناً من الصعب للغاية على الآباء أن يدركوا أن أبناءهم قد كبروا. ويستمرون فى محاولة السيطرة على حياتهم. لكنه من المثير للشفقة الخضوع لسيطرتهم! فعلى المرء أن ينهض مطالباً بحقوقه ".

غمغمت " كارول ": " أنت لا تفهمين ـ لا تفهمين شيئاً... ".

وأخذت تفرك يديها فى عصبية.

فواصلت سارة حديثها قائلة: " إن المرء يستسلم أحياناً لأنه يخشى إثارة أية خلافات. ومن الصحيح أن الخلافات أمر مزعج، لكنى أعتقد أن حرية التصرف تستحق

النضال دوماً من أجلها ".

حدقت كارول فيها قائلة: " حرية؟ لن يحصل أحدنا على حريته مطلقاً. لن نكون أبداً أحراراً ".

قالت سارة بوضوح: " هذا هراء! ".

مالت كارول للأمام وأمسكت بذراعها، وقالت:

" اسمعينى. لابد أن أحاول أن أجعلك تفهمين! كانت أمى قبل زواجها ـ إنها زوجة أبى رحمه الله، إنها فى الحقيقة كانت سجانة فى أحد السجون. كان أبى هو محافظ المدينة فتزوجها. حسناً، هكذا جرت الأمور منذ ذلك الحين. استمرت فى لعب دور السجّانة معنا نحن. ولهذا السبب أرى أن حياتنا مثل ـ مثل السجن! ".

" لقد أحسوا بغيابى. لابد ـ لابد أن أذهب ".

أمسكت سارة بمرفقها وهى تندفع مبتعدة.

" دقيقة واحدة. لابد أن نلتقى مرة أخرى ونتحدث ".

" لا أستطيع. لن أكون قادرة على ذلك ".

" بل تستطيعين ". تحدثت سارة بثقة وهى تقول: " يمكنك المجىء إلى غرفتى بعد ذهابك للفراش. إنها رقم 319. لا تنسى، 319 ".

خففت عنها قبضتها. ركضت كارول فى أثر أسرتها.

وقفت سارة تحدق فيها وهى تسير مبتعدة. انتزعها من أفكارها وجود الطبيب جيرار إلى جانبها.

" صباح الخير آنسة كنج. إذن فقد كنت تتحدثين إلى الآنسة كارول بوينتون؟ ".

" نعم، لقد تبادلنا أغرب وأعجب محادثة. دعنى أخبرك بها ".

وكررت على مسامعه تفاصيل محادثتها مع الفتاة. وركز جيرار على مسألة واحدة.

" حارسة فى سجن! كانت هكذا، تلك الإخطبوط العجوز؟ إن ذلك له دلالة عميقة، ربما ".

قالت سارة:

" أتقصد أن هذا هو سر تسلطها؟ إنها عادة اكتسبتها من عملها السابق ".

هز جيرار رأسه نافياً.

" كلا، إن ذلك تناول للأمر من الزاوية غير الصحيحة. فهناك دافع خفى وراء ذلك. إنها لا تحب التسلط لأنها كانت حارسة. بل دعينا نقول إنها صارت حارسة لأنها أحبت التسلط. حسب افتراضى فقد كانت لديها رغبة سرية فى التسلط على كائنات بشرية أخرى، مما قادها إلى اتخاذ تلك المهنة ".

كان وجهه جاداً للغاية.

" هناك أمور فى غاية الغرابة مدفونة فى اللاوعى. شهوة السلطة ـ شهوة للقسوة ـ رغبة متوحشة فى التمزيق ـ كل الإرث المتبقى لنا من الذكريات الماضية.. كلها هناك موجودة، يا آنسة كنج، كل القسوة والوحشية والشهوة... وقد أغلقنا عليها الباب وأنكرنا وجودها فى الحياة الواعية، ولكن فى بعض الأحيان تكون أكثر قوة من أن نسجنها وننكرها ".

اقشعر بدن سارة وهى تقول: " أعلم ذلك ".

استمر " جيرار " فى حديثة قائلاً: " إننا نرى ذلك فيما حولنا اليوم ـ فى المعتقدات السياسية، فى أخلاقيات الدول. وهناك ردود أفعال المذهب الإنسانى، من الشفقة، من النية الحسنة. تبدو المعتقدات جيدة أحياناً، مثل نظام حكيم، أو مثل حكومة هادفة، ولكنها مفروضة بالقوة، تقوم على أساس من القسوة والخوف. دعاة العنف هؤلاء يفتحون الباب، يستدعون الوحشية القديمة، والفرحة القديمة بالقسوة لمجرد القسوة! آه، ما أصعب هذا. فما الإنسان إلا حيوان توازنه هش للغاية. وليس له إلا حاجة واحدة أساسية، أن يواصل البقاء وينجو. فإذا تقدم بأسرع من اللازم شىء مهلك بنفس القدر إذا ما تأخر عن الركب. لابد له أن يواصل البقاء! لا بد له، ربما يستعيد بعضاً من الوحشية والهمجية، ولكن لا ينبغى عليه أبداً أن يرفع ذلك إلى مصاف المقدسات! ".
مرت برهة صمت. ثم قالت سارة:

" أتعتقد أن السيدة العجوز بوينتون سادية بدرجة ما؟ ".

" أكاد أكون واثقاً من ذلك. أعتقد أنها تستمتع بإنزال الألم بالآخرين! الألم العقلى وليس البدنى. وهو أمر شديد الندرة، ومن الصعب التعامل معه للغاية. إنها تحب أن يكون لها السلطة على البشر الآخرين وتحب أن تراهم يعانون ".

قالت سارة: " ياله من شىء وحشى للغاية ".

أخبرها " جيرار " بمحادثته مع " جيفرسون كوب ". فقالت فى تأمل: " إنه غير مدرك لما يحدث؟ ".

" وكيف له ذلك؟ فهو ليس عالماً نفسياً ".

" صحيح. ليس لديه عقولنا المقززة! ".

" بالضبط. فله عقل لطيف، مستقيم، عاطفى، لرجل طبيعى. وهو يؤمن بالخير أكثر من الشر. ويرى أن الجو المحيط بعائلة " بوينتون " كله خطأ، لكنه يرى أن السيدة " بوينتون " مخلصة إخلاصاً شديداً، وليست متعمدة للشر والأذى ".

قالت سارة: " لابد أن هذا يسليها ".

" أتخيل أن هذا صحيح! ".

قالت سارة بنفاد صبر:

" ولكن لماذا لا يلوذون بالفرار؟ إنهم يستطيعون ذلك ".

هز جيرار رأسه نافياً.

" كلا، أنت مخطئة فى هذا. فهم لا يستطيعون. هل سبق لك أن رأيت التجربة القديمة على أحد الديوك؟ يقوم المرء برسم خط بالطبشور على الأرض، ويضع عليه عرف الديك. فيعتقد الديك أنه مربوط هناك. لا يمكنه أن يرفع رأسه! وهذا هو حال هؤلاء التعساء. لقد فعلت بهم المثل، تذكرى ذلك، منذ أن كانوا أطفالاً. وكانت سيطرتها عليهم سيطرة عقلية. لقد قامت بتنويمهم مغناطيسياً لكى يصدقوا أنهم لا يستطيعون عصيانها. نعم، أعلم أن معظم الأشخاص سيقولون إن هذا كلام سخيف ولا أساس له من صحة، ولكن أنا وأنت نعلم أن ذلك صحيح، لقد جعلتهم يعتقدون أن الاعتماد التام عليها شىء حتمى. لقد سجنوا لفترة طويلة إلى درجة أنه حتى لو انفتح باب السجن أمامهم فلن يلحظوا ذلك! فهناك على الأقل واحد منهم لم تعد له أية رغبة فى أن يكون حراً! وسيصيبهم جميعاً الخوف من الحرية.

سألته سارة بشكل عملى: " وماذا سيحدث عندما تموت؟ ".

هز جيرار كتفيه.

" إن ذلك تبعاً للوقت الذى سيحدث فيه ذلك. فإذا ما حدث هذا الآن، فأنا، أعتقد أنه لن يكون قد فات الأوان بعد. فالصبى والفتاة مازالا صغيرين وقابلين للتغير والتطور. سيصيرون على ما أعتقد أناساً طبيعيين. أما بالنسبة لـ " لينوكس "، فالأغلب أن الأمر قد ذهب إلى مدى بعيد. إذ يبدو لى رجلاً بارحه كل أمل تماماً ـ إنه يعيش صابراً ومتحملاً كبهيمة خرساء ".

قالت سارة بنفاد صبر: " كان على زوجته أن تفعل شيئاً ما! كان عليها أن تدفعه خارج تلك الدائرة! ".

" إننى أعتقد أنها قد تكون حاولت وأخفقت ".

" أتعتقد أنها تحت تأثير اللعنة هى الأخرى؟ ".

هز جيرار رأسه نافياً.

" كلا. لا أعتقد أن السيدة العجوز لها أى سلطان عليها، ولهذا السبب فهى تبغضها بشدة. لاحظى عينيها ".

قطبت سارة جبينها، وقالت: " إننى لا أستطيع أن أفهمها ولا أعرف ما يجول بخاطرها ـ أعنى ـ السيدة الشابة، فهل هى على علم بما يجرى؟ ".

" أظن أنه لديها فكرة واضحة بما يكفى ".

قالت سارة: " حسناً. لابد من قتل تلك السيدة العجوز! وإذا كان لى أن أصف لها وصفة ستكون بعض الزرنيخ فى شاى الصباح ".

ثم قالت فى تعجل:

" ماذا عن الفتاة الأصغر سناً ذات الشعر الأحمر، وتلك الابتسامة الفاتنة والخاوية من أى معنى؟ ".

قطب جيرار. " لا أدرى. ثمة شىء غريب بشأنها. إن جنفرا بوينتون هى ابنة المرأة العجوز بالطبع ".

" نعم. أفترض أن هذا سيكون أمراً مختلفاً ـ أليس كذلك؟ ".

قال جيرار ببطء: " لا أعتقد أنه عندما يستولى هوس السيطرة وشهوة القسوة على إنسان، فلا أعتقد أنه بوسعه عندئذٍ أن يستثنى من ذلك أى شخص ـ ولا حتى أقرب المقربين إليه ".

لبث صامتاً لدقيقة، ثم قال: " هل أنت مؤمنة يا آنسة؟ ".

قالت سارة ببطء: " إلى حد كبير، ولكنى أكره النفاق والرياء ".

قال د. جيرار بجدية: " إننى أومن على الأقل بشىء مهم من حياة الأنبياء العظام ـ ألا وهو التواضع وخفض الجناح.

إننى طبيب وأعلم أن الطموح الكبير والرغبة فى النجاح وامتلاك السلطة ـ كلها تؤدى إلى أبشع الأمراض للروح الإنسانية. فإذا تم إشباع تلك الرغبات، فإنها تؤدى إلى التباهى والغرور، والعنف والإشباع النهائى. وإذا لم يتم إشباعها، فآه. من ذلك! افتحى أبواب مستشفيات الأمراض العقلية جميعها، واسمعى لشهادات نزلائها! تلك الأماكن مكتظة بالأشخاص الذين عجزوا عن تقبل كونهم محدودين، غير مميزين، غير مؤثرين، وبالتالى خلقوا لأنفسهم سبلاً للفرار من الواقع، وهكذا تم بناء حاجز يفصلهم عن الواقع وينأى بهم عن الحياة إلى الأبد ".

قالت سارة باندفاع: " من المحزن أن السيدة بوينتون العجوز ليست نزيلة فى إحدى المصحات العقلية ".

هز جيرار رأسه نافياً:

" كلا، فمكانها ليس هناك وسط الفاشلين. بل مكانها أسوأ من ذلك. لكنها قد نجحت، كما ترين! لقد أنجزت حلمها ".

اقشعر بدن سارة.

وصاحت فى شغف وحرارة: " لا يجب أن تحدث مثل تلك الأمور ".

الفصل 7

تساءلت سارة كثيراً إذا ما كانت كارول بوينتون ستأتى فى موعدها تلك الليلة.

كانت متشككة نحو الأمر برمته. كانت تخشى أن يكون لكارول رد فعل حاد بعد الثقة والاعتراف اللذين أظهرتهما ذلك الصباح.

ومع ذلك فقد استعدت، فارتدت فستاناً من الستان الأزرق وأخرجت مصباحاً متنقلاً صغيراً وجهزت غلاية الماء.

وصلت للحد الذى كادت تيأس عنده من مجىء كارول (فقد تجاوزت الساعة الواحدة صباحاً) فذهبت للفراش، وعندئذ سمعت طرقاً على بابها. فتحته وتراجعت بسرعة لتسمح بدخول كارول.

قالت كارول وهى تلهث: " كنت أخشى أن تكونى قد خلدت للنوم... ".

كان سلوك سارة حريصاً فى حقيقة الأمر.

" أوه، كلا، لقد كنت فى انتظارك. هل ترغبين فى بعض من الشاى؟ ".

" إنه من النوع الممتاز ".

أحضرت لها قدحا. كانت كارول متوترة وغير واثقة من نفسها. ولكنها تناولت الشاى الآن والبسكويت، وأصبحت فى حالة أكثر هدوءاً.

قالت سارة بابتسامة: " هذا غريب بعض الشىء ".

بدت كارول مندهشة قليلاً.

وقالت فى ريبة: " نعم، نعم، أظنه كذلك ".

واصلت سارة: " أقرب إلى ولائم منتصف الليل التى اعتدنا على إقامتها فى المدرسة، أظنك لم تذهبى إلى المدرسة؟ ".

هزت كارول رأسها بالنفى.

" كلا، لم نغادر المنزل مطلقاً. كان لدينا مربيات مختلفات. ولم يكن يبقين لفترة طويلة ".

" ألم تبتعدى أبدا عن المنزل؟ ".

" كلا. لقد عشنا معاً فى المنزل نفسه. هذه هى المرة الأولى التى نسافر فيها إلى مكان ما، أول مرة أبتعد فيها عن المنزل ".

قالت سارة بعفوية: " لابد أنها بمثابة مغامرة شيقة ".

" نعم، هى كذلك إنها، إنها أقرب إلى الحلم ".

" ولكن ما الذى جعل زوجة أبيك تقرر السفر إلى الخارج؟ عند ذكر اسم السيدة بوينتون، تراجعت كارول إلى الخلف ". قالت سارة على الفور:

" أتعرفين، إننى طبيبة. ولقد حصلت لتوى على درجة البكالوريوس. وأمك ـ أو زوجة أبيك ـ نموذج مثير لاهتمامى جداً ـ كحالة، أقصد: علىّ أن أقول إنها كانت حالة مرضية بلا خلاف ".

حدقت كارول. كان من الواضح أنها وجهة نظر غير متوقعة بالمرة بالنسبة لها. تكلمت سارة هكذا بنية متعمدة. فقد أدركت أن السيدة بوينتون بالنسبة لأفراد أسرتها نموذج مقدس له قوة وتأثير هائلان، وكان هدف سارة أن تحطم هذا النموذج الزائف وتعرى العجوز من صبغتها المخيفة.

قالت: " هذا صحيح. هناك نوع من المرض ـ من جنون العظمة ـ يحكم قبضته على الأشخاص للغاية ويصرون على أن تجرى كل الأمور وتصير حسب رغباتهم وأهوائهم، ومن الصعب للغاية التعامل معهم ".

وضعت كارول قدحها جانبا.

صاحت: " أوه، إننى سعيدة للغاية لتحدثى إليك. حتما، فكلما تعرفين، إننى أظن أننى وريموند صرنا... إلى حد كبير غريبى الأطوار. ولقد فكرنا مرارا وطويلا بشأن أشياء كثيرة ".

قالت سارة: " إن التحدث إلى شخص خارج المحيط الأسرى هو دائماً أمر طيب ؛ فداخل محيط الأسرة يميل المرء لأن يكون صلبا وشديداً أكثر من اللازم ". ثم سألتها بعفوية قائلة: " إذا لم تكونى سعيدة، فلماذا لم تفكرى من قبل فى مغادرة المنزل؟ ".

بدت على كارول الدهشة والارتباك: " أوه، كلا! كيف لنا هذا؟ إننى ـ إننى أقصد أن أمى لن تسمح لنا بهذا أبداً ".

قالت سارة برقة: " ولكنها لا تستطيع منعكم. فلقد تجاوزتم سن الرشد ".

" إننى فى الثالثة والعشرين ".

" بالضبط ":

" ولكننى مع ذلك، لا أدرى كيف لنا ـ أقصد، لا أعرف إلى أين سأذهب وماذا سأفعل؟ ".

بدت نبرتها مرتبكة وحائرة.

ثم قالت: " كما ترين. فليس لدينا أية أموال ".

" أليس لديكم أصدقاء يمكنكم التوجه إليهم؟ ".

" أصدقاء؟ "، هزت كارول رأسها بالنفى وقالت: " كلا، لا نعرف أى شخص! ".

" ألم يخطر لواحد منكم أن يغادر المنزل؟ ".

هزت كارول رأسها ببطء وهمست بصوت منخفض ومذعور: " إننى أكرهها. وأيضاً ريموند... ولقد ـ لقد تمنينا طويلاً أن تموت ".

وهنا غيرت سارة الموضوع مرة أخرى.

" كلمينى عن أخيك الأكبر ".

" لينوكس؟ لا أدرى ما الذى ألم به. إنه نادراً ما يتكلم الآن. أنه يغرق فى نوع من أحلام اليقظة. ونادين قلقة عليه قلقاً شديداً ".

" هل تحبين زوجة أخيك؟ ".

" نعم، إن نادين مختلفة. ودائماً ما تظهر عطفها. لكنها بائسة للغاية ".

" لحال أخيك ".

" نعم ".

" هل تزوجا منذ فترة طويلة؟ ".

" منذ أربعة أعوام ".

" وهل عاشا على الدوام فى المنزل؟ ".

" نعم ".

سألت سارة: " وهل يروق لك ما يحدث لزوجة أخيك؟ ".

" لا ".

ثم سادت فترة من الصمت، قالت بعدها كارول:

" ثارت ضجة رهيبة قبل أربعة أعوام أو ما يزيد على ذلك. فكما قلت لك لم يخرج أحدنا مطلقا من المنزل. أقصد أننا قد نذهب إلى الأراضى الزراعية فقط، ولكن ليس إلى أبعد من ذلك. لكن لينوكس تعدى ذلك الحد، فقد خرج فى إحدى الليالى. وذهب إلى فاونتن سبرنجز ـ حيث كان هناك حفل راقص. استشاطت الأم غضباً بشكل مخيف عندما اكتشفت ذلك. كان حادثاً رهيباً. وعندئذ، طلبت من نادين أن تأتى وتقيم معنا. كانت نادين إحدى القريبات ولكن من بعيد. كانت فقيرة جداً وتتدرب لتكون ممرضة. أتت وأقامت معنا لشهر. لا يمكننى أن أقول لك مدى الإثارة فى أن يأتى شخص ما ليقيم معنا! ووقعت هى ولينوكس فى حب بعضهما البعض. وقالت الأم إن من الأفضل أن يتزوجا بسرعة ويعيشا معنا ".

" وهل كانت نادين مستعدة للقيام بتلك الخطوة؟ ".

ترددت كارول:

" لا أظنها أرادت أن تقوم بذلك، لكنها لم تمانع حقّاً، بعدها أرادت أن تبتعد ـ مع لينوكس، بالطبع ".

سألت سارة: " لكنهما لم يذهبا؟ ".

" كلا، لم تستمع الأم لهما ".

توقفت سارة، ثم قالت:

" لا أظنها ما زالت تحب نادين. إن نادين غريبة. لا يمكنك أن تعرفى مطلقا فيم تفكر! إنها تحاول أن تساعد جينى ولكن الأم لا يروقها ذلك ".

" جينى هى أختكم الصغرى؟ ".

" نعم اسمها الحقيقى جنفرا ".

" أليست سعيدة هى الأخرى؟ ".

هزت كارول رأسها فى ريبة وقالت:

" لقد كانت جينى فى حالة غريبة جداً مؤخراً. إننى لا أفهمها. فقد كانت دائماً رقيقة ومرهفة الحس ـ وكانت الأم تتكلم عنها كثيراً بضيق ـ وهو ما جعل حالتها تزداد سوءاً. ومؤخراً كانت حالة جينى غريبة حقا. إنها ـ إنها تخيفنى أحياناً. إنها. إنها دائماً لا تعرف ماذا تفعل ".

" ألم تعرضوها على طبيب؟ ".

" لا، لقد أرادت نادين ذلك، لكن الأم رفضت ـ وأصابت جينى حالة هيستيرية

وراحت تصرخ، وقالت إنها لن تعرض على أى طبيب ولكننى قلقة حيالها ".

نهضت كارول فجأة.

" لا يجب أن أبقيك ساهرة. إنه ـ إنه كرم كبير منك أن تسمحى لى بالمجىء والتحدث إليك. لابد أنك تعتقدين أننا أسرة غريبة للغاية ".

قالت سارة فى خفة: " آه، كل منا غريب بشكل ما فى الحقيقة ".

" أتمنى أن تأتى مرة أخرى، وأحضرى أخاك، إذا راق لك هذا ".

" هل يمكننى ذلك حقا؟ "

" نعم، سنضع بعض الخطط السرية. أود منك أن تلتقى بصديق لى أيضاً، إنه د. جيرار. رجل فرنسى فى غاية اللطف ".

احمرت وجنتا كارول.

" أو، كم يبدو هذا لطيفاً. لو لم تكتشف الأم أمرنا فقط ".

كبحت سارة جماح ردها المباشر وقالت بدلاً من ذلك: " ولماذا يجب أن تكتشف هذا؟ طاب مساؤك. هل يمكننا أن نقول مثلاً إننا سنلتقى غداً ليلاً فى الوقت نفسه؟ "

" نعم فبعد غد، كما ترين، نكون قد انتقلنا من هنا ".

" إذن ليكن موعدنا غداً. طاب مساؤك ".

" طاب مساؤك ـ وشكراً لك ".

خرجت كارول من الغرفة وانسلت فى هدوء عبر الردهة. كانت غرفتها فى الطابق العلوى. وصلت إليها، فتحت الباب ـ ووقفت مندهشة على العتبة. كانت السيدة بوينتون تجلس فى مقعد كبير بجوار المدفأة فى عباءة نوم صوفية قرمزية اللون.

ندت عن شفتى كارول صيحة صغيرة ". أوه! ".

انغرست فيها عينان سوداوان.

" أين كنت يا كارول؟ ".

" أنا ـ أنا ".

" أين كنتِ؟ ".

ذلك الصوت الأجش بنبرته المهددة الغريبة تلك، كان دائماً يجعل قلب كارول يدق برعب هائل.

" كنت أرى الآنسة كنج ـ سارة كنج ".

" الفتاة التى تحدث إليها ريموند ذلك المساء؟ ".

" نعم يا أمى ".

" هل تنوين رؤيتها مرة أخرى؟ ".

تحركت شفتا كارول دون أى صوت. أومأت برأسها بالإيجاب.

سرت بها موجات من الخوف الهائل...

" متى؟ ".

" ليلة غد ".

" لن تذهبى. مفهوم؟ ".

" نعم يا أمى ".

" أتعدين بهذا؟ ".

كافحت السيدة بوينتون للنهوض. واقتربت منها كارول فى حركة آلية وعاونتها. مشت السيدة بوينتون ببطء عبر الغرفة وهى تستند على عصاها. توقفت عند مدخل الباب ونظرت خلفها نحو الفتاة التى كانت ترتجف من شدة الرعب.

" ليس لك أى شأن بالآنسة كنج. مفهوم؟ ".

" نعم يا أمى ".

" كررى هذا ".

" ليس لى أى شأن بالآنسة كنج ".

" جيد ".

خرجت السيدة بوينتون وأغلقت الباب.

تحركت كارول بتصلب عبر الغرفة. شعرت بالغثيان، وتخشب جسمها كله وكأن الروح تغادره. ألقت بنفسها على الفراش وأخذت فجأة ترتجف فى عاصفة من النحيب.

بدا الأمر كما لو أن قطعة من الأفق لاحت لها، قطعة صغيرة من نور الشمس والأشجار والزهور...

ولكن الآن عادت الجدران السوداء لتحيط بها من جديد.

الفصل 8

" أيمكننى أن أتحدث إليك لدقيقة؟ ".

التفتت نادين بوينتون فى دهشة، وهى تحدق فى الوجه الداكن المتلهف للشابة التى لا تعرفها بالمرة.

" ولم لا؟ بالطبع ".

وبينما كانت تتحدث، كانت تلقى دون وعى منها نظرة عصبية سريعة من ورائها.

" اسمى سارة كنج ". واصلت الأخرى.

" أوه، نعم؟ ".

" سيدة بوينتون، سوف أقول شيئًا قد يبدو غريباً بالنسبة لك، لقد تحدثت إلى أخت زوجك لوقت طويل البارحة ".

تغيرت تعبيرات وجه نادين بوينتون الهادئة إلى حد ما.

" تحدثت إلى جنفرا؟ ".

" كلا، ليست جنفرا ـ بل كارول ".

تلاشى الظل: " أوه، أفهم ذلك ـ كارول ".

عادت تعبيراتها الهادئة مرة أخرى.

" حسناً، فهمت ـ كارول ".

بدت نادين بوينتون مسرورة، ولكنها مندهشة دهشة كبيرة. " ولكن كيف نجحت فى ذلك؟ ".

قالت سارة: " لقد أتت إلى غرفتى فى وقت متأخر قليلا ".

لاحظت الارتفاع الهين للحاجبين الرفيعين على الجبهة البيضاء. قالت بشىء من الحرج:

" أنا واثقة من أن هذا سيبدو لك غريبًا جداً ".

قالت نادين بوينتون: " كلا، إننى سعيدة للغاية. سعيدة حقا ".

" فمن اللطيف جداً أن تجد كارول صديقًا تتحدث إليه ".

" لقد ـ لقد توافقنا معًا جداً. حاولت سارة أن تنتقى كلماتها بحرص وعناية. والحق إننا رتبنا لكى نلتقى مرة أخرى فى الليلة التالية ".

" نعم ".

" لكن كارول لم تأت ".

" ألم تأت؟ ".

كان صوت نادين هادئًا. متأملاً. ولم ينبئ وجهها الهادئ اللطيف عن أى شىء لسارة.

" كلا. وبالأمس مرت من الردهة. وتحدثت إليها لكنها لم تجب، بل نظرت إلىّ فقط نظرة واحدة، ثم مضت مبتعدة، وأسرعت ".

" فهمت ".

سادت برهة من صمت. وجدت سارة صعوبة فى مواصلة الحديث.

قالت نادين بوينتون على الفور: " إننى آسفة جداً. إن كارول شابة متوترة قليلاً ".

ثم ساد الصمت من جديد. استجمعت سارة شجاعتها. وقالت: " تعرفين يا سيدة بوينتون، إننى بالمصادفة طبيبة. وأعتقد ـ أعتقد أنه سيكون من الطيب لأخت زوجك ألا تنغلق على نفسها وتنأى عن البشر ".

نظرت نادين بوينتون فى تأمل نحو سارة.

وقالت: " فهمت. أنت طبيبة. هذا يجعل الأمر مختلفًا ".

استحثتها سارة: " أتدركين ما أرمى إليه؟ ".

أحنت نادين رأسها، فكانت لا تزال تتأمل وتفكر.

قالت بعد صمت دقيقة أو اثنتين: " إنك محقة تماما، بالطبع. لكن هناك بعض الصعوبات. إن حماتى ليست بصحة جيدة، ولديها ما يمكن لى أن أسميه رفضاً شديداً لأى اختراق خارجى لحلقة أسرتها ".

قالت سارة مستفزة: " لكن كارول امرأة ناضجة ".

هزت نادين بوينتون رأسها بالنفى.

قالت: " عجباً، كلا، إنها كذلك من ناحية الشكل فقط، ولكن هى ليست كذلك

من الناحية العقلية. إذا كنت قد تحدثت إليها فلابد أنك قد لاحظت ذلك. ففى أى حالة طارئة ستظهر على الدوام بسلوك يشبه سلوك طفلة مذعورة ".

" أتعتقدين أن هذا هو ما حدث؟ أتعتقدين أن الخوف قد أصابها؟ ".

" إننى أتخيل يا آنسة كنج أن حماتى أصرت على أن تقطع كارول كل صلة لها بك ".

" وكارول أذعنت لذلك؟ ".

قالت نادين بوينتون بهدوء: " أتتصورين حقًا أن بوسعها أن تفعل أى شىء آخر؟ ".

التقت عيون المرأتين. وأحست سارة بأنهما تفهمان بعضهما البعض على الرغم من قناع الكلمات الرصينة. لكن نادين لم تكن مستعدة لتناقش ذلك على أى نحو.

شعرت سارة بخيبة أمل. وفى ذلك المساء التالى بدا لها كما لو أنها ربحت نصف المعركة. فعن طريق اللقاءات السرية كانت تود أن تبث فى كارول روح التمرد، نعم، وريموند كذلك. (فلتكن الآن صريحة، ألم يكن ريموند حقًا هو ما كان يشغل خاطرها طيلة الوقت؟).

والآن فى الدورة الأولى من المعركة تنهزم عن طيب خاطر على يد تلك الكتلة من اللحم وشرها المستطير، وأمام عينيها المتشفيتين. لقد استسلمت كارول وأذعنت بلا أى نزاع.

صاحت سارة: " الأمر كله خطأ فى خطأ! ".

لم تجبها نادين. لكن شيئًا ما فى صمتها تسلل إلى نفس سارة مثل يد باردة تعتصر فؤادها. حدثت نفسها قائلة: " هذه المرأة يعتريها اليأس أكثر منى بكثير. إنها تتعايش معه! ".

انفتح باب المصعد، وظهرت السيدة بوينتون العجوز.

كانت تنحنى على عصا، وريموند يسندها من الجانب الآخر.

نظرت سارة نحوها، فرأت عينى العجوز موجهة نحوها ثم إلى نادين ثم تعود لتنظر لها من جديد. لقد كانت مستعدة لنظرة رفض من هاتين العينين ـ بل مستعدة للبغض الصريح منها. لكنها لم تكن مستعدة لما رأته فيهما من سعادة وتشفٍ. التفتت سارة وابتعدت. مشت نادين قدمًا وانضمت للاثنين الآخرين.

قالت السيدة بوينتون: " إذن أنت هنا يا نادين. سأجلس لأستريح قليلاً قبل أن نخرج ".

أجلساها على مقعد عالى الظهر، وجلست نادين إلى جوارها.

" مَنْ الذى كنت تتحدثين إليه يا نادين؟ ".

" آ... آنسة كنج ".

" حسناً، إنها الفتاة التى كنت تتحدث إليها يا ريموند هذا المساء. حسناً، يا ريِ، لم لا تذهب وتتحدث إليها الآن؟ إنها تقف هناك لدى طاولة الكتابة ".

اتسع فم المرأة العجوز بابتسامة شريرة وهى تنظر نحو ريموند، فاحمر وجهه، وأدار رأسه بعيدا وغمغم بشىء ما.

" ما الذى تقوله يا بنى؟ ".

" لا أريد أن أتحدث إليها ".

" لن تتحدث إليها. لم يعد بك أى رغبة فى ذلك! ".

وسعلت فجأة سعلة ذات حشرجة.

قالت: " إننى أستمتع بهذه الرحلة يا نادين. لم أكن لأستعيض بأى شىء آخر بدلاً منها ".

" كلا ".

كان صوت نادين لا يشى بأى شىء.

" رى ".

" نعم يا أمى؟ ".

" أحضر لى بعض أوراق الكتابة ـ من تلك الطاولة التى هناك فى الركن ".

نهض ريموند ومضى مذعنًا. رفعت نادين رأسها. وراقبت، لم تراقب الصبى، بل المرأة العجوز. لقد انحنت السيدة بوينتون إلى الأمام، واتسعت فتحتا أنفها كما لو أنها تستمتع بذلك. مرّ رى بالقرب من سارة. تطلعت إليه، وبدا على وجهها بعض الأمل والرجاء، لكنه تلاشى حين تجاوزها متجاهلاً، وتناول بعض ورق الكتابة من الحقيبة وسار مبتعداً عبر الردهة.

تصببت قطرات صغيرة من العرق على جبينه عندما عاد إليهما، وكان وجهه شاحبًا شحوب الموتى!

غمغمت السيدة بوينتون بنعومة بالغة: " حسناً " وهى تراقب وجهه.

ثم رأت عينى نادين مثبتتين عليها. وفيهما ما جعلها تتكلم بغضب مفاجئ.

قالت: " أين السيد كوبى هذا الصباح؟ ".

سقطت عينا نادين مرة أخرى. أجابتها بصوتها اللطيف الخالى من أى تعبير قائلة:

" لا علم لى. فأنا لم أره ".

قالت السيدة بوينتون: " إنه يروق لى. يروق لى كثيراً جداً ".

" لابد أن نكثر من رؤيته. إن ذلك يروق لكِ أيضاً، أليس كذلك؟ ".

قالت نادين: " بلى، إنه يروق لى أنا أيضًا كثيراً ".

" ما خطب لينوكس مؤخراً؟ يبدو لى ضجراً وهادئا. أثمة ما يسوء بينكما؟ ".

" على الإطلاق. ولا يجب أن يكون الحال كذلك؟ ".

" إننى أتساءل فقط. فالمتزوجون لا يكونون دائمًا على وفاق. ربما ستكونين أكثر سعادة إذا عشتما فى بيت خاص بكما؟ ".

لم تحر نادين جواباً.

" حسنًا، ما قولك فى هذه الفكرة؟ ألا تبدو جذابة لك؟ ".

هزت نادين رأسها. قالت، مبتسمة: " لا أظنها تبدو جذابة لك أنت يا أماه ".

ارتعش جفنا السيدة بوينتون وقالت بحدة وغل: " إنك تقفين دائمًا ضدى يا نادين ".

أجابت الشابة فى صوت لا يشى بأى انفعال:

" إننى آسفة لظنك هذا ".

شددت العجوز قبضتها على عصاها. وبدا أن وجهها علاه ظل أكثر حمرة.

قالت، بتغيير فى نبرة الصوت: " لقد نسيت دوائى. أحضريه لى يا نادين ".

" فى الحال ".

نهضت نادين وعبرت الردهة نحو المصعد. تبعتها السيدة بوينتون بعينيها. وجلس ريموند ساكناً فى مقعده، وكانت عيناه تنمان عن بؤس وتعاسة.

صعدت نادين الدور العلوى وسارت عبر الردهة. دخلت إلى غرفة المعيشة بجناحهم الخاص بالفندق. كان لينوكس جالساً إلى جوار النافذة. وكان بين يديه كتاب، لكنه لم يكن يقرأ. نهض فى تثاقل حين دخلت نادين إلى الغرفة وقال: " مرحبًا نادين ".

" لقد أتيت من أجل دواء الأم. لقد نسيته ".

توجهت نحو غرفة نوم الأم. أخذت من خزانة الأدوية قطرات منه فى حرص بداخل كوب صغير به بعض الماء. وبينما تمر من غرفة المعيشة مرة أخرى توقفت.

" لينوكس ".

مضت دقيقة أو اثنتان قبل أن يجيبها. بدا كما لو أن الرسالة قطعت طريقًا طويلاً للوصول إليه.

ثم قال: " أستميحك عذرًا. ماذا قلت؟ ".

وضعت نادين بوينتون الكوب بحرص على المنضدة. ثم مشت وجلست إلى جواره.

" لينوكس، انظر إلى نور الشمس ـ هناك بالخارج، من النافذة. انظر إلى الحياة. إنها بديعة. قد نكون هناك بالخارج. بدلاً من الجلوس هنا والتطلع عبر النافذة ".

ساد الصمت من جديد. ثم قال: " إننى آسف، هل تريدين الخروج؟ ".

أجابته بسرعة: " نعم، أريد أن أخرج معك. هناك إلى نور الشمس، هناك إلى الحياة، نحيا سوياً ".

انكمش فى مقعده. وبدت عيناه زائغتين ".

" نادين يا عزيزتى ـ أيجب علينا أن نخوض فى هذا كله من جديد؟ ".

" نعم، يجب. دعنا نبتعد ونبنى حياتنا فى مكان ما ".

" وكيف لنا ذلك؟ ليس لدينا أية نقود ".

" نستطيع أن نكسب النقود ".

" وكيف ذلك؟ ما الذى يمكننا عمله؟ أنا بلا خبرة. هناك آلاف الرجال، المؤهلين وذوى الخبرة، ومع ذلك فهم لا يجدون عملاً. لا يمكننا أن ننجح فى هذا ".

" سأكسب النقود لكلينا ".

" يا طفلتى الحبيبة، إنك لم تتمى تدريبك قط. الوضع يائس ومستحيل ".

" كلا، بل الوضع اليائس والمستحيل هو حياتنا الحالية ".

" إنك لا تعلمين عما تتحدثين. الأم طيبة جداً معنا. وتوفر لنا كل سبل الرفاهية ".

" ما عدا الحرية يا لينوكس، فلتبذل جهداً. تعال معى الآن. اليوم ".

" أظنك قد جننت يا نادين ".

" كلا، أنا عاقلة. فى تمام العقل والرشد. إننى أبتغى حياة خاصة بى، معك، تحت نور الشمس... وليس تحت كبت ظلام سيدة عجوز متسلطة تستمتع بتعاسة الآخرين ".

" قد تكون الأم متحكمة قليلاً ".

" أمك مجنونة! إنها مخبولة ".

أجابها فى وداعة وهدوء: " هذا ليس صحيحاً. إن لديها عقلاً ممتازاً فى إدارة الأعمال ".

" ربما، نعم ".

" وعليك أن تدركى يا نادين أنها لن تعيش إلى الأبد. إنها تشيخ وصحتها معتلة للغاية. وعند وفاتها سيقسم مال الأسرة بالتساوى بيننا. أتذكرين، لقد قرأت علينا الوصية؟ ".

قالت نادين: " عندما تموت! ربما يكون قد فات الأوان ".

" فات الأوان؟ ".

" فات الأوان على الحياة السعيدة ".

غمغم لينوكس: " فات الأوان على الحياة السعيدة! ".

وارتجف فجأة، عندها اقتربت منه نادين، ووضعت يدها على كتفه.

" لينوكس، إننى أحبك. إنها معركة بينى وبين أمك فهل ستكون فى صفى أم صفها؟ ".

" فى صفك ـ فى صفك! ".

" فلتفعل إذن ما أطلبه منك ".

" إنه أمر مستحيل ".

" كلا، ليس مستحيلاً. فلتفكر يا لينوكس، إننا قد نرزق بأطفال... ".

" الأم تريدنا أن ننجب أطفالاً. ولقد قالت هذا ".

" أعرف، لكنى لا أريد أن أجلب أطفالاً إلى العالم ليعيشوا فى الظلال التى نشأتم جميعاً تحتها. يمكن لأمك أن تؤثر فيك، لكن ليس لها أى سلطة علىّ ".

غمغم لينوكس: " إنك تدفعينها إلى الغضب أحيانًا. نادين، ليس فى هذا أية حكمة ".

" إنها غاضبة فقط لأنها تعرف أنها لا يمكنها أن تؤثر فى عقلى، أو أن تملى علىّ أفكارى! ".

" أعلم أنك دائماً مهذبة ولطيفة معها. إنك رائعة. إنك أكثر مما أتمنى، وكنتِ هكذا على الدوام. عندما قبلت بالزواج منى كان الأمر بالنسبة لى أقرب إلى حلم لاَ يصدق ".

قالت نادين فى هدوء: " لقد أخطأت بالزواج منك ".

قال لينوكس فى يأس: " نعم، لقد أخطأتِ ".

" أنت لا تفهم. ما أقصده أنه إذا ابتعدت فى ذلك الوقت وطلبت منك أن تتبعنى لكنت قمت بذلك. نعم، أعتقد حقاً أنك كنت ستتبعنى... لم أكن ماهرة بما يكفى عندئذ لكى أفهم أمك وما تريده ".

صمتت، ثم قالت: " أترفض أن نبتعد عنها؟ حسناً، لا يمكننى أن أرغمك على ذلك. لكننى حرة فى الذهاب! أعتقد، أعتقد أننى سوف أمضى ".

حدّق فيها دون تصديق. وللمرة الأولى جاء رده بسرعة، وكأنما قد تسارع التيار الكسول لأفكاره. قال متلعثماً متلجلجاً: " لكن ـ لكن. لا يمكنك ذلك. فالأم ـ الأم لن تسمح أبداً.

" لا يمكنها منعى ".

" لا مال لديك! ".

" يمكننى أن أوجده، أقترضه، أتسوله أو حتى أسرقه. أتفهم يا لينوكس، ليس لأمك سلطة علىّ! أستطيع أن أذهب أو أن أبقى بإرادتى. لقد بدأت أشعر بأننى احتملت هذه الحياة أكثر مما ينبغى ".

" نادين ـ لا تتركينى، لا تتركينى... ".

نظرت إليه مفكرة ـ هادئة ـ بتعبير محايد.

قال: " لا تتركينى يا نادين ".

كان يتحدث مثل طفل صغير. أشاحت برأسها بعيداً، لكى لا يرى تعبير الألم المفاجئ الذى ارتسم فى عينيها.

انحنت إلى جواره.

" إذن تعال معى. تعال معى! تستطيع ذلك. تستطيع حقاً فقط إذا أردت.

تقلص مبتعداً عنها.

" لا أستطيع. لا أستطيع، قلت لك لا أستطيع ـ لا ـ أعنى يا إلهى...! لا أجد الشجاعة ".

الفصل 9

دلف الطبيب جيرار إلى شركة الميسيرز كاسل، السياحية، ووجد سارة كنج تقف عند مكتب الاستقبال.

تطلعت إليه.

" صباح الخير. إننى أؤكد رحلتى إلى البتراء. لقد سمعت تواً أنك ستذهب على كل حال ".

" نعم، وجدت أننى أستطيع تدبر ذلك ".

" إنه أمر لطيف ".

" تُرى هل سنكون جماعة كبيرة هناك؟ ".

" يقولون إن هناك امرأتين أخريين ـ وأنا وأنت فى سيارة واحدة ".

قال جيرار بإيماءة صغيرة: " سيكون هذا رائعًا ". ثم انشغل بدوره فى شئونه.

على الفور، أمسك برسائله بين يديه، ثم لحق بسارة بينما هى تخرج من الشركة. كان نهاراً مشمساً ومنعشًا، بنسيم بارد برودة معتدلة ينتشر فى الجو.

سأل الطبيب جيرار: " هل من أخبار عن أصدقائنا، آل بوينتون؟ فلقد ذهبت إلى بيت لحم وإلى أماكن أخرى ـ فى رحلة لثلاثة أيام ".

ببطء وعلى غير رغبة شديدة منها، قصت سارة له محاولاتها الفاشلة لإقامة علاقات مع أفراد العائلة.

ثم أنهت حديثها قائلة: " لقد أخفقت على أية حال. وهم يغادرون اليوم ".

" إلى أين سيذهبون؟ ".

" ليس لدىّ أدنى فكرة ".

واصلت قائلة فى ضيق: " أشعر كأننى جعلت من نفسى حمقاء مُضحكة! ".

" وكيف هذا؟ ".

" بأن أتدخل فى شئون الآخرين ".

رفع جيرار منكبيه غير مبالٍ.

" هذه مسألة تختلف فيها الآراء ".

" تقصد ما إذا كان على الواحد أن يتدخل فى شئون الآخرين أم لا؟ ".

" نعم ".

" أتوافق على ذلك؟ ".

راق ذلك الحديث كثيراً للفرنسى.

" إذا كنت تقصدين أن من عادتى أن أنشغل بعلاقات الآخرين وأمورهم، فسوف أقول لك صراحة: كلا ".

" إذن فأنت تظن أننى مخطئة لأننى حاولت إقحام نفسى فى الأمر؟ ".

تحدث جيرار بسرعة وحماس: " كلا، كلا، لقد أسأت فهمى. أظن أن السؤال الأساسى هو: هل يجب على المرء إذا ما رأى خطأً يقع أمامه أن يحاول تصويب الأمور وتصحيحها؟ إن تدخل المرء قد يؤدى إلى الخير، ولكنه قد يؤدى أيضًا إلى ضرر غير محمود العواقب! من المستحيل أن نقف على أى قاعدة ثابتة فى هذا الموضوع. فبعض الناس يتحلون ببراعة التدخل، ويعرفون كيف يفعلون ذلك جيدًا! وبعض الناس يقومون بذلك بصورة خرقاء لدرجة أنه يكون من الأفضل لو تركوا الأمور كما هى! ثم هناك أيضًا مسألة السن. فإن الشباب يتحلون بالشجاعة فى أفكارهم المثالية ومعتقداتهم ـ إن قيمهم نظرية أكثر منها عملية. ليس لديهم تجربة، ولكن تلك حقيقة متناقضة نظريًا! فإذا كان لديك إيمان بنفسك وبالحق وبصلاح ما تقومين به، غالبًا ما يمكنك إنجاز أشياء جيدة تستحق ما يبذل فيها! (ولكن بالمصادفة، غالبًا ما تؤدين قدرًا كبيرًا من الضرر!) من ناحية أخرى، فإن الشخص الذى يكون فى منتصف العمر تجدينه يتحلى بالخبرة ـ ولقد عايش الضرر بقدر الخير، أو ربما أكثر قدرًا من الخير وهو الضرر الذى ينتج عن محاولة التدخل، وبالتالى، فإنه يبتعد فى حكمة ورجاحة عقل! لذا فإن النتيجة واحدة، فالشاب الجاد يؤدى نفس الضرر والخير ـ فى الوقت الذى لا يفعل فيه الناضج العاقل أياً منهما! ".

اعترضت سارة: " كل ذلك ليس مفيدًا جدًا ".

" هل يمكن لأى شخص أن يكون مفيدًا لشخص آخر؟ إنها مشكلتك أنت وليست مشكلتى ".

" تقصد أنك لن تفعل أى شيء بخصوص آل بوينتون؟ ".

" لا. بالنسبة لى، لن تكون هناك أية فرصة للنجاح ".

" وبالتالى فليس أمامى أنا أيضًا أية فرصة ".

" بالنسبة لك، ربما تجدين فرصة ".

" ولماذا؟ ".

" لأن لديك مؤهلات خاصة. جاذبية شبابك وأنوثتك ".

" آه، فهمت، أهى الجاذبية؟ ".

" يعود المرء كل مرة إلى هذا الموضوع الموضوع، أليس كذلك؟

لقد أخفقت مع الفتاة. ولكن هذا لا يعنى أنك ستفشلين مع شقيقها. ما قلته لى تواً حول ما قالته كارول يُظهر بوضوح تام أن التهديد الوحيد لسيطرة السيدة بوينتون حدث عندما تحداها الابن الأكبر، لينوكس، فثارت رجولته على قيودها. إن رغبة الرجل فى شريكة كانت أقوى من تعويذة التنويم. لكن المرأة العجوز كانت على وعى تام بسلطة الانجذاب نحو الجنس الآخر. من المؤكد أنها رأت شيئًا كهذا فى مهنتها السابقة، وتعاملت مع الأمر بمنتهى البراعة، وأحضرت إلى المنزل فتاة جميلة ولكنِ بلا أى تكلفة، وشجعت الزواج. وهكذا صار لديها أَمَة أخرى ".

هزت سارة رأسها.

" لا أظن أن السيدة بوينتون الشابة أَمة ".

وافقها جيرار.

" ربما، قد لا تكون كذلك. ولكنى أظن لأنها كانت فتاة هادئة وشديدة الانقياد، فإن السيدة بوينتون لم تقدر قوة إرادتها وشخصيتها حق التقدير. إن نادين بوينتون كانت أصغر من اللازم وبلا تجربة أو خبرة فى ذلك الوقت حتى تقيّم الوضع الحقيقى. لكنها تقيمه الآن، بعد أن فات الأوان ".

ثم هز د. جيرار رأسه متشككًا. " إذا كانت لديها خطط فلن يعرف أحد بشأن ذلك. هناك ـ كما تعلمين ـ احتمالات محددة باهتمام السيد كوبى بها. إن الإنسان غيور بطبيعته، والغيرة طاقة قوية. ولعل لينوكس بوينتون يفيق من حالة الجمود المستغرق فيها ".

أضفت سارة على صوتها نبرة عملية واحترافية: " وتظن أنت أن هناك فرصة أن يكون بمقدورى القيام بشيء ما نحو ريموند؟ ".

" بالطبع ".

فتنهدت سارة قائلة:

" أظن أننى قد حاولت. حسناً. لقد فات الأوان الآن، على أية حال إن الفكرة لا تروق لى ".

بدا على جيرار السرور.

" هذا لأنك إنجليزية! والإنجليز لا يروق لهم الحديث حول الرغبات الحسية والانجذاب نحو الجنس الآخر، فهم يعتبرون هذه الأشياء غير لطيفة بالمرة. ولم يفلح كبرياؤهم فى أن يجعل ذلك يتوقف ".

أخفقت سارة فى الامتناع عن رد فعل كبريائها.

" نعم، نعم، أعرف أنك فتاة عصية ـ وتستخدمين فى كلامك العام أكثر الكلمات إزعاجاً ـ لأنك محترفة ولا مبالية بالمرة! إنه الحال نفسه، وأكرر أن لك نفس ملامح الوجه التى لأمك ولجدتك. مازلت تخجلين كآنسة إنجليزية على الرغم من أنك لا تشعرين بذلك فى الواقع! ".

" لم أسمع فى حياتى مثل هذه الوقاحة! ".

طرفت عينى د. جيرار، وبدون أى اضطراب أو انزعاج أضاف:

" وهذا ما يضفى عليك سحراً أكيداً ".

هذه المرة لم تجد سارة ما تقوله.

وفى الحال رفع د. جيرار قبعته. قال: " سأغادر. قبل أن يتسنى لك الوقت لتقولى كل ذلك الذى يدور بخلدك ". وفرّ إلى داخل الفندق.

تبعته سارة بتثاقل.

كان هناك قدر كبير من النشاط بالداخل. كان هناك أكثر من عربة محملة بالأمتعة تستعد للمغادرة. كان كل من لينوكس ونادين بوينتون والسيد كوبى يقفان إلى جوار إحدى العربات الضخمة للإشراف على الإجراءات.

وكان هناك مترجم بدين يقف ويتحدث إلى كارول بطلاقة تجعل كلامه غير واضح.

مرت بهم سارة ودخلت إلى الفندق.

كانت السيدة بوينتون تجلس على أحد المقاعد، وكانت ترتدى معطفاً سميكاً، فى انتظار أن يغادروا. وحين نظرت سارة نحوها، اعترتها موجة نفور غريبة. شعرت بأن السيدة بوينتون ما هى إلا تجسيد للشر والخبث.

والآن، وعلى حين بغته، رأت فى السيدة العجوز مثالاً لمرض خبيث غير معد، أن

يولد المرء بهذه الشهوة للتسلط، وتلك الرغبة فى الهيمنة ـ وألا ينجز سوى تلك الدكتاتورية المثيرة للشفقة! فقط لو يستطيع أبناؤها أن يروها كما تراها سارة فى تلك اللحظة. شىء مثيراً للشفقة. عجوزاً منحنية ومعتلة وشريرة وغبية. وفى اندفاعة مفاجئة تقدمت سارة نحوها.

قالت: " إلى اللقاء سيدة بوينتون. أتمنى لكم رحلة لطيفة ".

تطلعت السيدة العجوز نحوها. وتصارع الحقد والغضب فى عينيها.

قالت سارة: " لقد أردت أن تكونى وقحة معى ".

(أَجُنّتْ هى؟ هكذا تساءلت، ما الذى دفعها، لأن تقدم على هذه المحادثة؟).

" لقد حاولت أن تمنعى ابنك وابنتك من مصادقتى. ألا ترين، حقاً، أن ذلك سلوك سخيف للغاية وطفولى أيضاً؟ تحبين أن تجعلى من نفسك الغولة المخيفة، لكنك حقاً ما أنت إلا حالة مرضية ومضحكة. لو أننى فى مكانك لأوقفت كل تلك الألاعيب السخيفة. أتوقع أن تكرهيننى لما أقوله هذا، لكنى أعنى ما أقول ـ وقد يثبت فى ذهنك شيء منه ويؤتى أكله. أتعلمين أن بوسعك الحصول على الكثير من المرح والمتعة مع ذلك. إنه فعلاً من الأفضل بكثير أن تكونى ودودة وطيبة. يمكنك ذلك إذا حاولت ".

ثم كانت هناك وقفة صمت.

تسمرت السيدة بوينتون فى مكانها. وأخيراً مررت لسانها على شفتيها الجافتين، وهمت بقول شىء... ولكنها لم تفعل ذلك لدقيقة، ولم تخرج منها كلمة.

قالت سارة بتشجيع: " هيا، قوليها! لا يهم ما الذى ستقولينه لى، ولكن فلتفكرى كثيراً فيما قلته لك ".

خرجت الكلمات أخيراً ـ فى صوت ناعم، مبحوح، ولكنه حاد قادر على الاختراق. نظرت السيدة بوينتون بعينيها الشبيهتين بعيون السحالى، ولكن ليس نحو سارة، بل نحو روح مألوفة لها.

قالت: " إننى لا أنسى أبداً، تذكرى ذلك. إننى لا أنسى أى شيء أبداً ـ لا فعل، ولا اسم، ولا وجه... ".

لم يكن هناك معنى للكلمات فى حد ذاتها، لكن الحقد المسموم الذى نطقت به جعل سارة تتراجع خطوة، وعندئذ ضحكت السيدة بوينتون ـ لقد كانت ضحكة مرعبة.

رفعت سارة منكبيها وقالت: " يا لك من كائن عجوز بائس! ".

استدارت. وسارت صوب المصعد وكادت تصطدم بريموند بوينتون. وفى اندفاعتها تحدثت إليه بسرعة.

" إلى اللقاء. أتمنى أن تقضى وقتًا ممتعًا. ربما نلتقى مجددًا ذات يوم ". وابتسمت إليه ابتسامة دافئة ودودة، ثم مرت مسرعة من جانبه.

وقف ريموند جامدًا كما لو أنه استحال حجرًا. وبينما كان غارقاً أفكاره الخاصة، كان هناك رجل قصير ذو لحية عظيمة يحاول أن يخرج من باب المصعد، ولكن كان ريموند يعوق طريقه، واضطر للتحدث مرات عديدة.

قال: " عذرًا ".

أخيرًا اخترقت كلمات الرجل أذنيه فانتحى ريموند جانبًا.

قال: " آسف جدًا. كنت ـ كنت أفكر ".

اتجهت كارول صوبه.

" رى، أحضر جينى. لقد عادت إلى غرفتها. وسوف نغادر الآن ".

" حسناً. سوف أخبرها بأن تحضر على الفور ".

خطا ريموند إلى داخل المصعد.

وقف هيركيول بوارو لدقيقة يشيع ريموند بنظراته، وارتفع حاجباه، ثم مال رأسه قليلاً على جانب كما لو أنه ينصت لصوتٍ ما.

ثم أومأ برأسه كما لو أنه تذكر شيئاً ما.

مشى عبر الردهة، وألقى نظرة كافية على كارول، التى لحقت بأمها.

ثم استدعى كبير الندل بإشارة، بينما كان مارًا.

" عذرًا. هلا أخبرتنى باسم أولئك الناس هناك؟ ".

" إنها عائلة بوينتون يا سيدى ؛ وهم أمريكيون ".

قال هيركيول بوارو: " شكرًا لك ".

فى الطابق الثالث، كان د. جيرار متوجهًا إلى حجرته عندما مرّ بكلٍ من ريموند بوينتون وجنفرا يمشيان صوب المصعد المنتظر. وإذ هما على وشك الدخول إليه، عندئذ تمامًا قالت جنفرا: " دقيقة واحدة يا رى، انتظرنى فى المصعد ".

ركضت عائدة، استدارت عند الركن، ولحقت بالرجل السائر.

" أرجوك ـ يجب أن أتحدث إليك ".

تطلع د. جيرار ناظرًا إليها فى دهشة.

اقتربت الفتاة منه وأمسكت بمرفقه.

" إنهم يأخذوننى بعيداً! وقد يقدمون على قتلى... إننى لا أنتمى إليهم حقاً، أتعرف ذلك؟ إن اسمى ليس بوينتون حقاً.... ".

كانت تتحدث بسرعة، وكانت كلماتها تتوالى بسرعة وتتساقط فى إثر بعضها البعض.

" سوف ائتمنك على السر. إننى ـ إننى من الدم الملكى! إننى وريثة العرش. ولهذا السبب ـ يحيط بى الأعداء من كل جانب. لقد حاولوا تسميمى، حاولوا بكل الطرق معى... أليس بوسعك أن تساعدنى ـ على الهرب...؟ ".

بُهتت فجأة، وسمعت خطوات. وصوتاً يقول: " جينى ـــ ".

بدت جميلة فى إيماءتها المرتبكة المفاجئة، وضعت الفتاة إصبعاً على شفتيها، ورمت جيرار بنظرة توسل وركضت عائدة.

" إننى آتية يا رى ".

مضى د. جيرار وهو يرفع حاجبيه من فرط الدهشة. وفى بطء هز رأسه وقطب جبينه.

الفصل 10

وكان صباح الذهاب إلى بتراء.

نزلت سارة إلى البهو لتجد امرأة ضخمة تبدو ذات سطوة ولها أنف حصان خشبى هزاز، كانت قد لاحظتها من قبل فى الفندق، خارج المدخل الرئيسى، وكانت المرأة تعترض بشدة على حجم السيارة.

" إنها أصغر من اللازم لأبعد الحدود! إنهم أربعة مسافرين! مترجم؟ إذن، بالطبع، لابد أن يكون لنا سيارة أكبر. من فضلك خذ هذه السيارة من هنا وارجع بسيارة تكون ذات سعة مناسبة ".

وعبثًا حاول مندوب شركة الميسرز كاستل السياحية أن أن يتحدث ليشرح لها الأمر. فذلك هو حجم السيارة المتوافر دائمًا. إنها حقًا سيارة مريحة للغاية. فإن السيارة الأكبر حجمًا لن تكون مناسبة للسفر فى الصحراء. لكن المرأة الضخمة ـ ولنتكلم مجازًا ـ دهسته دهسًا وكأنها بولدوزر ضخم.

ثم أولت انتباهها إلى سارة.

" الآنسة كنج؟ إننى الليدى وستهولم. أنا واثقة من أنك تتفقين معى فى أن تلك السيارة غير كافية من حيث الحجم؟ ".

قالت سارة: " حسنًا، أتفق معك فى أن سيارة أكبر ستكون مريحة بدرجة أكبر ".

غمغم مندوب الشركة بأن السيارة الأكبر حجمًا ستتطلب زيادة فى الكلفة.

لكن الليدى وستهولم قالت بصرامة: " سوف أرفض رفضًا باتًا أى زيادة فى الأسعار. إن كتيب الدعاية الخاص بكم ينص بوضوح على " سيارة مريحة ذات حجم كبير ". ولسوف تلتزمون بما تعهدتم به ".

وفى النهاية رضخ مندوب الشركة وسلم بهزيمته، وغمغم بشيء ما حول ما يمكن عمله بشأن ذلك، ثم غادر المكان.

استدارت ليدى وستهولم نحو سارة، وعلى وجهها المتغضن لاحت ابتسامة الفوز، اتسعت فتحتا أنفها الشبيه بأنف حصان خشبى هزاز.

كانت الليدى وستهولم شخصية مرموقة جداً فى عالم السياسة الإنجليزية. فحينما كان اللورد وستهولم، وهو رجل متوسط العمر وسطحى التفكير، ولا هم له فى الحياة سوى الصيد ـ صيد الطيور أو الأسماك ـ عائداً من رحلة إلى الولايات المتحدة التقى بإحدى المسافرات معه، وهى السيدة فانسيترات. وسرعان ما أصبحت السيدة فانسيترات هى الليدى وستهولم. وغالباً ما يشار إلى التوافق الذى حدث بينهما بأنه أحد مخاطر السفر فى المحيط. ومنذئذٍ أخذت ترفل فى الثراء، وترتدى الملابس الباهظة، وكانت ذات شخصية قوية ومتعجرفة، وتتسم بالكبرياء، وأخذت تعتنى بالكلاب المهجنة، وقادت الفلاحين وأرغمت زوجها المسكين على اقتحام الحياة العامة. لقد كان مولده السياسى على يديها، فالشئون السياسية لم تكن مهمة اللورد وستهولم فى الحياة ولن تكون كذلك أبداً، ولقد حثته بلطف على استئناف أنشطته الرياضية، فى حين دخلت هى البرلمان. وبعد أن تم انتخابها بأغلبية طفيفة، ألقت الليدى وستهولم بنفسها فى عالم السياسة، وقد نشطت بدرجة كبيرة فى العمل الحزبى. وسرعان ما بدأت الرسوم الكاريكاتورية تستهدفها (ودائماً ما كان هذا علامة على النجاح). وكشخصية عامة وقفت ضد القيم البالية للحياة الأسرية، وساندت حقوق المرأة العاملة، كما كانت مناصرة متحمسة فى عصبة الأمم، وقد طرحت وجهات نظر ورؤى تخص مسائل الزراعة، والإسكان وإزالة العشوائيات. وكانت الأكثر احتراماً والأكثر كراهية على المستوى العالمي! وكان من المحتمل جداً أن تتقلد منصب وكيل وزارة عندما يتسلم حزبها زمام السلطة. ولكن فى تلك اللحظة لم يكن من المتوقع أن يصل حزب ليبرالى إلى السلطة، وذلك نتيجة للانقسامات فى الحكومة المحلية ما بين العمال والمحافظين.

شيعت الليدى وستهولم السيارة المغادرة بنظرة رضا. ثم قالت: " يظن الرجال دائماً أن بوسعهم أن يفرضوا إرادتهم على النساء ".

فكرت سارة أنه رجل شجاع ذلك الذى يظن أنه يمكنه أن يفرض إرادته على الليدى وستهولم! وقدمت لها د. جيرار الذى خرج توا من الفندق.

قالت الليدى وستهولم حينما كانت تصافحه: " إن اسمك بالطبع ليس غريباً علىّ. لقد تحدثت إلى البروفيسور شارتو ذات يوم فى باريس. لقد قدمت مؤخراً طلب إحاطة شديد اللهجة من أجل علاج المرضى النفسيين المتشردين. هلا دخلنا ريثما ننتظر قدوم السيارة الأكبر؟ ".

وظهرت سيدة أخرى فى منتصف العمر ضئيلة الجسم ذات خصلات رمادية، كانت تسير بالقرب منها، واتضح أنها الآنسة آمابل بيرس، العضو الرابع فى مجموعتهم. ومضت هى الأخرى إلى داخل الردهة تحت حماية الليدى وستهولم.

" أظنك سيدة عاملة يا آنسة كنج؟ ".

" لقد حصلت لتوى على بكالوريوس الطب ".

قالت الليدى وستهولم باستحسان شديد: " رائع، إذا ما تم إنجاز أى شيء، فلتتأكدى مما أقوله لك، فإنه يتحقق على أيدى النساء ".

ولأول مرة تشعر سارة بالضيق من جنسها، ولكنها تبعت الليدى وستهولم فى سكينة إلى أحد المقاعد.

وبينما كانوا يجلسون فى انتظار السيارة، أخبرتهم الليدى وستهولم بأنها رفضت دعوة للإقامة فى كنف المفوض السامى خلال وجودها فى القدس. " لم أرغب فى أن تعوقنى الرسميات. وودت أن أكتشف الأمور بنفسى ".

تساءلت سارة: " أى أمور؟ ".

واصلت الليدى وستهولم حديثها وأخذت تشرح لهم أنها كانت تقيم فى فندق سليمان حتى لا يعوقها ويزعجها الوضع الرسمى. وأضافت أنها قد قدمت بعض الاقتراحات للمدير من أجل إدارة أكثر كفاءة لهذا الفندق.

قالت الليدى وستهولم: " الكفاءة، إنها الكلمة الأهم بالنسبة لى فى الحياة ".

كان هذا واضحًا جدًا، ففى غضون ربع الساعة جاءت سيارة مريحة وضخمة، وفى وقت قصير، وبعد نصيحة من الليدى وستهولم حول كيفية تخزين الحقائب، انطلقت السيارة.

كان توقفهم الأول عند البحر الميت. تناولوا الغداء فى أريحا. وبعد قليل مضت الليدى وستهولم، مسلحة بالكتب الإرشادية السياحية، بصحبة الآنسة بيرس، والطبيب والترجمان البدين المصاحب لهما، من أجل أن يتجولوا فى أريحا القديمة، وبقيت سارة فى حديقة الفندق.

كان برأسها صداع خفيف وأرادت أن تبقى بمفردها. وكان ينتابها إحساس عميق بالإحباط ـ إحباط شق عليها أن تفهمه. وشعرت فجأة بالملل وبعدم الاكتراث بما حولها، وعدم الرغبة فى مشاهدة المعالم وزيارتها، وشعرت بالسأم والضجر من مرافقيها. وتمنت فى هذه اللحظة لو لم تشترك فى رحلة البتراء. فسوف تكلفها الكثير، وهى الآن على يقين أنها لن تستمتع بها! فإن كلاً من صوت الليدى وستهولم الجهورى، وثرثرة الآنسة بيرس التى لا تنقطع، والمترجم المتعصب دينيًا، كل ذلك قد دمر أعصابها تدميراً. حتى أنها كرهت التسلية التى يجدها د. جيرار فى قراءة مشاعرها وكأنها كتاب مفتوح.

تساءلت: تُرى أين عائلة بوينتون الآن؟ لعلهم قد ذهبوا إلى سوريا، ربما يكونون فى بعلبك أو دمشق. وريموند. تساءلت عم يفعله ريموند الآن. كم هو غريب أنها تستطيع أن تتخيل وجهه بصفاء ووضوح، وما فيه من تلهف واختلاف، وتوتر عصبى....

يا للحماقة! لماذا تواصل التفكير فى أشخاص لن تراهم ثانية مطلقًا؟ وذلك المشهد فى اليوم السابق مع السيدة العجوز؟ ما هذا الذى استولى عليها لتتقدم نحوها وتصب على رأسها كلامًا سخيفًا. لابد أن أشخاصًا آخرين قد سمعوا بعضًا منه. إنها تعتقد أن الليدى وستهولم كانت على مسافة قريبة منهم. حاولت سارة أن تتذكر بالضبط ما تفوهت به. وبدا لها على الأغلب شيئًا هيستيريًا بصورة ما. يا للعجب، لقد جعلت من نفسها حمقاء مضحكة؟ لكن الخطأ لم يكن خطأها ؛ بل غلطة السيدة العجوز. فثمة شيء فيها يجعل المرء يفقد إحساسه وتقديره للأمور.

دخل د. جيرار وارتمى على مقعد، وأخذ يجفف جبينه بمنديل.

قال: " ياااه! لابد من إعطاء هذه المرأة سُمًا ".

قالت سارة على الفور: " السيدة بوينتون؟ ".

" السيدة بوينتون! كلا، أقصد الليدى وستهولم! من غير المعقول بالنسبة لى أنها مازالت فى عصمة زوج طوال كل تلك الأعوام ولم يقم بذلك حتى الآن. من أى نوع من الرجال ذلك الزوج؟ ".

ضحكت سارة.

قالت مفسرة: " من صيادى الطيور والأسماك ".

" من وجهة نظر علم النفس يبدو هذا معقولاً جدًا! إنه يشبع شهوة القتل بداخله على حساب ما يسمونه المخلوقات الأدنى ".

" أنا واثقة من أنه شديد الفخر بأنشطة زوجته ".

قال الرجل الفرنسى مقترحًا:

" تلك الأنشطة تأخذها بعيدًا عن المنزل لوقت طويل؟ هذا مفهوم جدًا ". ثم واصل قائلاً: " ما الذى قلته منذ قليل؟ السيدة بوينتون؟ لا شك أنها ستكون فكرة رائعة جدًا فى إعطائها السم، هى أيضًا. لا يمكن إنكار أنه سيكون أبسط الحلول لمشكلة تلك العائلة! والحق أن نساء كثيرات جدًا يستحققن ذلك. كل النساء اللواتى تقدمن فى العمر وصرن بشعات ".

وبسط على وجهه تعبيرًا مضحكًا.

ضجت سارة بالضحك وهى تقول:

" آه منكم أيها الفرنسيون! لا ترون أى فائدة من امرأة ليست شابة وجذابة ".

هز جيرار كتفيه.

" إننا أكثر صراحة فى هذا الشأن، هذا كل ما هنالك. والرجال الإنجليز أيضًا، فهم لا يتكدسون ويتجمهرون حول امرأة قبيحة، كلا، كلا ".

قالت سارة وهى تتنهد: " يالها من حياة محبطة! ".

" لا حاجة بك إلى التنهد هكذا يا آنستى ".

" حسنًا، أشعر بأن مزاجى متعكر اليوم ".

" بطبيعة الحال ".

قالت سارة بسرعة: " ماذا تقصد؟ ".

" يمكنك أن تجدى السبب بمنتهى البساطة إذا فحصت حالتك العقلية بنزاهة وأمانة ".

قالت سارة: " أعتقد أن رفاقنا فى الرحلة هم من يثيرون أعصابى. أمر رهيب، أليس كذلك؟ لكننى حقا أكره النساء! عندما لا يكنّ على قدر من الكفاءة وحمقاوات مثل الآنسة بيرس فإنهن يغظننى، وعندما يكنّ أكفاء مثل الليدى وستهولم، فإنهن يضايقننى أكثر مع ذلك ".

" علىّ أن أقول أن معكِ حقًا فى أن تشعرى بذلك تجاه المرأتين. والليدى وستهولم تصلح للحياة التى تعيشها، تلك الحياة السعيدة والناجحة تمامًا. والآنسة بيرس قد عملت مجتهدة لسنوات كمربية مقيمة، وفجأة حصلت على ميراث صغير مما أتاح لها أن تحقق أمنية حياتها وتسافر. وحتى الآن، فإن السفر قد كان عند مستوى طموحها. وبالتالى فأنت، عندما حيل بينك وبين ما أردته، فمن الطبيعى أن تشعرى بالحنق حيال أشخاص أكثر نجاحًا فى حياتهم منك ".

قالت سارة فى حزن: " أعتقد أنك محق. يا لك من قارئ حاد الذكاء لعقول الآخرين. إننى أواصل محاولة التحقير من نفسى لكنك لا تعطيننى الفرصة لذلك ".

وعند هذه اللحظة عاد الآخرون. وبدا أن المرشد هو الأكثر إرهاقا من الجميع. كان متعبًا لدرجة أنه لم تصدر عنه أية معلومة فى الطريق إلى عمّان. ولهذا كان الجميع ممتنين كل الامتنان. فإن تعصبه الدينى الشديد قد أفسد أعصاب الجميع فى الرحلة من القدس.

والآن يلتوى الطريق صعوداً من الأردن، ينعطف وينحرف، وعلى جانبه لفائف من نبات الدلفى ذى الأزهار وردية اللون.

وصلوا إلى عمّان فى وقت متأخر من الظهيرة وبعد زيارة قصيرة للمسرح اليونانى الرومانى ذهبوا إلى الفراش مبكراً. كان من المفترض أن ينطلقوا فى وقت مبكر من

الصباح التالى فى جولة بالسيارات عبر صحراء عمّان.

غادروا سريعًا فى تمام الثامنة. مالت المجموعة إلى التزام الصمت. كان يومًا حارًا بلا هواء، وعند منتصف النهار حينما توقفوا لتناول الغداء، كانت الحرارة خانقة حقًا. وشعر كل فرد منهم بالتوتر، وذلك لتكدسه مع الثلاثة الآخرين فى سيارة واحدة فى هذا الطقس الخانق.

أثار كل من الليدى وستهولم ود. جيرار جدالاً شديداً حول عصبة الأمم. كانت الليدى وستهولم مناصرة متعصبة للعصبة. أما الرجل الفرنسى، على الجانب الآخر، فأخذ يسخر من أسلوب عصبة الأمم فى تناول بعض القضايا، فأخذوا يتبادلون الحديث عن أثيوبيا، ثم أسبانيا، ومنها انتقلوا إلى الحديث عن النزاع على الحدود فى ليتوانيا والذى لم تسمع عنه سارة شيئًا من قبل، وتحدثوا أيضًا عن أنشطة العصبة فى القضاء على عصابات المخدرات.

قالت الليدى وستهولم: " عليك أن تعترف بأنهم قاموا بعمل رائع. رائع! ".

هز د. جيرار منكبيه.

" ربما. وبنفقات رائعة كذلك ".

" لكن الأمر أصبح خطيراً الآن. فى ظل قوانين المخدرات.... ".

احتدم النقاش.

همست الآنسة بيرس لسارة قائلة: " من الممتع حقًا السفر برفقة الليدى وستهولم ".

قالت سارة بحدة: " حقًا؟ " غير أن الآنسة بيرس لم تلحظ ما فى السؤال من سخرية، وواصلت ثرثرتها فى سعادة.

" إننى أرى اسمها فى الصحف كثيراً. يا لها من براعة بالنسبة لامرأة أن تشق الحياة العامة وأن تتولى مسئولية ذاتها، إننى أكون سعيدة للغاية عندما تحقق امرأة شيئًا ما! ".

سألتها سارة بشراسة: " ولماذا؟ ".

فغرت الآنسة بيرس فاها وتلعثمت قليلاً.

" آه، لأنه ـ أقصد ـ فقط لأنه، حسنًا، يكون شيئًا رائعًا للغاية أن تستطيع النساء إنجاز أشياء مهمة فى الحياة! ".

قالت سارة: " لا أتفق معك فى هذا. بل الرائع أن ينجز أى إنسان مثل تلك الأمور

الجديرة بالفخر! ولا يهم بأى درجة إذا كان رجلاً أو امرأة. ولماذا ينبغى أن يهمنا ذلك؟ ".

قالت الآنسة بيرس: " حسنًا، بالطبع، نعم، أعترف، بالطبع، بالنظر إلى الموضوع من هذه الزاوية ".

لكنها بدت مستاءة. فقالت سارة بأسلوب حاولت أن تجعله أقل حدة وأكثر رقة:

" إننى آسفة، لكنى أكره حقًا التفرقة بين الجنسين. وكل كلام من قبيل» المرأة العصرية لديها عقلية راجحة فى مجال الأعمال ". وهذا النوع من الأمور. إنه ليس حقيقيًا بأى حال! فبعض الفتيات لديهن عقلية راجحة وبعضهن لا. وبعض الرجال عاطفيون ويتسمون بسطحية التفكير، وآخرون أذكياء وذوو عقول راجحة. هناك فقط أنواع مختلفة من العقول. ولا يكون للنوع أهمية إلا فى النواحى الجنسية ".

احمر وجه الآنسة بيرس قليلا عندما سمعت الكلمة الأخيرة وغيرت الموضوع بلباقة.

" لا يمكن للمرء إلا أن يتمنى بعض الظل فى هذا الهجير»، هكذا غمغمت: " لكننى أظن أن كل تلك المساحة الشاسعة شيء رائع، أليس كذلك؟ ".

أومأت سارة موافقة.

نعم، حدثت سارة نفسها، لقد كان هذا الخلاء شيئًا رائعًا وبديعًا... الشفاء... السلام... وعدم وجود كائنات بشرية تستفز المرء وتزعجه بعلاقاتها المتداخلة المزعجة والمرهقة....لا مشكلات شخصية حارقة! والآن، وأخيرًا، شعرت بأنها تحررت من أسرة بوينتون. تحررت من تلك الرغبة الغريبة والملحة فى أن تقحم نفسها فى حياة أناس لهم مدار مختلف لا يمس حياتها ولو من بعيد. شعرت بالاطمئنان فى هذه السكينة. هنا كانت الوحدة، الفراغ، الاتساع...فى الحقيقة، السلام...

فقط، وبالطبع ليس المرء بمفرده ليستمتع بذلك. فرغ كل من الطبيب جيرار والليدى وستهولم من مناقشتهما حول المخدرات وهما الآن يتجادلان بشأن امرأة شابة بريئة تم إرسالها بأسلوب مشين إلى الملاهى الليلية الأرجنتينية. وكان الطبيب جيرار يتفوه ببعض العبارات على سبيل الدعابة والمرح، ولكن الليدى وستهولم التى افتقدت روح الدعابة وجدت أن هذا الأمر يثير الأسى لأبعد حد.

سأل الترجمان المطربش: " أنواصل الآن؟ ".

كانت ساعة واحدة تفصلهم عن موعد غروب الشمس عندما وصلوا أخيرًا. تجمع حول السيارة رجال غرباء بوجوه تبدو عليها بعض القسوة. وبعد أن توقفوا لبعض الوقت واصلوا المسير مرة أخرى.

وحين نظرت سارة إلى القرية الصحراوية المسطحة، تساءلت فى نفسها عن مكان الحصن الحجرى لمدينة البتراء. بالطبع يمكنهم أن ينظروا أميالاً وأميالاً من حولهم؟ لم تكن هناك أية جبال، ولا تلال، فى أى موضع. فهل مازال أمامهم أميال كثيرة أخرى حتى يبلغوا نهاية الرحلة؟ ووجدت الآنسة بيرس صعوبة فى اعتلاء الخيل بسبب العباءة الطويلة التى كانت ترتديها، أما الليدى وستهولم فكانت ترتدى سروالاً قصيراً فاخراً، وقد لا يكون مناسبًا لقوامها، ولكنه كان عمليًا ومناسبًا للرحلة.

وصلوا إلى قرية عين موسى حيث تركوا السيارات، وكانت الخيول بانتظارهم، حيوانات بائسة المنظر.

اقتيدت الخيول إلى خارج القرية على طول طريق زلق مفروش بالحجارة. انحدرت الأرض وبدأت الخيول تتمايل نحو اليمين ونحو اليسار. وكانت الشمس قد شارفت على المغيب.

كانت سارة شديدة الإرهاق من تلك الرحلة الطويلة فى السيارة. وكانت حواسها مشوشة. كانت هذه الرحلة التى امتطوا فيها الخيول أشبه بحلم. وبدا لها بعد قليل وكأن فوهة من الجحيم تنفتح تحت قدميها. التوى الطريق منحدراً على الأرض. تشكيلات من الصخور ارتفعت من حولهم، فشعرت بأنها تتجه نحو أعماق الأرض، عبر متاهة من أجراف حمراء. وأحست سارة بالاختناق، وهى مرتعبة من الممر شديد الضيق.

فكرت بارتباك فى حالها: " إننا ننحدر نحو وادى الموت، إننا ننحدر نحو وادى الموت، ننحدر نحو وادى الموت.... ".

واستمروا فى مسيرتهم. أعتمت الدنيا، وشحب لون الأجراف، وشعرت بأنها تائهة، وكأنها قد سجنت فى أعماق الأرض.

حدثت سارة نفسها قائلة: " أمر خرافى ولا يصدق.... مدينة ميتة ".

ومرة أخرى راودها الصوت وكأنه نغمة ثابتة: " وادى الموت... ".

أضيئت القناديل. واستمرت الخيول فى سيرها عبر المسالك الضيقة. وفجأة وجدوا أنفسهم يتجهون نحو مساحة واسعة من الأرض، تراجعت الأجراف. وظهرت قبالتهم عناقيد من الضوء.

قال المرشد: " هذا هو المعسكر! ".

أسرعت الخيول إيقاعها قليلاً ـ ولكن ليس بشكل كبير ـ فقد كانت الخيول أيضًا متهالكة وتتضور جوعًا بسبب ذلك، لكنها أبدت عندئذ ظلاً من حماسة. والآن كان الطريق يحاذى مسطحًا مائيًا عميقًا. وأخذت الأضواء تقترب.

أمكنهم رؤية عناقيد من الخيام مصطفة أمام جرف صخرى. وكهوف أيضًا، مساحات

مفرغة فى قلب الصخر.

بلغوا المخيم. واتجه نحوهم خدم من البدو.

حدقت سارة فى واحد من تلك الكهوف. كان به شخص جالس. ما هذا؟ هل هو تمثال قديم؟ صورة عملاقة مربعة؟

كلا، فقد كانت هناك أضواء متذبذبة جعلته أكبر من حجمه الطبيعى. لكنه ولابد تمثال قديم من نوع ما، موضوع هناك بلا حراك، يلقى بالكآبة والغموض على المكان.

وعندئذ، انخلع فؤادها عندما تعرفت على الشبح.

وداعاً للشعور بالسلام والسكينة ـ وللملاذ والهرب ـ التى منحته لها الصحراء. لقد عادت مرة أخرى من الحرية إلى الأسر. لقد سارت كل هذا الطريق عبر الوادى وحتى هنا، لتجد أمامها تلك الكاهنة القديمة لحضارة مندثرة، أشبه بتمثال قاسى الملامح، ولكن فى صورة أنثى وحشية، إنها السيدة بوينتون!!

الفصل 11

كانت السيدة بوينتون هنا فى البتراء!

أجابت سارة فى آلية على الأسئلة التى وجهت إليها. هل ستتناول العشاء على الفور، فهو مُعد، أم تفضل أن تغتسل أولاً؟ هل تفضل أن تنام فى خيمة أم فى كهف؟

وجاءت إجابتها سريعة: خيمة. فقد جفلت من فكرة الكهف، فإن صورة الجسم القصير الغليظ الوحشى عادت لها. لم لا يبدو على تلك المرأة أى ملمح إنسانى عادى؟

وأخيراً تبعت واحداً من الخدم. كان يرتدى سروالاً قصيراً كاكى اللون، به بعض الأوساخ والبقع، ولفائف على الساق ومعطفاً. وعلى رأسه غطاء الرأس المحلى، المسمى بالعقال، وهو عبارة عن وشاح طويل يحمى الرقبة ومحكوم فى مكانه بحلقة مبرومة سوداء حريرية ملفوفة بإحكام حول الرأس. أعجبت سارة، بمهارة سيره وسط الصحراء وبحركة رأسه التى تنم عن شموخ وفخر. الجزء الأوروبى من ملبسه كان فيه تصنع ولا يتناسب مع بقية ملابسه أو مع المكان. حدثت نفسها قائلة: " المدنية كلها خطأ ـ خطأ فى خطأ! ولولا المدنية لما كان هناك وجود للسيدة بوينتون! ففى القبائل المتوحشة كانوا على الأغلب قد ذبحوها وأكلوها منذ أعوام طويلة! ".

أدركت، ببعض المرح، أنها قد بلغت حالة شديدة من الإرهاق وتكاد تسقط من شدة التعب. غسلت وجهها بماء ساخن ووضعت عليه بعض المساحيق وشعرت بأنها قد استعادت نفسها مرة أخرى ـ فأصبحت أكثر هدوءاً وتوازناً، وخجلت من الفزع الذى قد انتابها.

أخذت تمشط شعرها الأسود الثقيل، وهى تنظر من طرف عينيها إلى صورتها المنعكسة خلال الضوء المتأرجح لمصباح زيتى فى مرآة رديئة.

ثم رفعت غطاء باب خيمتها واتجهت نحو السرادق الكبير المعد.

" أنت ـ هنا؟ ".

كانت صيحة خافتة، مشوشة وتنم عن بعض التشكك، استدارت لترى على الفور عينى ريموند بوينتون. وكانت عيناه تعبران عن الدهشة الشديدة! وشيء ما فيهما جعلها تلزم الصمت وتشعر ببعض الخوف. وكانت عيناه تملؤهما البهجة. بهجة لا تصدق. بدا الأمر وكأنه أبصر رؤيا من الفردوس ـ بدا مبهوراً ومشوشاً وممتناً وخجولاً! أبدا، عبر حياتها كلها، لن تنسى سارة هذه النظرة.

قال من جديد: " أنت... ".

مسها ذلك الصوت الخفيض المتهدج بشيء ما. وجعل قلبها يدق بعنف فى صدرها. جعلها تشعر بالخجل، والخوف، والحياء، وفجأة حمل لها شعوراً هائلاً بالسعادة.

قالت ببساطة تامة: " نعم ".

اقترب منها، وهو مازال مشوشًا، وما زال لا يصدق وجودها أمامه.

ثم تناول يديها فجأة.

قال: " إنها أنت، أنت حقيقة. ظننتك أول الأمر شبحًا أو سرابًا ـ لأننى رحت أفكر فيك طوال الوقت ". توقف ثم قال: " إننى أحبك، أنت تعرفين... تعرفين أننى أحبك من اللحظة التى رأيتك فيها بالقطار. لقد أدركت ذلك الآن. وأريد منك أن تعرفى ذلك، حتى تدركى أنه لم يكن أنا، أى، لم أكن على طبيعتى الحقيقية، عندما تصرفت معك بخسة ونذالة، وقد أفعل أشياءً كتلك، أى شيء! حينما أمر من جانبك، ولكننى أريدك أن تعرفى أن تلك ليست شخصيتى الحقيقية أو أننى مسئول عن تلك التصرفات. إنها أعصابى وتوترى. إننى لا أستطيع الاعتماد عليها. عندما تخبرنى بأن أقوم بأمور، فإننى أقوم بها... إن أعصابى ترغمنى وتضطرنى اضطراراً! سوف تتفهمين، أليس كذلك؟ يمكنك أن تحتقرينى إذا شئت... ".

قاطعته، وكان صوتها منخفضًا وناعماً وهى تقول: " إننى لن أحتقرك ".

" الأمر سواء، فأنا أستحق هذا! إذ يجب عليّ، أن أتصرف كما يتصرف الرجال ".

كان هذا على نحو ما صدى لصوت الطبيب جيرار ونصيحته، ولكن سارة أجابته بدافع من رغبتها وأملها، وكان يكمن خلف عذوبة وحلاوة صوتها رنة من اليقين والثقة وهى تقول:

" لسوف تفعل ذلك من الآن ".

" هل سأفعل؟ " كان صوته حزينا: " ربما...».

" ستجد الشجاعة الآن. أنا متأكدة من ذلك ".

شد قامته. ورفع رأسه إلى الوراء.

" الشجاعة؟ نعم، هذا كل ما نحتاج إليه. الشجاعة! ".

وفجأة حنى رأسه، ولثم يديها. ثم غادرها بعد ذلك بدقيقة.

الفصل 12

نزلت سارة إلى الصوان الكبير المقام. وجدت هناك رفقاءها الثلاثة فى السفر. كانوا جالسين إلى المائدة يتناولون الطعام. وكان المرشد يوضح أن ثمة مجموعة أخرى هنا.

" وصلوا قبل يومين. وسيغادرون بعد غد. إنهم أمريكيون. الأم، بدينة جداً، من الصعب للغاية وصولها إلى هنا! على مقعد حمله الحمالون. ولقد قالوا إن ذلك كان بمثابة عمل شاق بالنسبة لهم، فى ذلك الحر الشديد، نعم ".

انفجرت سارة فى الضحك. بالطبع، ولقد كان الأمر كله مضحكًا!

نظر إليها المترجم البدين ممتنًا. لم تكن مهمته يسيرة هو الآخر. لقد تشاجرت معه الليدى وستهولم ثلاث مرات فى ذلك اليوم، وقد وجدت الآن عيبًا فى الفراش المتاح لها. فكان ممتنًا للوحيدة من المجموعة التى بدا أنها فى مزاج جيد ولا تبالى بمثل هذه الأشياء.

قالت الليدى وستهولم: " ها! أظن هؤلاء القوم كانوا فى فندق سليمان. لقد تعرفت على الأم العجوز ما إن وصلنا إلى هنا. أعتقد أننى رأيتك تتحدثين إليها بالفندق يا آنسة كنج ".

احمر وجه سارة وشعرت بالذنب، وكانت تأمل ألا تكون الليدى وستهولم قد استمعت إلى قدرٍ كبيرٍ من تلك المحادثة.

حدثت سارة نفسها وهى تشعر بالأسى: " ما الذى انتابنى حينئذٍ ".

وفى هذا الوقت قالت الليدى وستهولم: " إنهم أشخاص لا يثيرون الاهتمام على الإطلاق. إنهم تقليديون للغاية ".

أطلقت الآنسة بيرس عبارات تنم عن التملق والتذلل، فراحت الليدى وستهولم تروى تاريخًا للأشخاص المشوقين والمتميزين من الأمريكيين الذين التقتهم مؤخراً.

كان الطقس شديد الحرارة بالنسبة لهذا الوقت من العام، وأخذوا يرتبون لنزهة سيقومون بها فى الغد.

تجمع الأربعة من أجل الإفطار فى السادسة صباحًا. لم يظهر أى فرد من عائلة

بوينتون. بعد أن أبدت الليدى وستهولم تعليقًا حادًا عن غياب الفاكهة عن مائدة الإفطار، احتسوا الشاي، واللبن المعلب، وبيضًا مقليًا إلى جانب لحم مقدد شديد الملوحة.

ثم شرعوا فى التحرك، أخذ كل من الليدى وستهولم والطبيب جيرار يناقشان بتحمس من جانبها، القيمة الحقيقية للفيتامينات فى الغذاء والتغذية المناسبة للطبقات العاملة.

ثم ناداهم صوت من اتجاه المخيم، فتوقفوا ليسمحوا لشخص آخر أن ينضم إلى المجموعة. كان هذا الشخص هو السيد جيفرسون كوبى الذى هرع إليهم، وقد احمر وجهه الفرح من سرعة الركوض نحوهم.

" إن لم يكن لديكم مانع، أود أن أنضم إلى مجموعتكم هذا الصباح. صباح الخير يا آنسة كنج. مفاجأة لطيفة أن ألتقى بك أنت والطبيب جيرار هنا. ما رأيكم فى ذلك؟ ".

وأومأ مشيراً نحو الصخور الحمراء الخرافية التى تمتد فى كل اتجاه.

قالت سارة: " أعتقد أنها رائعة ومخيفة قليلاً. لطالما تخيلتها كمكان رومانسى أقرب إلى الحلم، إنها " المدينة الوردية " كما يقال. يبدو أنها فى الحقيقة كذلك، إنها حقيقية مثل لحم نيئ ".

بدأت المجموعة فى التسلق؟ ورافقهم اثنان من البدو. رجلان طويلان، يتحركان فى سهولة ويسر، كانا يتمايلان وهما يصعدان بلا اكتراث فى أحذيتهما الطويلة ذات المسامير بخطوة واثقة على المزالق. وسرعان ما بدأت الصعوبات. لم تكن المرتفعات تؤثر تأثيراً سيئًا على سارة وكذلك الطبيب جيرار، لكن كان كل من السيد كوبى والليدى وستهولم بعيدين كل البعد عن أى شعور بالسعادة، والبائسة الآنسة بيرس كادت تُحمل تقريباً فى المواضع شديدة الانحدار، أغمضت عينيها، وعلا وجهها صفرة، بينما ارتفع صوتها دون توقف فى عويل مستمر.

" لم أتمكن أبدا من النظر من فوق الأماكن المرتفعة. أبداً، ومنذ الطفولة ".

وأعربت عن نيتها فى العودة، ولكن عندما استدارت لكى تستقبل المنحدر، شحب وجهها بصورة أكبر، وقررت فى تردد أن تستمر فى القيام بالأمر الوحيد الممكن عمله وهو استئناف التسلق.

كان الطبيب جيرار طيباً وعطوفًا، فأخذ يطمئنها ويهدئ من روعها، ثم سار من ورائها، واضعا عصاه بينها وبين الهاوية الغائرة، وكأن عصاه سياج، وقد اعترفت بأن وهم الحاجز هذا قدم الشيء الكثير للقضاء على إحساسها بالدوار.

سألت سارة ـ وهى تلهث قليلاً ـ محمود الترجمان، والذى على الرغم من حجمه

الهائل لم تظهر عليه أى علامة على الإرهاق:

" ألم تمروا أبداً بمتاعب فى الصعود بالناس إلى هنا؟ أقصد العجائز ".

" دائماً، دائماً تقابلنا متاعب "، هكذا وافقها محمود بوداعة.

" أتحاولون دائماً أن تصحبوهم؟ ".

هز محمود منكبيه العريضين.

" إنهم يحبون أن يأتوا. لقد دفعوا مالاً لرؤية تلك الأماكن. يتمنون أن يروها، والمرشدون من البدو شديدو البراعة، وواثقو الخطوات، ويتدبرون أمورهم جيداً ".

وصلوا أخيرا إلى القمة. أخذت سارة نفسا عميقا.

امتدت الصخور الحمراء من حولهم ومن أسفلهم، وكانت أشبه بلون الدم. بلاد غريبة ولا تصدق ولا يمكن مقارنتها بأى مكان آخر. هنا، فى هواء الصباح المنعش الصافى الرقيق، وقفوا وكأنهم مخلوقات أسطورية، يطلون على عالم غامض غريب، عالم من العنف الملتهب.

وقد أخبرهم المرشد بأن ذلك المكان هو أحد الأماكن المقدسة، وأراهم قطعاً غائراً فى صخرة مسطحة تحت أقدامهم.

انتبذت سارة مكاناً قصياً عن الباقين، وعن العبارات اللطيفة التى تدفقت من لسان المرشد. جلست على صخرة، ومررت يديها عبر شعرها الأسود الكثيف، وحدقت بالأسفل نحو العالم الذى تحت قدميها. وأحست على الفور بوجود شخص ما يقف إلى جوارها. تناهى إليها صوت الطبيب جيرار:

" هل تشعرين بالقشعريرة إزاء غرابة المكان؟ ".

وافقته سارة، ولكن أفكارها كانت بكل وضوح تهيم فى مكان آخر وهو ما لاحظه جيرار عليها مندهشاً.

قال: " إنك تمعنين التفكير فى أمر ما ".

" هذا صحيح ". قالت ذلك وأدارت نحوه وجهاً متحيراً.

" إنه لشىء رائع حقاً أن يذهب المرء ويرى أماكن غريبة وجديدة ولا يبالى بخطورتها، لعلك تعتقد ذلك مثلى، الإنسان يمكنه أن يتشبث بالحياة أكثر من اللازم. غير أن الموت ليس بالخطورة التى نخلعها عليه ".

" لو كان هذا هو اعتقادك يا آنسة كنج لما كنت قد اتخذت من الطب مهنة لك. فبالنسبة لنا نحن معشر الأطباء الموت كان ولابد أن يكون دائما هو العدو الأول ".

اقشعر بدن سارة.

" نعم، أعتقد أنك محق. ومع ذلك، فكثيراً ما قد يكون الموت حلاً لمشكلة. أعنى، أنه قد يصير حتى وسيلة لحياة أفضل... ".

قال الطبيب جيرار: " قد يكون من مصلحتنا أن يموت شخص ما... ".

وجهت سارة نحوه وجهًا مندهشًا.

" لا أقصد أن...»، ولم تكمل حديثها. فقد كان جيفرسون كوبى يقترب منهما.

قال: " والآن فإن هذه البقعة من أكثر الأماكن إثارة، بل الأكثر إثارة على الإطلاق. إننى أخشى أن يفوتنى أى ملمح منها. لابد أن أعترف أن السيدة بوينتون امرأة مميزة حقًا، وإننى لمعجب إعجابًا بالغًا بتصميمها على الصعود حتى هنا. إن السفر معها يعقد الأمور كلها ولا شك. فإن صحتها معتلة، وأفترض أنه من الطبيعى أن يجعلها هذا لا تكترث بمشاعر من حولها من الأشخاص، لكن يبدو أنه كان من المستحيل بالنسبة لها أن تخرج أسرتها فى رحلة استكشافية بدونها! فقد اعتادت للغاية وحسب على تجمعهم من حولها بحيث لا أظن أنها من الممكن أن تتخيل... ".

توقف السيد كوبى عن الحديث، وظهر على وجهه العطوف بعض أمارات الضيق والانزعاج.

قال: " أتعرفان. لقد سمعت بعض المعلومات عن السيدة بوينتون أزعجتنى إزعاجًا بالغًا ".

واستغرقت سارة فى خضم أفكارها من جديد. وراح صوت السيد كوبى يطفو بلطف فى الهواء ويطن فى أذنيها مثل هدير ظريف لنبع ماء بعيد، غير أن الطبيب جيرار قال:

" حقًا؟ وماذا كانت تلك المعلومات؟ ".

" كان مصدر معلوماتى سيدة التقيت بها عرضًا بفندق فى طبرية. والأمر يتعلق بفتاة خادمة كانت تعمل لدى عائلة بوينتون. وحدث أن الفتاة، عرفت أن... ".

توقف السيد كوبي، ملقيًا نظرة سريعة رقيقة نحو سارة وأخفض من صوته. " حدث أن الفتاة كانت تنتظر طفلاً. وبدا أن السيدة العجوز عندما اكتشفت الأمر أبدت فى الظاهر تعاطفًا تامًا مع الفتاة. ثم حدث قبل ولادة الطفل بأسابيع قليلة أن قامت بطردها من المنزل ".

ارتفع حاجبا د. جيرار.

وقال متفكرًا: " آه ".

" لقد كانت السيدة التى أطلعتنى على هذه المعلومة واثقة تماماً كل الثقة مما تقوله. لا أدرى إن كنت تتفق معى أم لا؟ ولكن يبدو لى أن القيام بذلك شيء فى غاية القسوة وغلظة القلب. لا أستطيع أن أفهم... ".

قاطعه د. جيرار قائلاً:

" عليك أن تحاول أن تفهم. ليس لدىّ أدنى شك فى أن هذه الحادثة منحت السيدة بوينتون قدراً كبيراً من المتعة الخالصة ".

التفت السيد كوبى نحوه فى دهشة.

وقال له فى توكيد: " لا يا سيدى. ذلك ما لا أستطيع تصديقه. تلك فكرة غير معقولة بالمرة ".

قال الطبيب جيرار: " يا عزيزى، لقد أمضيت حياتى فى دراسة الأمور الغريبة التى تجرى فى العقل البشري. وليس من الصواب فى شيء أن ندير وجهنا فقط للجانب الطيب من الحياة. فتحت المجاملات الرقيقة والتقاليد الخاصة بالحياة اليومية، يكمن مستودع هائل من الأشياء الغريبة. ومن بين تلك الأشياء مثلاً هناك المتعة فى القسوة لمجرد القسوة. ولكن حين تكتشف ذلك، فغالباً ما تكون هناك أشياء أخرى أكثر عمقا مما وجدته. لابد من وضع تلك الرغبة فى الاعتبار، تلك الرغبة العميقة والمثيرة للشفقة. وإذا كانت تلك الرغبة محرمة وممنوعة، وإذا لم تتمكن الشخصية البائسة لذلك الإنسان من أن تلبى تلك الاحتياجات، فإنها تلتفت نحو وسائل أخرى ـ لابد لها أن تشعر، أن تظهر ـ وهكذا نجد انحرافات غريبة بلا حصر. إن عادة القسوة على الآخرين، شأنها شأن أى عادة أخرى، يمكن اكتسابها وتقويتها، حتى تستولى تماماً على المرء... ".

سعل السيد كوبي قائلاً: " أعتقد أيها الطبيب جيرار أنك تبالغ قليلاً. حقاً، إن النسيم ها هنا فى الأعالى رائع.... ".

وانحرف مبتعداً. ابتسم الطبيب جيرار ابتسامة صغيرة. ونظر مرة أخرى نحو سارة التى كانت مقطبة الجبين، كان وجهها منعقدا فى صرامة الشباب. وظن أنها تبدو مثل قاض صغير السن يصدر حكماً بالموت...

والتفت عنها حين كانت الآنسة بيرس تقترب منهما.

غمغمت قائلة: " إننا سننزل الآن. آه يا ربي! أنا متأكدة أننى لن أنجح فى ذلك، لكن المرشد يقول إن طريق النزول من مسار مختلف وأسهل كثيراً. أتمنى ذلك حقا، لأننى منذ الطفولة لم يكن بمقدورى أبدا أن أطل من الأماكن المرتفعة... ".

كان المهبط يتخذ طريق مسقط مائي. وعلى الرغم من وجود أحجار غير مستقرة

وزلقة، والتى تهدد بأخطار التواء الكاحل، فلم يكن هناك أى دوار ناجم عن الآفاق الفسيحة.

وصلت المجموعة إلى المخيم فى حالة إرهاق، ولكن فى حالة معنوية مرتفعة، وبشهية ممتازة لغداء متأخر. كانت الساعة تجاوزت الثانية ظهراً.

كانت عائلة بوينتون تجتمع حول المائدة الكبيرة فى الصوان. كانوا قد انتهوا للتو من تناول وجبتهم.

وجهت الليدى وستهولم إليهم عبارة مجاملة بأسلوبها اللبق لأقصى حد.

قالت: " كم كان نهاراً رائعاً. إن بتراء بقعة مذهلة ".

بدت العبارة وكأنها موجهة لكارول، فرمت بنظرة سريعة على أمها ودمدمت:

" أوه، نعم... نعم، حقاً " ثم استغرقت فى الصمت.

وبعد أن أحست الليدى وستهولم بأنها أدت واجبها، توجهت نحو طعامها.

وبينما كانوا يأكلون، ناقش الأربعة خطط ما بعد الظهيرة.

قالت الآنسة بيرس: " أظن أننى سوف أنال قسطاً من الراحة معظم فترة ما بعد الظهر. من الضرورى على ما أظن ألا يرهق المرء نفسه بالكثير ".

قالت سارة: " سوف أخرج للتريض قليلاً والاستكشاف. ماذا عنك يا أيها الطبيب جيرار؟ ".

" سأذهب معك ".

ألقت السيدة بوينتون بملعقتها بقرقعة حادة، فنهض الجميع عن أماكنهم وهم يقفزون.

قالت الليدى وستهولم: " أعتقد أننى سوف أحذو حذوك يا آنسة بيرس. ربما أقضى نصف ساعة مع كتاب، وبعد ذلك سوف أستلقى لنحو ساعة. ثم بعد ذلك يمكننى أن أتريض قليلاً، وربما أتمشى تمشية قصيرة ".

وفى بطء، وبمعاونة لينوكس، ناضلت السيدة العجوز بوينتون للوقوف على قدميها. وقفت للحظات ثم تحدثت قائلة:

" يحسن بكم جميعاً أن تخرجوا للتمشية خلال فترة ما بعد الظهر هذه "، هكذا قالت بمودة غير متوقعة.

ربما كان من المضحك قليلاً رؤية الوجوه المتحيرة لأفراد الأسرة.

" ولكن يا أمى ماذا عنك؟ ".

" لست بحاجة إلى أى منكم. أود أن أجلس وحدى بصحبة كتاب. ومن الأفضل ألا تذهب جيني. فسوف ترقد وتنام قليلا ".

" إننى لست متعبة يا أمي. أريد الذهاب مع الآخرين ".

" بل أنت متعبة، وقد أصابك الصداع! لابد أن تأخذى حذرك وتنتبهى لنفسك. اذهبى واخلدى للراحة. إنى أدرك تماماً ما هو صالح لكِ ".

" ولكننى، إنني... ".

ألقت الفتاة برأسها للوراء، وأوشكت على أن تثور. ثم سرعان ما هدأت نظرة عينيها الزائغتين.

قالت السيدة بوينتون: " طفلة حمقاء. اذهبى إلى خيمتك ".

وراحت تخطو خارج الصوان، يتبعها الآخرون.

قالت الآنسة بيرس: " يا إلهى! يا لهم من أشخاص فى منتهى الغرابة. والأم، ما أغرب لون بشرتها. إنها تكسوها الحمرة الشديدة. والقلب، على ما أحسب. لابد أن قلبها يثقل عليها بمتاعبه ".

فكرت سارة: " لقد أصدرت أمراً بإطلاق سراحهم خلال فترة ما بعد الظهيرة. إنها تعرف أن ريموند يريد أن يكون معي. لكن لماذا؟ أهو فخ؟ ".

بعد الغداء، حين ذهبت إلى خيمتها واستبدلت بملبسها ثوباً قطنياً نظيفاً، ظلت الفكرة تقلقها. فمنذ ليلة أمس فإن مشاعرها تجاه ريموند أخذت تضطرم فى شكل ولع وهيام ورغبة شديدة لحمايته. إذن، فهذا هو الحب، هذا الاهتمام الشديد بشخص آخر، وتلك الرغبة فى تجنيب المحبوب أى ألم مهما كلفنا ذلك... نعم، لقد أحبت ريموند بوينتون. لقد كان الأمر أقرب إلى قصة الفارس والتنين، لكنها معكوسة هذه المرة. فإنها هنا هى الفارس المنقذ، وريموند هو الضحية الأسيرة المقيدة.

والسيدة بوينتون هى التنين. تنين أعرب فجأة عن بادرة مودة، تلك البادرة التى تراءت لعقل سارة الواعى علامة شؤم قاطعة.

كانت الساعة حوالى الثالثة والربع عندما مشت سارة صوب الصوان الكبير.

كانت الليدى وستهولم تجلس على أحد المقاعد. وعلى الرغم من حرارة اليوم كانت لاتزال ترتدى تنورتها من نسيج التويد العملية ماركة هاريس. وعلى حجرها كان تقرير المفوضية الملكية. وكان الطبيب جيرار يتحدث إلى الآنسة بيرس التى كانت تقف بجوار خيمتها ممسكة بكتاب عنوانه " مطلب الحب " وكما هو موصوف

على غلافه فإنه حكاية مشوقة من العواطف المشتعلة وسوء الفهم.

قالت الآنسة بيرس موضحة: " لا أعتقد أنه من الحكمة أن يرقد المرء مباشرة بعد الغداء. من أجل الهضم كما تعلم. الجو لطيف فى ظلال الصوان. آه، يا ربي، أتعتقد أنه من الحكمة أن تجلس السيدة العجوز فى الشمس هناك؟ ".

نظروا جميعا إلى الكتلة الناتئة الماثلة أمامهم. كانت السيدة بوينتون تجلس نفس جلستها فى الليلة السابقة، كأحد التماثيل بلا حراك لدى مدخل كهفها. لم يكن هناك أى أثر لمخلوق إنسانى آخر عداها. كان جميع نزلاء المخيم نائمين. وعلى مسافة غير بعيدة، على خط الأفق الخاص بالقرية، كانت مجموعة صغيرة من الأشخاص تسير معًا.

قال الطبيب جيرار: " لمرة واحدة، سمحت لهم الأم الطيبة بأن يستمتعوا بوقتهم بدونها. لعلها مكيدة جديدة من جانبها! ".

قالت سارة: " أتعرف أن هذا ما فكرت به تماما ".

" يا لعقولنا التى يغلب عليها الشك. هيا بنا، فلنلحق بالآخرين ".

انطلقا تاركين الآنسة بيرس لقراءتها الممتعة. وما إن التفا حول منحنى الوادى حتى لحقا بالمجموعة الأخرى تسير الهوينى. ولأول مرة، بدت أمارات السعادة والاطمئنان على أفراد أسرة بوينتون.

لينوكس ونادين، كارول وريموند، وكذلك السيد كوبى بابتسامة عريضة على وجهه. وآخر من وصل الطبيب جيرار وسارة، وسرعان ما صاروا جميعًا يتضاحكون ويتجاذبون أطراف الحديث.

ولدت موجة مفاجئة من المرح الصاخب. وفى عقل كل واحد منهم ساد الإحساس بأن هذه ما هى إلا متعة مختلسة، بهجة مسروقة ليتمتعوا بها إلى الحد الأقصى. لم ينتح كل من سارة وريموند جانبًا عن الآخرين. بدلاً من ذلك، تمشت سارة بصحبة كارول ولينوكس. وراح الطبيب جيرار يثرثر إلى ريموند من ورائهم غير بعيد. وسارت نادين مع كوبى بعيدين شيئًا هينًا.

كان الرجل الفرنسى هو أول من انفصل عن الجمع. تدافعت منه الكلمات بلا انتظام لبعض الوقت، ثم توقف فجأة.

" دعونى أقدم لك ألف كلمة أسف. أخشى أن علىّ العودة ".

نظرت سارة نحوه قائلة: " هل ثمة ما يسوء؟ ".

أومأ قائلاً: " نعم، أشعر بحرارة. لقد أخذت تشتد منذ تناول الغذاء ".

أمعنت سارة فى النظر نحوه وتساءلت: " أهى المالاريا؟ "

" نعم، سوف أعود وأتناول عقار الكينين. أرجو ألا تكون الهجمة سيئة. فأنا ورثتها منذ أن زرت دولة الكونغو ".

سألته سارة: " هل آتى معك؟ ".

" كلا، كلا. إننى أصطحب معى كيس العقاقير. لقد أزعجتكم. واصلوا جميعا نزهتكم ".

سار مسرعا عائداً باتجاه المخيم.

وشيعته سارة بنظرة غير متيقنة للحظات، ثم التقت عينها بعينى ريموند، وابتسمت له، وفى الحال نسيت أمر الرجل الفرنسي.

لبعض الوقت ظل الأفراد الستة مجتمعين معًا، كارول، وسارة، ولينوكس، والسيد كوبى، ونادين، وريموند.

وبعد، بشكل أو بآخر، انتحت هى وريموند جانبا، وسارا متسلقين الصخور ومحاذيين الأجراف، ثم استراحا أخيراً فى بقعة ظليلة.

ساد بعض الصمت، ثم تحدث ريموند قائلاً:

" ما اسمك؟ أعرف أن لقب عائلتك هو كنج. ولكنى أقصد اسمك الأول ".

" سارة ".

" سارة، هل أدعوك به مجرداً؟ "

" فلتفعل بالطبع ".

" سارة، هلا أخبرتنى طرفا عن حياتك؟ ".

وأخذت تتحدث مستندة إلى الصخور، لتحكى له عن حياتها بالوطن فى يوركشاير، عن كلابها وعن عمتها التى ربتها وهى صغيرة.

وبعد ذلك أخذ ريموند بدوره يحكى لها القليل، دون رابط، عن حياته.

بعد ذلك ساد صمت طويل. وظلت أيديهما متشابكة. جلسا، مثل طفلين، يداً فى يد، يلفهما شعور غريب بالرضا.

وعندما بدأت الشمس تميل نحو المغيب، نهض ريموند فجأة.

قال: " سأعود الآن. كلا، ليس بصحبتك. فهناك ما يجب علىّ عمله وقوله. وما إن أتم ذلك، ما إن أثبت لنفسى أننى لست ذلك الجبان الرعديد، عندئذ، عندئذ، لن أجد خجلاً فى المجيء إليك وطلب المساعدة. فلسوف أحتاج المساعدة، تعرفين أننى سوف

أضطر غالبًا لاقتراض بعض المال منك ".

تبسمت سارة، وقالت:

" إننى سعيدة بتفكيرك الواقعي. ويمكنك الاعتماد علىّ ".

" ولكن أولاً علىّ القيام بذلك بمفردى ".

" وما هو الشىء الذى ستقوم به؟ "

اكتسى وجه الفتى الطفولى بظل من صرامة. قال ريموند بوينتون: " لابد أن أثبت شجاعتي. فإما الآن أو لا شيء أبدًا ".

وعندئذ، وفجأة وعلى عجل، استدار وخطا مبتعدًا.

انحنت سارة بظهرها نحو الصخرة وتابعته وهو يبتعد. وشىء ما فى كلامه كان منذرًا لها بشكل غامض. فقد بدا شديد العزم بشدة على القيام بشىء ما، متماديًا فى الجدية والصرامة. وللحظة تمنت لو أنها ذهبت بصحبته...

غير أنها وبخت نفسها بعنف لهذه الرغبة. فقد قرر ريموند أن ينهض بمفرده، حتى يختبر شجاعته حديثة العهد. وهذا حقه.

لكنها أخذت تدعو من كل قلبها ألا تخذله شجاعته.

كانت الشمس تغرب عندما بدأت سارة من جديد ترى المخيم. عندما صارت أقرب ميزت خلال الضوء الضبابى الهيكل الهائل للسيدة بوينتون وهى لاتزال جالسة فى فم الكهف. اقشعر بدن سارة نوعا عند رؤيتها لذلك الجسد المتجمد الهائل.

أسرعت حتى تجاوزت الممر السفلى ووصلت إلى الصوان.

كانت الليدى وستهولم لا تزال جالسة تخيط بالإبرة كنزة صوفية باللون الأزرق البحرى، وخيوط الصوف معلقة حول رقبتها. وكانت الآنسة بيرس تطرز مفرش مائدة بلون أزرق فاتح بأشكال الزهور، وتتلقى فى الآن نفسه محاضرة من الليدى حول الإصلاح السليم لقوانين الطلاق.

دخل الخدم وخرجوا وهم يعدون لوجبة المساء. كانت أسرة بوينتون هناك عند الطرف القصى من الصوان غارقين فى بعض القراءات الخفيفة. ظهر محمود بدينًا ومتباهيًا، وطفت فى الجو ثرثرات ما بعد الشاى، لكن الجميع كانوا غائبين عن المخيم... وقد تم إهمال الجدول الخاص بالرحلة تمامًا... وهى زيارة تعليمية للغاية إلى آثار النبطية.

قالت سارة على عجل إنهم قد استمتعوا جميعًا غاية الاستمتاع.

غادرت إلى خيمتها لتغتسل قبل العشاء. ولدى إيابها منها توقفت قليلاً بجانب خيمة الطبيب، ونادته بصوت خفيض: د. جيرار.

لم تتلق جواباً. رفعت لسان الخيمة وأطلت بداخلها. كان الطبيب مستلقياً بلا حراك على فراشه. انسحبت سارة فى هدوء، على أمل أن يكون نائماً مرتاحاً.

جاء إليها واحد من الخدم مشيراً نحو الصوان. كان العشاء قد أعد بلا شك، وخطت إلى هناك من جديد وكان الجميع مجتمعين هناك حول المائدة عدا كل من الطبيب والسيدة بوينتون. وقد مضى أحد الخدم لينبئ السيدة العجوز بأن العشاء قد أعد. وبعدها حدثت حركة مضطربة مفاجئة بالخارج. اندفع إلى داخل الصوان اثنان من الخدم فى حالة من الذعر وتحدثا بالعربية إلى المرشد فى لهجة متوترة!

تطلع محمود حوله بصورة مرتبكة، ثم خرج، وباندفاع لحظى انضمت إليه سارة على الفور بحركة تلقائية.

سألته: " ما الخطب؟ ".

أجابها محمود: " السيدة العجوز. يقول عبد الله إنها مريضة، لا تبدى حراكا ".

" سآتى لأرى ".

أسرعت سارة خطواتها. وتبعت محمود، وتسلقت الصخرة وسارت باستقامة حتى وصلت إلى الهيكل المستقر على المقعد، ولمست اليد البضة، وفحصت النبض، منحنية عليها.....

ولما رفعت قامتها من جديد كانت أكثر شحوباً.

عادت من حيث أتت إلى الصوان. وتوقفت بالمدخل للحظات ناظرة نحو المجموعة الجالسة هناك على الطرف البعيد من المائدة. وحين تكلمت بدا لها صوتها وقحاً وغير طبيعي.

قالت: " إننى آسفة غاية الأسف ". وأرغمت نفسها على مخاطبة كبير هذه الأسرة ـ أى لينوكس: " لقد توفيت أمكم يا سيد بوينتون ".

وبكل فضول أخذت تراقب الوجوه الخمسة لهؤلاء الأشخاص من مسافة بعيدة، تلك الوجوه التى كان لا يعنى لها هذا الإعلان سوى العتق والحرية.

الجزء الثاني

الفصل 1

ابتسم الكولونيل كاربرى عبر المائدة إلى ضيفه ورفع كأسه: " حسناً، لدينا جريمة ها هنا! ".

انحرفت عينا هيركيول بوارو فى إيماءة إشادة بملاءمة الخبر.

لقد أتى إلى عمان بخطاب تقديم إلى الكولونيل كاربرى من الكولونيل ريس.

كان كاربرى متشوقًا لمقابلة هذه الشخصية المشهورة على مستوى العالم، والذى أولاه صديقه القديم وحليفه فى جهاز المخابرات إشادة سخية.

" كأفضل ما يمكن أن يكون الاستنباط النفسى! " هكذا كتب ريس حول حل جريمة قتل حدثت فى شيتانا.

قال كاربرى، وهو يبرم شاربه الأشعث المخطط: " لابد أن نظهر لكم جميعاً أننا نستحق الجيرة ". كان رجلاً بديناً مهمل الملبس فى طول متوسط، أصلع تماماً تقريباً وله عينان زرقاوان غامضتان. ولم يبد عليه أى شبه حتى بالجنود. ولم يبد حتى حذراً ويقظة على وجه خاص. لم تظهر عليه أدنى صورة للانضباط. ومع ذلك فقد كانت سلطته تتجاوز الأردن لما وراءها.

قال: " هناك مدينة جرش (Jerash) هل أنت مهتم بهذا الضرب من الأمور؟ ".

" إننى مهتم بكل شيء! ".

قال كاربري: " نعم، هذه هى الوسيلة الوحيدة لكى نستجيب للحياة ". ثم صمت.

" قل لى، هل سبق لك أن فوجئت بعملك الخاص يعترض سبيلك أينما ذهبت؟ ".

" عذراً؟ ".

" حسناً، لنعبر عن الأمر ببساطة! هل ذهبت إلى أماكن متوقعا إجازة من الجريمة ـ فوجدت بدلاً من ذلك جثثاً تظهر فجأة؟ ".

" لقد حدث هذا، نعم، أكثر من مرة واحدة ".

همهم الكولونيل كاربرى ونظر نظرة غامضة.

ثم نهض بحركة مفاجئة قائلاً: " بوجود تلك الجثة لدينا الآن لا أجدنى سعيداً

بذلك ".

" حقاً؟ ".

" نعم، هنا فى عمّان. امرأة أمريكية عجوز. ذهبت إلى البتراء مع عائلتها. لتجرب النزهة هناك، والحرارة شديدة فى هذا الوقت من العام، كانت الرحلة أكثر صعوبة ومشقة مما قد تصورت، وهناك الجهد الإضافى على قلبها، فتوفيت! ".

" هاهنا ـ فى عمان؟ "

" كلا، هناك بالأسفل فى بتراء. لقد أحضروا الجثمان إلى هنا اليوم ".

" آه! ".

" الأمر برمته طبيعى تماماً. ومحتمل إلى أبعد حد. بل إنه أكثر أمور العالم المحتملة الحدوث. فقط إنه... ".

" نعم؟ فقط إنه ماذا؟ ".

حك الكولونيل كاربرى رأسه الصلعاء.

وقال: " لقد خطرت لى فكرة. فكرة أن عائلتها قد تكون قتلتها! ".

" حقاً؟ وما الذى يجعلك تعتقد فى هذا؟ ".

لم يرد الكولونيل كاربرى على السؤال مباشرة.

" يبدو أنها كانت امرأة بغيضة. موتها ليس خسارة. والإحساس العام حول رحيلها كان إحساساً طيباً. على أى حال، من الصعب بمكان أن نثبت أى شيء مادام أفراد العائلة يساندون بعضهم البعض وعند الضرورة سيكذبون بلا طرفة ندم. كما أن المرء لا يرغب فى حدوث تعقيدات ـ أو توترات بين الدول. وأسهل ما يمكن فعله، هو أن ندع الأمر يمر! فما من شيء يمكن الانطلاق منه حقاً. لقد قال لى طبيب شاب من معارفى ذات مرة إنه على الرغم من الارتياب فى قضايا تخص مرضاه، أى أنهم قد ألقى بهم إلى العالم الآخر قبل أن يفتك بهم المرض بصورة طبيعية! قال، إن أفضل ما يمكنه القيام به هو التزام الصمت إلا إذا كان تحت يديك شيء ما يمكنك الاعتماد عليه فى دعواك! وإلا فإن الأمور ستسوء بلا داع، ولا تثبت أى قضية، وتُضاف نقطة سوداء فى سجل ممارس عام مجتهد فى عمله وجاد. ثمة شيء ما فى ذلك. الأمر كله سواء ـ حك رأسه من جديد ـ إننى رجل منظم ". هكذا قال دون توقع.

كانت رابطة عنق الكولونيل كاربرى مائلة ناحية أذنه اليمنى، وجورباه مجعدين، كما أن معطفه به بعض البقع، كما أنه ممزق. ومع ذلك كله فإن هيركيول بوارو لم يبتسم. فقد رأى بما يكفى من الوضوح النظام الداخلى فى عقل الكولونيل كاربري،

الحقائق المصطفة فى نظام، وانطباعاته مسجلة ومخزنة بحرص وعناية.

قال كاربري: " نعم، إننى رجل منظم "، ولوح بيده بعلامة غامضة، وأردف قائلاً: " لا تروق لى الفوضى. عندما أصادف وضعاً فوضويا أرغب فى استتباب النظام به. فهمتنى؟ ".

أومأ هيركيول بوارو برأسه فى أسى.

تساءل: " ألم يكن هناك طبيب بينهم بالأسفل؟ ".

" بلى، اثنان. أحدهما كان مصابا بالمالاريا. والأخرى فتاة، تخرجت توا بكلية الطب. ومع ذلك فهى ماهرة فى عملها، على ما أفترض. لم يكن هناك أى شيء غريب فى الوفاة. فالمرأة العجوز كان قلبها معتلاً. ولم تتناول دواء القلب لفترة من الوقت. والحق أنه ما من شيء مفاجئ فى رحيلها فجأة كما جرىالأمر ".

تساءل بوارو فى هدوء: " إذن فما الذى يثير قلقك يا صديقى؟ ".

وجه الكولونيل كاربرى عينين زرقاوين ومنزعجتين نحوه.

" أسمعت برجل فرنسى يدعى جيرار؟ تيودور جيرار؟ ".

" بكل تأكيد. إنه رجل مرموق جداً فى مجاله ".

أكد الكولونيل كاربرى قائلاً: " خبايا العقول المعتوهة. حين يولع المرء بخادمة المنزل وهو فى الرابعة من عمره يحمله هذا على الإصرار على أنه أعظم رجل دين وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر. لا يمكنك مطلقاً أن تعرف كيف أو لماذا، ولكن هؤلاء الشباب يطرحون الأمر فى صورة لا سبيل لدحضها ".

وافقه بوارو قائلاً بابتسامة: " إن د. جيرار بلا شك يعد مرجعاً موثوقاً فى أشكال بعينها من حالات العصاب. فهل تعتمد رؤيته لما حدث فى البتراء على هذا النوع من الأمراض؟ ".

هز الكولونيل كاربرى رأسه فى غموض.

" كلا، كلا. لا تزعج نفسك، فإننى لا أومن بأن ذلك كله صحيح. إنه واحد من تلك الأشياء التى لا أفهمها ـ كما هو الشأن مع واحد من الرفاق البدو الذى يمكنه النزول من السيارة فى قلب الصحراء المنبسطة، ويمسك بالرمال بين يديه فيخبرك بموضعك فى حدود ميل أو ميلين. ليس فى الأمر أى سحر، غير أنه يبدو كذلك. كلا، إن قصة د. جيرار سهلة وواضحة. مجرد حقائق بسيطة. أظن أنه إذا كنت تبدى اهتماماً ـ أتهتم بالموضوع أولاً؟ ".

" نعم، نعم ".

" أنت رجل صالح. إذن أظن أننى سأجرى اتصالاً وأحضر د. جيرار على الفور، ويمكنك الاستماع إلى روايته بنفسك ".

عندما أوشك الكولونيل على الذهاب ليلبى هذا المطلب، قال بوارو:

" مم تتكون هذه الأسرة؟ ".

" لقب الأسرة بوينتون. هناك ابنان، أحدهما متزوج، وزوجته فتاة جميلة، من النوع الهادئ الحساس. وهناك فتاتان. كلتاهما جميلتان، ولكن من نمطين مختلفين كل الاختلاف. الصغرى مهزوزة الأعصاب قليلا ـ ولكن قد يكون هذا من جراء الصدمة وحسب ".

قال بوارو: " بوينتون. ذلك مثير للفضول. مثير للفضول للغاية ".

رماه كاربرى بنظرة متسائلة. ولكن حين لم يضف بوارو أى شيء آخر، واصل هو قائلاً:

" يبدو أنه من الجلى للغاية أن الأم لم تكن إلا مخلوقة وضيعة! كانوا يقفون حولها ويلبون مطالبها على قدم وساق. كما أنها كانت تمسك بكيس النقود. ولا واحد منهم كان يمتلك فلسا واحدا فى ذمته المالية ".

" عجباً! الأمر كله مثير جداً. أمن المعروف كيف أوصت بتوزيع تركتها؟ ".

" لقد طرحت هذا السؤال، بشكل عارض، كما تعرف. إن المال سوف يقسم بالتساوى بينهم جميعا ".

أومأ بوارو برأسه. ثم تساءل:

" هل تظن أنهم جميعاً متورطون فى ذلك؟ ".

" لا أدرى. هنا تكمن الصعوبة فى الاستمرار فى الكذب. أما إذا كان الأمر جهداً جماعياً أو فكرة نيرة لواحد منهم، فلا أدرى! يبدو الأمر مثيراً، ولكنه لا ينطوى على شيء مع ذلك! كل ما هنالك أننا نود الاطلاع على رأيك المهنى. حسناً، ها هو جيرار قد أتى ".

الفصل 2

دخل الرجل الفرنسى بخطوة حثيثة وإن لم تكن متعجلة. وبينما كان يصافح الكولونيل كاربرى ألقى بنظرة سريعة ومستطلعة على بوارو. قال كابري:

" هذا هو السيد هيركيول بوارو. يقيم معى. كنت أتحدث إليه حول هذا الأمر الذى حدث فى البتراء ".

راح جيرار ينظر إلى بوارو نظرة سريعة من أعلى إلى أسفل، قائلاً: " حقاً؟ هل أنت مهتم؟ ".

لوح هيركيول بوارو بيده وقال:

" بكل أسف! إن المرء يصاب بداء الاهتمام الذى لا شفاء منه فيما يخص مجال عمله ".

قال جيرار: " هذا صحيح ".

قال كاربري: " هل تحب أن تتناول شيئًا؟ ".

وصب لهم شرابًا باردًا منعشًا، لكن بوارو هز رأسه إعراضا. فجلس الكولونيل من جديد وأزاح مقعده ليقترب أكثر منهما.

قال: " حسنًا، أين كنا؟ ".

قال بوارو لجيرار: " فهمت أن الكولونيل غير راض ".

أومأ جيرار برأسه.

قال: " ولعل الخطأ خطئى أنا! وقد أكون غير محقٍ. تذكّر ذلك يا كولونيل فقد أكون غير محق البتة ".

همهم كاربري.

قال: " فلتقدم الحقائق لبوارو ".

شرع د. جيرار فى تقديم موجز للأحداث التى سبقت الرحلة إلى البتراء. ورسم صورة سريعة قصيرة لأفراد أسرة بوينتون كما وصف الضغط النفسى والتوتر الذى كان يعانى منها الجميع.

أنصت بوارو إليه فى انتباه.

ثم انتقل جيرار إلى الأحداث الفعلية ليومهم الأول فى البتراء، واصفاً كيف عاد إلى المخيم.

شرح قائلا: " لقد أصبت بنوبة سيئة من المالاريا من النوع الدماغي، وقررت أن أعالج نفسى من ذلك بحقنة تحت الجلد من الكوينين. تلك هى الطريقة المعتادة ".

أومأ بوارو فى تفهم.

" ثقلت علىّ الحمى بصورة سيئة. فترنحت إلى خيمتي. فى البداية، فلم أستطع أن أجد كيس العقاقير، فقد حركه شخص ما من موضعه الذى وضعته فيه سابقاً. وبعد، عندما وجدته، لم أستطع العثور على حقنتى الوريدية. رحت أفتش عنها لبعض الوقت، ثم أقلعت عن البحث وتناولت جرعة كبيرة من الكوينين عن طريق الفم وألقيت بنفسى على الفراش ".

صمت جيرار، ثم واصل قائلاً:

" لم يتم اكتشاف موت السيدة بوينتون إلا بعد غروب الشمس. ووفقًا للطريقة التى كانت تجلس بها والدعامة التى كان المقعد يمنحها لجسمها، لم يطرأ أى تغير على أسلوب جلوسها، ولم يلحظ أحد أن ثمة خطأ إلا حينما ذهب أحد الخدم لاستدعائها لتناول طعام العشاء فى السادسة والنصف ".

وشرح بالتفصيل هيئة الكهف ومدى ابتعاده عن الصوان الكبير.

" قامت الآنسة كنج، وهى طبيبة مؤهلة، بفحص الجثة. لم تشأ إزعاجى لعلمها بأننى مصاب بالحمى. لم يكن هناك فى الحقيقة أى شيء يمكن القيام به. لقد كانت السيدة بوينتون قد توفيت، وكانت قد توفيت منذ فترة قصيرة ".

غمغم بوارو: " كم تقدر تلك الفترة على وجه التحديد؟ ".

" لا أظن أن الآنسة كنج قد أولت هذه النقطة انتباهها. وأفترض أنها ظنت أن ذلك ليس له أى أهمية ".

قال بوارو: " وهل يمكن أن تعرف متى كانت آخر مرة شوهدت فيها؟ ".

تنحنح الكولونيل كاربرى وقال وهو يشير إلى وثيقة رسمية الطابع:

" لقد تحدثت كل من الليدى وستهولم والآنسة بيرس إلى السيدة بوينتون بعد الرابعة مساء بقليل. وتحدث لينوكس بوينتون إلى والدته فى حوالى الرابعة والنصف. ولقد تحدثت السيدة لينوكس بوينتون معها لفترة طويلة بعد ذلك بخمس دقائق تقريباً. وتبادلت كارول بوينتون كلمة معها فى وقت لا يمكنها أن تحدده بدقة ـ ولكن

طبقًا لشهادة الآخرين كان ذلك بعد حوالى خمس أو عشر دقائق ".

" وقد قام جيفرسون كوبي، وهو صديق أمريكى للأسرة، بالرجوع إلى المخيم بصحبة الليدى وستهولم والآنسة بيرس ورأوها نائمة. فلم يتحدث إليها. كان ذلك فى نحو السادسة إلا الثلث. ويبدو أن ريموند بوينتون، الابن الأصغر، هو آخر شخص رآها حية. تحدث معها فى نحو السادسة إلا عشر دقائق بعد أن عاد إلى المخيم، حيث كان يتريض قليلاً بالخارج. وتم اكتشاف الجثة فى السادسة والنصف عندما ذهب أحد الخدم ليعلمها بإعداد العشاء. "

تساءل بوارو: " ألم يقترب منها أحد ما بين الوقت الذى تحدث فيه إليها ريموند والسادسة والنصف؟ ".

" كلا، فيما أعتقد ".

أصر بوارو: " ولكن لابد أن أحدهم قد فعل ذلك؟ ".

" لا أعتقد هذا. فمنذ الساعة السادسة فصاعدا كان الخدم يتحركون فى أرجاء المخيم، والناس تدخل وتخرج من خيامهم. ولم نجد أحداً قد رأى شخصاً ما يقترب من السيدة العجوز ".

قال بوارو: " إذن فإن ريموند بوينتون هو بلا شك آخر شخص رآها حية؟ ".

تبادل كل من د. جيرار والكولونيل كاربرى نظرة سريعة. راح الكولونيل كاربرى يدق بأنامله على المنضدة.

ثم قال: " من هنا ستبدأ الصعوبات. استمر يا د. جيرار فالعهدة عليك الآن ".

" كما ذكرت توًا، فإن سارة كنج، عندما قامت بفحص السيدة بوينتون لم تجد أى سبب لتحديد وقت الوفاة. واكتفت بالقول بأن السيدة بوينتون قد توفيت قبل وقت قليل، ولكن فى اليوم التالى ولأسباب تخصنى عندما حاولت أن أتبين الأمور وسمعت بالمصادفة أن السيدة بوينتون قد شوهدت آخر مرة من قبل ابنها ريموند قبيل السادسة بقليل، ولدهشتى الشديدة فإن الآنسة كنج قالت بوضوح إن هذا مستحيل، لأنه فى ذلك الوقت كانت السيدة بوينتون قد توفيت بالفعل ".

ارتفع حاجبا بوارو: " عجيب. عجيب للغاية. وما الذى قاله السيد ريموند بوينتون تعقيباً على ذلك؟ ".

قال الكولونيل كاربرى بسرعة: " أقسم أن أمه كانت حية. فقد اقترب منها قائلاً: " لقد عدت. أرجو أن تكونى قد أمضيت وقتاً لطيفاً بعد الظهيرة؟ "، أو شيئا من هذا القبيل. وقال إنها قد غمغمت بـ " على ما يرام "، ثم مضى إلى خيمته ".

قطب بوارو متحيرا.

قال: " شيء مثير للفضول، مثير للفضول إلى أبعد حد. قل لي، هل كان ذلك وقت الغسق؟ ".

" كانت الشمس قد غربت لتوها ".

قال بوارو من جديد: " شيء مثير للفضول. وأنت يا أيها الطبيب جيرار متى رأيت الجثة؟ ".

ليس قبل اليوم التالي. فى التاسعة صباحاً لكى أكون دقيقا ".

" وهل قمت بتقدير وقت الوفاة؟ ".

هز الرجل الفرنسى منكبيه.

" من الصعب تحرى الدقة بعد كل ذلك الوقت. لابد أن يكون هناك فارق زمنى لا يتعدى عدة ساعات. وإذا اضطررت لتقديم شهادة تحت القسم لا يمكن لى إلا أن أقول إنها ماتت منذ اثنتى عشرة ساعة وليس أكثر من ثمانى عشرة ساعة. أترى؟ إن ذلك لا يفيد على الإطلاق ".

قال الكولونيل كاربري: " استمر يا أيها الطبيب قل له كل ما لديك ".

قال الطبيب جيرار: " بعد استيقاظى فى ذلك الصباح عثرت على الحقنة تحت الجلد الخاصة بى، كانت وراء حقيبة زجاجات الأدوية فى صوان ملابسى ".

انحنى مقطبًا.

" إذا شئت يمكنك القول إننى لم ألحظها فى اليوم السابق. فقد كنت فى حالة يرثى لها من الحمى والسقم، وأرتجف من رأسى إلى أخمص قدمى، وكم من المرات يفتش المرء عن شيء موجود أمامه طيلة الوقت ويعجز عن العثور عليه مع ذلك! ولكن كل ما يمكننى قوله إننى متأكد تمامًا من أن الحقنة لم تكن هناك حينئذ ".

قال كاربري: " ومازال هناك شيء آخر ".

" نعم، حقيقتان جديرتان بالاهتمام ولهما دلالة كبيرة. كانت هناك علامة على معصم المرأة المتوفاة ـ علامة مثل التى يسببها الحقن بحقنة تحت الجلد. ولعلنى أقول إن ابنتها قد فسرت الأمر بأنه قد نجم عن انكسار الإبرة ـ ".

سأل بوارو: " أى ابنة؟ ".

" ابنتها كارول ".

" نعم، استمر أرجوك ".

" وهناك الحقيقة الأخيرة. لقد تصادف أننى كنت أفحص حقيبتى الصغيرة الخاصة بالعقاقير، ولاحظت أن مخزونى من الديجيتوكسين قد قلّ إلى حد كبير ".

قال بوارو: " الديجيتوكسين! إنه عقار مدمر للقلب، أليس كذلك؟ ".

" بلى! إنه مستحضر من الديجيتاليس بيربيريا ـ من نبتة الفوكسجلوف الشائعة. هناك أربعة مكونات فعالة نشطة منه ـ الديجيتالين ـ الديجيتونين ـ الديجيتالاين ـ والديجيتوكسين. ويعد الديجيتوكسين ذلك هو أكثر العقاقير سمية، ومستخلص من أوراق نبتة الديجيتاليس. ووفقاً لتجارب كوب فإنه أقوى من الديجيتالين والديجيتالاين بنسبة من ست إلى عشر مرات، وهو مسموح به فى فرنسا، ولكن ليس مسموحاً به فى جداول العقاقير البريطانية ".

" وما هو تأثير جرعة كبيرة من الديجيتوكسين برأيك؟ ".

قال د. جيرار بجدية وأسى: " بوسع جرعة كبيرة من الديجيتوكسن والتى تضخ فجأة إلى الدورة الدموية عن طريق الحقن الوريدى أن تؤدى إلى موت مفاجئ بشلل سريع للقلب. ومن المقدر أن أربعة ميلليجرامات قد تفتك برجل ناضج ".

" والسيدة بوينتون تعانى بالفعل من متاعب القلب؟ ".

" صحيح، ففى الحقيقة فإنها كانت تتناول بالفعل دواء يحتوى على ديجيتالين ".

قال بوارو: " ذلك أمر مشوق ومثير جداً ".

تساءل الكولونيل كاربرى: " أتعنى أن موتها قد يرجع إلى جرعة زائدة من دوائها؟ ".

" نعم، صحيح، ولكننى أعنى أكثر من ذلك ".

قال د. جيرار: " قد يعتبر الديجيتالين دواءً تراكمياً. وعلاوة على ذلك وبالنظر إلى مظهرها بعد الوفاة، فإن العنصر النشط للديجيتاليس قد يقضى على حياة المرء دون أن يترك أثراً ".

أومأ بوارو إيماءة توحى بالتقدير وقال: " نعم، هذه براعة، براعة شديدة. من المستحيل تقريبًا إثبات وقوع الضرر إثباتًا مقنعًا ومرضيًا. ولكن اسمحا لى بأن أقول لكما يا سيدىّ العزيزين إنه إذا كانت هاهنا جريمة قتل باستخدام السم، السم الذى تناولته الضحية بالفعل سواء عن طريق الخطأ أو حادثة متعمدة كان شديداً ومؤثراً. أوه، نعم، ثمة عقول تعمل هاهنا. ثمة تفكير وعناية وعبقرية ".

ولبرهة جلس صامتًا، ثم رفع رأسه قائلاً: " ولكن مازال هناك شىء يحيرنى ".

" وما هو ذلك؟ ".

" سرقة حقنة تحت الجلد ".

قال د. جيرار على الفور: " لقد أخذها أحدهم ".

" نعم، أُخذت وأُعيدت؟ ".

" نعم ".

قال بوارو: " عجيب. عجيب جداً. وإلا لكان كل شيء مناسبا تماما... ".

نظر إليه الكولونيل كاربرى فى فضول.

قال: " حسناً؟ ما هو رأيك كخبير؟ أتلك جريمة قتل أم لا؟ ".

رفع بوارو إحدى يديه، وقال:

" دقيقة واحدة. إننا لم نبلغ بعد تلك النقطة. مازال هناك دليل ما لم نضعه فى الاعتبار ".

" أى دليل؟ كل شيء بين يديك الآن ".

أومأ برأسه ناظراً بابتسامة إلى وجهيهما المتشوقين.

" نعم، إنه أمر طريف! فبعد أن قمتما بقص الحكاية على مسامعى، آن الأوان لكى أقدم لكما دليلاً صغيراً لا تعلمان عنه شيئاً، لقد حدث الأمر كالتالى. بفندق سليمان، ذات ليلة، توجهت إلى النافذة لكى أتأكد من إغلاقها ".

سأله كاربرى: " إغلاقها أم فتحها؟ ".

قال بوارو فى صرامة: " إغلاقها، فقد كانت مفتوحة، وبطبيعة الأمر ذهبت لكى أغلقها. ولكن قبل أن أفعل سمعت صوتاً يتحدث، صوتاً مـألوفاً، منخفضاً لكنه كان واضحاً وفيه بعض التوتر والعصبية. قلت لنفسى إننى سوف أتعرف على هذا الصوت ثانية. وماذا كان يقول؟ يقول تلك العبارة " ألا توافقينى فى أنها يجب أن تُقتل؟ ".

" فى تلك اللحظة، وبشكل طبيعي، لم أتعامل مع هذه العبارة على أنها إشارة إلى قتل حقيقي، أعنى لشخص ما. أعتقدت أنه مؤلف، أو ربما كاتب مسرحى هو من يتحدث. ولكننى الآن، لست واثقاً من ذلك. فلنقل إننى متأكد أن الأمر لم يكن له صلة بشيء كذلك ".

وتوقف مجدداً قبل أن يقول: " سيدى، سأقول لكما هذا ـ إننى على أتم الثقة من أن تلك العبارة جاءت على لسان الشاب الذى رأيته فى ردهة الفندق، والذى قيل لى عندما استفسرت عنه إن اسمه هو ريموند بوينتون ".

الفصل 3

" أقال ريموند بوينتون ذلك؟! ".

بدر هذا التساؤل عن الرجل الفرنسى رغماً عنه تقريباً.

تساءل بوارو فى هدوء: " أتظن أنه من غير المرجح أن يفعل، من وجهة النظر النفسية؟ ".

هز جيرار رأسه نافياً.

" كلا، لا يجب أن أقول هذا. كنت مندهشاً، نعم. إذا تابعت ما أقول، فإننى اندهشت فقط لأن ريموند بوينتون من الشخصيات التى قد ترتكب شيئاً كهذا ".

تنهد الكولونيل كاربرى، وكأنه يقول: " يا لعلماء النفس هؤلاء! ".

غمغم قائلاً: " السؤال هو ما الذى سنفعله حيال ذلك؟ ".

هز جيرار منكبيه.

" لا أدرى ما الذى يمكننا عمله " هكذا قال وأضاف: " إن الدليل غير حاسم وغير مؤكد. ربما نعلم أن الجريمة قد ارتكبت، ولكن سيكون من الصعب إثبات ذلك ".

قال الكولونيل كاربرى: " فهمت، إننا نشتبه فى وقوع جريمة قتل ونكتفى بالجلوس وطقطقة الأصابع! لا يروق لى هذا! ". ثم أضاف كما لو كان يؤكد على دعواه السابقة: " إننى لرجل منظم ".

أومأ بوارو برأسه فى تعاطف: " أعلم ذلك، أعلم. إنك تود أن تستوثق من الأمر، تود أن تعلم علم اليقين ما الذى حدث وكيف حدث. وأنت أيها الطبيب جيرار؟ لقد قلت إنه ما من شيء يمكن القيام به ـ ذلك لأن الدليل غير حاسم ومؤكد، وهذا صحيح على الأغلب. ولكن هل ستكون راضياً إذا ما تُرك الأمر على هذا الحال؟ ".

قال جيرار ببطء: " لقد كانت إنسانة سيئة، وعلى أية حال، لربما توفيت بعد فترة قصيرة، بعد أسبوع، أو شهر، أو عام ".

أصر بوارو على سؤاله: " إذن فأنت راضٍ؟ ".

واصل جيرار قائلا:

" لا شك فى أن موتها كان ـ كيف لى أن أصوغ الأمر؟ ـ فيه خير للجميع، وسيفتح لهم ذلك أبواب الحرية، وستتولد لديهم الفرصة لكى تتطور شخصياتهم إلى الأفضل، فهم جميعاً ـ على ما أعتقد ـ أشخاص من معدن طيب، وهم أيضاً أذكياء. وسوف يصيرون الآن أعضاء نافعين بالمجتمع! لم ينتج عن موت السيدة بوينتون، فى ظنى، إلا كل خير ".

كرر بوارو سؤاله للمرة الثالثة: " إذن فأنت راضٍ؟ ".

" كلا "، هكذا قال جيرار ضارباً بقبضته على المنضدة: " لست راضيا، على حد تعبيرك! إن طبيعتى تدفعنى لحفظ حياة الإنسان، وليس إلى التعجيل بالموت. وعلى الرغم من أن عقلى الواعى قد يكرر على مسمعى أن موت هذه المرأة شيء فيه خير للجميع، غير أن عقلى الباطن يتمرد ويرفض هذا! فليس من الخير يا سيدى أن تسرق حياة الإنسان قبل أجلها، والقتل إثم كبير! ".

ابتسم بوارو واضطجع فى مجلسه راضياً بالإجابة التى تقصاها بصبر وحلم.

قال الكولونيل كاربرى بلا انفعال: " إنه لا يحب جرائم القتل، صحيح تماماً، ولا أنا كذلك ".

نهض وصب لنفسه كأسا آخر من الشراب المنعش. ووجد أن كأس ضيفه مازال ممتلئاً.

قال وهو يستأنف الحديث: " والآن، دعونا نركز على الأهم. هل هناك أى شيء يمكن القيام به حيال ذلك؟ إن الأمر غير مُرض ولا يروق لنا، كلا! ولكن قد نضطر لابتلاعه رغما عنا! فليس من المستحسن إثارة الضجة إذا لم تؤد إلى نتيجة طيبة ".

انحنى جيرار إلى الأمام قائلاً: " وما هو تقديرك المهنى يا سيد بوارو؟ فأنت صاحب خبرة كبيرة ".

انتظر بوارو وقتاً قليلاً قبل أن يتحدث. وراح يعبث بأعواد الثقاب المستخدمة فى المرمدة أمامه. ثم قال:

" إنك ترغب فى أن تعرف يا كولونيل كاربرى من الذى قتل السيدة بوينتون، أليس كذلك؟ (هذا إذا كانت قد قتلت ولم تمت ميتة طبيعية). وأن تعرف بالضبط متى وكيف تم قتلها ـ وأن تعرف الحقيقة الكاملة للموضوع؟ ".

تحدث كاربرى فى هدوء: " نعم، أرغب بشدة فى معرفة ذلك ".

قال هيركيول بوارو فى بطء: " لا أرى أى سبب يمنعنا من معرفة ذلك كله! ".

بدا الطبيب جيرار مستخفاً بما يقوله. أما الكولونيل كاربرى فقد اعتراه اهتمام

معتدل.

قال: " حقاً؟ ألا ترى ما يمنع حقاً؟ ذلك مثير للاهتمام. كيف تقترح أن نصل إلى ذلك؟ ".

" عن طريق تتبع الأدلة وفحصها جيداً، بواسطة المنطق ".

قال الكولونيل كاربرى: " هذا يناسبنى ".

" ومن خلال دراسة الاحتمالات النفسية للموضوع ".

قال كاربرى: " وهذا يناسب الطبيب جيرار على ما أتوقع. وبعد ذلك، بعد أن تكون قد محصت وتحريت الأدلة وقمت ببعض التفكير المنطقى، وخضت غمار التحليل النفسي، وعندئذ ـ مرحى! ـ تعتقد أنه سيكون بوسعنا إخراج الأرنب من القبعة مثل السحرة؟ ".

قال بوارو فى هدوء: " سأكون مندهشا غاية الدهشة إذا لم نتمكن من ذلك فى النهاية ".

حدق فيه الكولونيل كاربرى من بين الزجاج المغبش لكأسه. وللحظات اكتست العينان الغامضتان بالتقدير والثناء.

وضع كأسه بصوت قرقعة.

" ماذا تقول فى ذلك أيها الطبيب جيرار؟ ".

" أعترف بأننى أشك فى نجاح الأمر. نعم، أعرف أن السيد بوارو له سمعة هائلة وقدرات لا تنكر ".

قال الرجل الضئيل: " إننى موهوب، حقاً ". وابتسم بتواضع.

أشاح الكولونيل برأسه بعيداً وسعل.

قال بوارو: " أول شيء يجب إقراره هو ما إذا كان الأمر جريمة جماعية، خطط لها ونفذها أفراد أسرة بوينتون ككل، أم أنه من عمل شخص واحد فقط. وإذا كان الأمر الثانى، فمن هو أكثر أفراد الأسرة الذى يمكنه القيام بذلك ".

قال الطبيب جيرار: " هناك دليلك الذى كشفت عنه. فإن أول المشتبه بهم هو ريموند بوينتون ".

قال بوارو: " أتفق معك، الكلمات التى سمعتها والتباين بين شهادته وكلام الطبيبة الشابة يضعه بلا خلاف فى صدارة المشتبه بهم ".

" لقد كان آخر شخص يرى السيدة بوينتون قبل وفاتها. هذه هى روايته. وسارة

كنج تعارض ذلك. قل لى أيها الطبيب جيرار، أهناك...؟ أعنى، تعاطف، أيمكننا أن نقول إن هناك...؟ ".

أومأ الرجل الفرنسى بالإيجاب. " بكل تأكيد ".

" فهمت! أهى تلك الشابة ذات الشعر الأسود المعقوص، ولها عينان واسعتان ذات لون بنى وأسلوب يغلب عليه الثقة بالنفس؟ ".

بدت بعض أمارات الدهشة على وجه الطبيب جيرار.

" نعم، لقد وصفتها بمنتهى الدقة ".

" أعتقد أننى قد رأيتها، بفندق سليمان. لقد كانت تتحدث إلى المدعو ريموند بوينتون وبعدها ظل واقفاً بلا حراك، كما لو كان فى حلم يقظة، وقد كان يقف معترضاً طريق المصعد. وكان علىّ أن أقول له: " اسمح لى " ثلاث مرات قبل أن يسمعنى ويتحرك ".

لبث مفكرا لبضع دقائق. ثم قال: " إذن، لنبدأ بهذا، هل نقبل بالدليل الطبى للآنسة كنج مع بعض التحفظات. لأنها طرف متورط؟ ". توقف، ثم واصل قائلاً: " أخبرنى يا أيها الطبيب: أتعتقد أن ريموند بوينتون ذو طبيعة وشخصية تمكنه من أن يرتكب جريمة قتل ببساطة ويسر؟ ".

قال جيرار ببطء: " أتعنى جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد؟ نعم، أعتقد أن هذا ممكن، ولكن فقط تحت ضغوط نفسية وعصبية شديدة ".

" أكانت تلك الظروف متوفرة؟ ".

" بكل تأكيد. لقد تسببت الرحلة إلى الخارج فى رفع درجة التوتر والوطأة الذهنية التى يرزح تحتها جميع هؤلاء الأشخاص. والتناقض ما بين حياتهم وحياة الأشخاص الآخرين التى تبدت لهم بدرجة أكبر. وفى حالة ريموند بوينتون... ".

" أكمل ".

" كان هناك تعقيد إضافى يتمثل فى انجذابه القوى إلى سارة كنج ".

" أيمنحه هذا دافعاً إضافياً وحافزاً إضافياً؟ "

" هكذا هو الأمر ".

سعل الكولونيل كاربري.

" أود أن أتدخل للحظات. جملته تلك التى سمعتها أنت " ألا توافقينى فى أنها يجب أن تقتل؟ " لابد أنها كانت موجهة لشخص ما ".

قال بوارو: " نقطة جيدة، ولم أنس ذلك. نعم، إلى أى شخص كان السيد ريموند بوينتون يتحدث؟ إلى فرد من أفراد الأسرة بغير شك. ولكن أيهم؟ أيمكنك أن تخبرنا يا سيد جيرار عن الحالة العقلية للأفراد الآخرين فى الأسرة؟ ".

أجاب جيرار على الفور: " كانت كارول بوينتون، على ما أعتقد، فى نفس حالة ريموند، حالة من التمرد مصحوبة بتوتر عصبى بالغ، ولكنها تخلو فى حالتها من عامل الانجذاب العاطفى مثله نحو الجنس الآخر. أما لينوكس بوينتون فقد تجاوز مرحلة التمرد. وكان غارقاً فى اللامبالاة، وأعتقد أنه كان يجد صعوبة فى التركيز. وكان أسلوبه فى الاستجابة لما يجرى حوله يتمثل فى التقوقع داخل ذاته. كان انطوائيا بلا جدال ".

" وزوجته؟ ".

" على الرغم من أن زوجته كانت مرهقة وغير سعيدة، فإنها لم تبد علامة من علامات الصراع العقلى. كانت على ما أعتقد مترددة وكأنها على وشك اتخاذ قرار حاسم ".

" قرار بأى شيء؟ ".

" ما إذا كانت ستهجر زوجها أم لا ".

وكرر عليهما المحادثة التى أجراها مع جيفرسون وكوبى. وأومأ بوارو فى استيعاب وتفهم.

" وماذا عن الفتاة الصغيرة، إن اسمها هو جنفرا، أليس كذلك؟ ".

" لابد أن أقول إنها من الناحية العقلية فى حالة خطيرة لأقصى مدى. لقد بدأت بالفعل تظهر عليها أعراض الانفصام. فلعجزها عن احتمال كبت وضغط حياتها، فرت إلى مملكة الخيال. ولديها أوهام بأنها مضطهدة، فلنقل إنها تزعم أنها شخصية من أصول ملكية، يحيط بها الأعداء من كل حدب وصوب، وهى مهددة بالخطر، وكل تلك الأمور المعتادة! ".

" وتلك حالة خطرة؟ ".

" خطرة للغاية. إنها بداية لما يعرف غالباً بهوس القتل. فإن المريض يقدم على القتل عندها لا لشهوة القتل، ولكن للدفاع عن نفسه. فالمريض أو المريضة يُقدم على القتل لكى لا يكون هو نفسه ضحية القتل على يد الآخرين. ومن هذه الزاوية فهو منطقى تماماً ".

" إذن أتعتقد أن جنفرا قد تكون هى من قتلت أمها؟ ".

" نعم. ولكن أتشكك فى امتلاكها للمعرفة وللعقلية المعقدة للقيام بجريمة القتل على النحو الذى تمت به. إن مكر هذه الفئة من المرضى يتسم غالباً بشدة البساطة والوضوح. وأكاد أكون واثقا أنها كانت لتختار وسيلة أكثر مسرحية للقتل ".

أصر بوارو: " ولكن أهناك إمكان لذلك؟ ".

أقر جيرار قائلاً: " نعم ".

" وبعد أن تم ارتكاب الحادث، هل تظن أن بقية أفراد الأسرة يعلمون بمن قام به؟ ".

قال الكولونيل على غير توقع: " إنهم يعلمون! إذا صادف لى أن ألتقى بمجموعة من الأشخاص يخفون شيئاً ما فهم هؤلاء! إنهم يتواصلون معا على خير وجه ".

قال بوارو: " سنجعلهم يخبروننا بما يخفون ".

قال الكولونيل كاربرى: " بالتحقيق؟ ".

هز بوارو رأسه قائلا: " كلا. بإجراء محادثات عادية معهم. فعلى وجه العموم كما تعرف يقول الأشخاص الحقيقة. لأن ذلك أسهل! لأن ذلك أقل وطأة من اختلاق الأكاذيب! فالمرء يمكنه أن يختلق كذبة، أو اثنتين، أو ثلاث أكاذيب، بل وأربع، لكنه لا يسعه الكذب طيلة الوقت. فالحقيقة تتضح فى النهاية ".

وافق كاربرى: " هذا صحيح ".

ثم قال بسرعة: " سوف تتحدث إليهم، أليس كذلك؟ مما يعنى أنك على استعداد للاضطلاع بالأمر ".

أومأ بوارو برأسه.

قال: " لنكن واضحين جداً بشأن هذا، ما تسعى إليه وما ينتظر منى هو أن أكشف الحقيقة. ولكن فلتنتبه إلى ذلك، حتى لو حصلنا على الحقيقة، فربما لن يكون هناك أى دليل عليها. فلنقل ما من دليل يكون مقبولاً أمام المحكمة. أتفهمنى؟ ".

قال كاربرى: " نعم. ليس عليك إلا أن تكشف لى عما حدث بالضبط. ويبقى علىّ أن أقرر ما إذا كان ينبغى أن نأخذ إجراءً رسمياً أم لا ـ بالأخذ فى الاعتبار الشئون الدولية. على أى حال، المهم هو استتباب النظام، والتخلص من الفوضى. إن الفوضى لا تروق لى ".

ابتسم بوارو.

قال كاربرى: " يتبقى أمر آخر. لا أستطيع أن أوفر وقتاً طويلاً لك. فليس بوسعى احتجاز هؤلاء الأشخاص هاهنا إلى الأبد ".

قال بوارو فى هدوء:

" يمكنك احتجازهم لأربع وعشرين ساعة. ستكون الحقيقة بين يديك بحلول مساء الغد ".

حدق فيه الكولونيل كاربرى.

سأل: " أنت واثق تمام الثقة، أليس كذلك؟ ".

غمغم بوارو: " إننى أعرف قدراتي حق المعرفة ".

انتاب الكولونيل كاربرى الضيق من هذا التباهى غير المتوافق مع الأخلاق الإنجليزية لديه، فأشاح برأسه بعيداً وراح يشذب بأصابعه شاربه الأشعث.

غمغم: " حسناً، فالأمر يرجع إليك ".

قال الطبيب جيرار: " وإذا نجحت فى ذلك يا صديقي، لأثبت أنك خارق حقاً! ".

الفصل 4

نظرت سارة كنج نظرة طويلة متفحصة نحو هيركيول بوارو. لاحظت رأسه بيضاوى الشكل وشاربه الضخم، ومظهره المهندم وشعره الأسود الفاحم. اكتست عيناها بنظرة شك. " حسناً، يا آنسة، هل أنت راضية؟ ".

احمرت سارة خجلاً عندما التقت بعينيه الساخرتين.

قالت فى حرج: " أستميحك عذراً ".

" لقد كنت تتفحصينى بنظراتك، أليس كذلك؟ ".

ابتسمت سارة ابتسامة صغيرة، وقالت: " على أية حال، إننى لم أقصد ذلك ".

" بكل تأكيد. لم أغفل عن القيام بذلك ".

نظرت إليه فى حدة. كان هناك شيء ما فى نظرته. لكن بوارو كان يفتل شاربيه برضا، وفكرت سارة (للمرة الثانية) هذا الرجل دجال! ".

استعادت ثقتها بنفسها، ووقفت مستقيمة القامة وقالت فى استفسار: " لا أعتقد أننى أفهم سبب هذه المقابلة؟ ".

" ألم يشرح لك صديقنا الطبيب د. جيرار؟ ".

قالت سارة مقطبة: " إننى لا أفهم الطبيب جيرار. إنه يعتقد أن... ".

قاطعها بوارو مستشهداً بمسرحية هاملت: " إن هناك شيئاً فاسداً فى ولاية الدانمارك. أرأيت؟ إننى أعرف شكسبيركم! ".

لوحت بعدم اكتراث.

" علام كل هذه الضجة؟ " هكذا استفسرت.

" حسناً، يريد المرء أن يصل إلى الحقيقة بكل هذه الضجة، أليس كذلك؟ ".

" هل تتحدث عن موت السيدة بوينتون؟ ".

" نعم ".

" أليست جعجعة بلا طحن، هذا كله؟ إنك بالطبع رجل متخصص، يا سيد بوارو.

فمن الطبيعى أنك... ".

أكمل بوارو الجملة نيابة عنها.

" من الطبيعى أننى أشتبه بوقوع جريمة متى أمكننى ذلك، وبمجرد أن أجد عذراً هيناً لذلك ".

" حسناً، نعم، ربما ".

" أليس لديك أنت نفسك أى شك حيال موت السيدة بوينتون؟ ".

هزت سارة منكبيها.

" الحقيقة يا سيد بوارو هى أنك إذا كنت معنا فى البتراء لأدركت أن تلك الرحلة كانت تمثل مجهوداً شاقاً بالنسبة لامرأة عجوز لديها مشكلات فى القلب ".

" أيبدو الأمر بالنسبة لك واضحاً ولا يشوبه أى شك؟ ".

" بالطبع. إننى لا أستطيع أن أفهم موقف الطبيب جيرار. إنه حتى لم يعلم أى شيء حول الأمر. لقد كان راقداً محموماً. إننى لأنحنى أمام تفوقه الطبى ومعرفته بطبيعة الحال. لكن فى هذه المسألة فليس لديه أى شيء يبنى عليه افتراضه. أعتقد أن بوسعهم الوصول لطبيب من القدس إذا لم يكونوا راضين عن تشخيصى ".

لبث بوارو صامتا لبرهة، ثم قال:

" ثمة حقيقة يا آنسة كنج، حقيقة لا تعرفينها. حقيقة لم يطلعك عليها الطبيب جيرار ".

تساءلت سارة: " أية حقيقة؟ ".

" لقد فقد من حقيبة عقاقير الطبيب جيرار الخاصة بأسفاره جرعة من عقار الديجيتوكسين ".

تأوهت سارة، مندهشة لهذا الجانب الجديد للقضية. لكنها ارتدت على جناح السرعة إلى موقفها المتشكك.

" وهل الطبيب جيرار متأكد تماماً من ذلك؟ ".

هز بوارو منكبيه.

" كما لابد أنك تعرفين يا آنستى، فإن الطبيب عادة شديد الحرص عند التصريح بمثل هذه التصريحات ".

" بالطبع. هذا أمر بديهى. غير أن الطبيب جيرار كان مصاباً بالمالاريا فى ذلك

الوقت ".

" هكذا كان الأمر، بالطبع ".

" ألديه فكرة عن وقت السرقة؟ ".

" صادف أنه فتح حقيبته ليلة وصوله إلى البتراء. لقد احتاج إلى فيناسيتين، بسبب نوبة صداع سيئ انتابته. وعندما أعاد الفيناسيتين فى الصباح التالى وأغلق الحقيبة فإنه كان متأكداً تقريباً من أن كل العقاقير كانت كما هى لم تمس ".

قالت سارة: " تقريبا... ".

هز بوارو منكبيه.

" نعم، هناك شيء من الشك! فلا خلاف فى أن أى رجل يتسم بالنزاهة لن يكون متيقناً كل اليقين ".

أومأت سارة: " نعم، أعلم ذلك. إن المرء لا يثق على الدوام بهؤلاء المتيقنين أكثر من اللازم. ولكن الأمر سواء، يا سيد بوارو، فالدليل ضعيف جداً. فيبدو لى... ".

توقفت. فأكمل بوارو الجملة نيابة عنها.

" يبدو لك أن الاستجواب من ناحيتى يقوم على أساس ضعيف! ".

نظرت سارة نحوه نظرة مباشرة وصريحة.

" بصراحة، أرى ذلك. هل أنت متأكد يا سيد بوارو أن هذه القضية ليست مثل رومان هوليداى؟ ".

ابتسم بوارو. " الحياة الخاصة لعائلة مستاءة ومضطربة، لذا فهى فرصة سانحة من أجل أن يلعب هيركيول بوارو لعبة تحريات صغيرة ليسلى نفسه؟ ".

" لم أقصد الإساءة ـ لكن ألا يشبه الأمر ذلك؟ ".

" إنك إذن تقفين فى صف أسرة بوينتون يا آنستى؟ ".

" أعتقد أننى فى صفهم. فلقد عانوا بما يكفى. إنهم ـ إنهم لم يعد بمقدورهم الصمود أكثر من ذلك ".

" والأم، لقد كانت شخصية بغيضة، ومتسلطة، وغير محبوبة ومن الواضح أن موتها خير من حياتها، أليس كذلك؟ ".

" مادمت صغت الأمر على هذا النحو ـ " توقفت سارة، ثم واصلت قائلة وقد احمر وجهها: " على المرء ألا يضع ذلك فى الاعتبار، على ما أرى ".

" ولكنه سواء إذا فعل المرء ذلك أم لم يفعل! هذا ما ترينه أنت يا آنستى، لكننى لا أرى ذلك! بالنسبة لى، فلا يوجد أى فارق. ربما يكون الضحية أحد الرجال الصالحين، أو يكون على النقيض تماماً من ذلك، أى وحشاً سيئ السمعة، فلا يؤثر بى هذا ولا ذاك. فالحقيقة تبقى كما هى. ثمة روح قد أزهقت! وأقول هذا على الدوام ـ إننى أرفض القتل ".

" القتل؟ ". تنفست سارة بحدة، وقالت: " ولكن ما هو الدليل على ذلك؟ إنه أضعف دليل يمكن تخيله! فالطبيب جيرار نفسه لا يمكنه أن يتيقن من هذا! ".

قال بوارو فى هدوء: " ولكن هناك دليلاً آخر، يا آنسة ".

احتد صوتها وهى تقول: " أى دليل؟ ".

" علامة حقنة تحت الجلد على رسغ المرأة المتوفاة. ومازال هناك المزيد. بضع كلمات سمعتها تقال بالقدس فى ليلة ساكنة وصافية حين ذهبت لأغلق نافذة غرفة النوم. هل أخبرك بما كانت تلك الكلمات؟ كانت كالتالى. لقد سمعت ريموند بوينتون يقول: " ألا توافقينى فى أنها يجب أن تقتل؟ ".

امتقع وجهها بشدة.

قالت: " أسمعت ذلك؟ ".

" نعم ".

حدقت فيه الفتاة مباشرة.

ثم قالت أخيراً: " وصادف أن تكون أنت من سمع ذلك! ".

سلم بذلك.

" نعم، كان أنا من سمعها. تلك الأمور تحدث. أرأيت الآن سبب اعتقادى بأنه لابد أن يكون هناك تحر وتحقيقات؟ ".

قالت سارة فى هدوء: " أعتقد أنك محق تماما ".

" وسوف تساعدينني إذن؟ ".

" بلا شك ".

كانت نبرتها واقعية وبلا أى انفعال. والتقت عيناها بعينيه فى برود.

انحنى بوارو. " شكراً لك يا آنستى. والآن سوف أطلب منك أن تخبرينى بما يمكنك تذكره بالضبط عن ذلك اليوم الذى توفيت فيه السيدة ".

تفكرت سارة للحظات.

" دعنى أفكر. ذهبت إلى أحد المعالم فى الصباح. لم يكن برفقتنا أى فرد من أسرة بوينتون. رأيتهم وقت الغداء. كانوا قد انتهوا عندما دخلنا نحن. وبدت السيدة بوينتون فى مزاج جيد على غير العادة ".

" لم تكن شخصية ودودة فى الأحوال المعتادة، أتفهم ذلك ".

قالت سارة فى امتعاض طفيف: " ودودة، بل أبعد ما يمكن عن ذلك ".

ثم جعلت تصف له كيف أطلقت السيدة بوينتون سراح أسرتها.

" أكان ذلك أيضاً على غير العادة؟ ".

" نعم. ففى المعتاد تستبقيهم حولها ".

" أتعتقدين أنها ربما شعرت بوخزة ندم، أى أنها مثلاً أرادت أن تسلك سلوكاً حسناً معهم ".

قالت سارة باندفاع: " كلا، لا أظن ذلك ".

" ماذا تعتقدين إذن؟ ".

" كنت حائرة. وشككت أن يكون ذلك شيئاً مثل لعبة القطة والفأر ".

" هلا تفسرين هذا يا آنسة؟ ".

" إن القطة تستمتع بإطلاق سراح الفأر، ثم الإمساك به من جديد. كان لدى السيدة بوينتون ذلك النوع من العقلية. وظننت أنها تستعد لفعل شر جديد ".

" ما الذى حدث بعد ذلك يا آنسة؟ ".

" انطلق أفراد آل بوينتون ـ ".

" جميعهم؟ ".

" كلا، فإن الابنة الأصغر، جنفرا، بقيت ولم ترافقهم. وأمرتها أمها بالذهاب لتستريح ".

" هل رغبت هى فى القيام بذلك؟ ".

" كلا. ولكنها لم تهتم. وأطاعت ما أمرتها به. وانطلق الآخرون. ولحقت بهم أنا والطبيب جيرار ".

" متى كان ذلك؟ ".

" فى حوالى الثالثة والنصف ".

" أين كانت السيدة بوينتون عندئذ؟ ".

" أجلستها نادين، زوجة ابنها، على مقعدها أمام الكهف ".

" وماذا حدث بعد ذلك؟ ".

" عندما كنا حول المنعطف، لحقت أنا والطبيب جيرار بالآخرين. ثم، بعد مرور بعض الوقت، عاد د. جيرار. لقد بدا غريباً لبعض الوقت. وكنت أرى أنه محموم. أردت أن أرجع معه، لكنه لم يرض بذلك ".

" فى أى وقت كان ذلك؟ ".

" عجباً! حوالى الرابعة على ما أحسب ".

" والآخرون؟ ".

" واصلنا المسير ".

" أكنتم جميعا معاً؟ ".

" فى البداية فقط. ثم تفرقنا ". أسرعت سارة بالجواب على السؤال التالى المتوقع. " نادين بوينتون والسيد كوبى ذهبا فى طريق، وكارول ولينوكس وريموند وأنا فى طريق آخر ".

" وواصلتم على هذا الحال؟ ".

" حسناً ـ كلا. انفصلنا أنا وريموند بوينتون عن الآخرين. وجلسنا على قطعة صخرية وأخذنا نستمتع بمشاهدة المنظر الطبيعى من حولنا. ثم غادر وبقيت أنا فى مكانى لبعض الوقت. كانت الساعة حوالى الخامسة والنصف عندما نظرت إلى ساعتى وأدركت أننى من الأفضل أن أعود. وصلت إلى المخيم فى السادسة. كان الوقت وقت الغروب ".

" هل مررت بالسيدة بوينتون فى طريقك؟ ".

" لاحظت أنها كانت لا تزال تجلس فى مقعدها على الحافة ".

" ألم تشكى للحظات أن هذا غريب ـ أنها لم تتحرك؟ ".

" كلا، لأننى رأيتها تجلس فى موضعها ذلك فى الليلة السابقة حين وصلنا ".

" فهمت. أكملى ".

" ذهبت إلى الصوان. كان الآخرون هناك عدا الطبيب جيرار. اغتسلت ورجعت.

وكان العشاء قد أُعد وذهب أحد الخدم ليخبر السيدة بوينتون. ثم عاد بسرعة ليقول إنها مريضة. أسرعت أنا بالذهاب. كانت تجلس بمقعدها بالضبط كما كانت، ولكن ما إن لمستها حتى أدركت أنها قد توفيت ".

" ألم يساورك أدنى شك فى أن موتها كان موتاً طبيعياً؟ ".

" ولا أدنى شك. فلقد سمعت أنها كانت تعانى متاعب بالقلب، على الرغم من عدم ذكر ما هو المرض على وجه التحديد ".

" لقد اعتقدت ببساطة بأنها قد ماتت وهى جالسة هناك فى مقعدها؟ ".

" نعم ".

" دون أن تنادى طلبا للعون؟ ".

" نعم. قد يحدث هذا الأمر أحياناً. فقد تموت حتى فى أثناء نومها. فقد كانت على الأغلب تغفو قليلاً فى ذلك الوقت. وعلى أية حال، كان المخيم كله نائماً معظم فترة ما بعد الظهيرة. وما كان لأحد أن يسمعها إلا إذا نادت بأعلى صوتها ".

" هل كونت رأيا بشأن كم من الوقت كان قد مر على وفاتها؟ "

" حسناً، لم أفكر كثيراً فى ذلك فى حقيقة الأمر. كان واضحا أنها قد توفيت منذ بعض الوقت ".

سأل بوارو: " ماذا تعنين ببعض الوقت؟ ".

" حسن، أكثر من ساعة. وقد يكون وقتا أطول من ذلك. إن الصخر المحيط بها منع جسدها من أن يبرد بسرعة شديدة ".

" أكثر من ساعة؟ هل تدركين يا آنسة أن ريموند بوينتون كان قد تحدث معها قبل ذلك بنصف ساعة فقط، وأنها كانت حية وعلى ما يرام؟ ".

وهنا التقت عيناه بعينيها. لكنها هزت رأسها بالنفى وقالت: " لابد أنه قد أخطأ التقدير. لابد أن يكون قد رآها قبل ذلك ".

" كلا يا آنسة، ليس الأمر كذلك. "

نظرت إليه نظرة خبيرة. ولاحظ من تكوين فمها.

قالت سارة: " حسناً، إننى شابة صغيرة السن وليس لدىّ خبرة كبيرة مع جثث الموتى ـ ولكننى أعلم ما يكفى لكى أكون على يقين من شيء واحد. هو أن السيدة بوينتون كانت قد ماتت قبل أن أفحص جسدها بساعة كاملة على أقل تقدير! ".

قال هيركيول بوارو على غير توقع: " تلك روايتك أنت وسوف تتمسكين بها!

حاولى إذن أن تفسرى لنا لماذا يدعى السيد بوينتون أن أمه كانت حية بينما هى كانت، فى حقيقة الأمر، قد توفيت؟ ".

قالت سارة: " ليس لدىّ أدنى فكرة، قد يكون إحساسهم بالوقت مرتبكاً قليلاً، جميعهم! إنها أسرة تعانى من التوتر الشديد ".

" كم عدد المناسبات يا آنستى التى تحدثت فيها إليهم؟ ".

صمتت للحظات، وهى مقطبة قليلاً.

قالت: " يمكننى أن أقول لك بالضبط، إننى تحدثت إلى ريموند على القطار الآتى من القدس. وتحدثت إلى كارول بوينتون، مرة فى مسجد عمر، ومرة فى وقت متأخر من ذلك المساء بغرفة نومى. كما تحدثت إلى السيدة لينوكس بوينتون فى الصباح التالى. هذا كل ما هنالك حتى المساء الذى ماتت فيه السيدة بوينتون، عندما خرجنا معاً ".

" ألم تجرى أى محادثة مع السيدة بوينتون نفسها؟ ".

احمر وجه سارة فى انزعاج.

" نعم. لقد تبادلت معها بضع كلمات فى اليوم الذى غادرت فيه القدس ". توقفت ثم اندفعت تقول:

" فى واقع الأمر لقد جعلت من نفسى أضحوكة ".

" حقا؟ ".

كان التحقيق واضحاً الآن بلا لبس، وهكذا، فإن سارة كانت تشعر بالاختناق والإعراض، ولكنها قصت عليه المحادثة التى دارت بينهما.

وبدا أن بوارو متشوق، فراح يفحصها بنظرة جانبية من قريب.

قال: " إن عقلية السيدة بوينتون، أمر مهم فى هذه القضية. وأنتِ كشخص غريب عن العائلة، أى مراقب محايد، فإن شهادتك ذات شأن ".

لم تجبه. وظلت تشعر بالحر والضيق حينما كانت تتذكر تلك المحادثة.

قال بوارو: " شكراً لك يا آنستى. سوف أتحدث الآن إلى شهود آخرين ".

نهضت سارة قائلة: " أرجو المعذرة يا سيد بوارو، ولكن هل يمكن أن أقترح عليك شيئاً ما ".

" بكل تأكيد. بكل تأكيد ".

" لم لا نرجئ كل ذلك حتى يتم تشريح الجثة من قبل الطب الشرعى، مما سيجعلك تعرف إن كانت شكوكك لها ما يبررها أم لا؟ فإننى أظن أن التحقيق قبل ذلك أقرب إلى وضع العربة أمام الحصان ".

لوح بوارو بيده. وأعلن قائلاً: " هذا هو أسلوب هيركيول بوارو ".

غادرت سارة الغرفة وهى تضغط شفتيها معاً غيظاً.

الفصل 5

دخلت الليدى وستهولم إلى الغرفة بثقة سفينة عابرة للأطلنطى.

ومن ورائها دخلت الآنسة آمابل بيرس، وكأنها قارب صيد يتبع السفينة، وجلست بتواضع فى مقعدها إلى الخلف قليلا.

دوى صوت الليدى وستهولم: " بكل تأكيد يا سيد بوارو، إنه لمن دواعى سرورى أن أساعدكم بأى وسيلة قدر طاقتى. ولطالما كنت أعتقد أن القيام بهذا لهو واجب عام علينا تجاه... ".

حينما سيطر على الموقف إحساس الليدى وستهولم بالواجب العام لبعض الوقت، كان السيد بوارو على قدر من اللباقة بحيث طرح أسئلته على الفور.

أجابته الليدى وستهولم: " إننى أذكر ما جرى فى ذلك المساء خير تذكر. وسوف أقوم أنا والآنسة بيرس بما وسعنا لمساعدتكم. "

تنهدت الآنسة بيرس وقالت فى نشوة: " نعم، طبعاً، نعم. يا له من أمر مأساوى! أليس كذلك؟ الموت على هذا النحو، فى طرفة عين!».

" هل تسمحين بأن تخبرينى بما حدث فى مساء يوم الحادث؟ "

قالت الليدى وستهولم: " بكل تأكيد، بعد أن، انتهينا من تناول غدائنا، قررت أن آخذ قيلولة قصيرة. فإن نزهة الصباح كانت مرهقة نوعًا ما. وهذا لا يعنى أننى كنت مرهقة، فنادرا ما أشعر بالإرهاق. حتى إننى لا أدرى حقًا ما طعم الإرهاق ذلك. ففى المناسبات العامة والالتزامات من هذا القبيل، يكون على المرء غالبًا، وبصرف النظر عما يشعر به.. ".

ومرة أخرى جاءت عبارة لبقة من السيد بوارو لتعيد الحديث إلى مجراه.

" كما أقول لك. كنت أميل إلى أخذ قيلولة. واتفقت معى فى هذا الآنسة بيرس ".

تنهدت الآنسة بيرس قائلة: " آه، نعم. وأنا كنت متعبة ومرهقة بشكل رهيب فى صباح ذلك اليوم. وذلك التسلق الخطر، فمع أنه كان مشوقا، كان أيضًا مستنفدًا للقوى. أخشى أننى لست بنفس قوة الليدى وستهولم ".

قالت الليدى وستهولم: " الإرهاق، يمكن التغلب عليه شأنه شأن أى شيء آخر. إننى أذكر نفسى بألا أستسلم أبداً لنقاط ضعفى البدنية واحتياجات جسمى ".

قال بوارو:

" فبعد الغداء ذهبتما إلى خيمتكما ".

" نعم ".

" وكانت السيدة بوينتون تجلس هناك فى فتحة كهفها؟ ".

" ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس هناك قبل أن تغادر هى أيضاً ".

" أكان بوسعكما أن ترياها حينئذٍ؟ ".

قالت الآنسة بيرس: " نعم، كانت فى الجانب المواجه لنا، على مبعدة يسيرة منا وللأعلى قليلاً ".

ساهمت الليدى وستهولم بتقديم شرح وافٍ لهذه العبارة.

" ينفتح الكهف على جرف. ويوجد أسفل هذا الجرف بعض الخيام. ثم هناك نبع ماء صغير، ووراء هذا النبع كان الصوان الكبير وبعض الخيام الأخرى. خيمتى أنا وخيمة الآنسة بيرس بالقرب من الصوان. كانت هى على الجانب الأيمن وأنا على اليسار. فتحتا خيمتينا مواجهتان لهذا الجرف، ولكنه بالطبع كان على مبعدة منا ".

" حوالى مائتى ياردة، على ما أعتقد ".

" هذا على الأغلب ".

قال بوارو: " لدى هاهنا خريطة، دبرتها بمساعدة المرشد، محمود ".

أبدت الليدى وستهولم تحفظها بأن الخريطة فى هذه الحالة بها خطأ غالباً!

" هذا الرجل غير دقيق بدرجة كبيرة. لقد كنت أتأكد من كل ما يقوله بالرجوع إلى الدليل الإرشادى. وفى مرات عديدة كانت معلوماته مضللة لأبعد حد ".

قال بوارو: " وفقاً لخريطتى، فإن الكهف التالى لكهف السيدة بوينتون كان يشغله ابنها لينوكس وزوجته. أما ريموند وكارول وجنفرا بوينتون فشغلوا خياماً بالأسفل ولكن من جهة اليمين قليلا، فى الحقيقة، تكاد تكون قبالة الصوان. على يمين خيمة جنفرا بوينتون كانت خيمة الطبيب جيرار، وبجوارها خيمة الآنسة كنج. وعلى الناحية الأخرى من النبع، إلى جوار الصوان ولكن على اليسار منه خيمتك أنت والسيد كوبى. والآنسة بيرس، كما ذكرت، على يمين الصوان. أهذا صحيح؟ ".

اعترفت الليدى وستهولم وهى حانقة أنه صحيح بقدر ما تعلم.

" أشكرك. هذا واضح تمام الوضوح. أرجوك أن تتابعى كلامك، يا ليدى وستهولم ".

ابتسمت الليدى وستهولم فى لطف ثم تابعت قائلة:

" فى حوالى الرابعة إلا الربع اتجهت صوب خيمة الآنسة بيرس لأرى ما إذا كانت قد استيقظت وتود أن تتريض قليلاً. كانت تجلس فى مدخل الخيمة تقرأ. واتفقنا على أن نذهب بعد حوالى نصف ساعة حتى تكون الشمس أقل حرارة. عدت إلى خيمتى وقرأت لمدة خمس وعشرين دقيقة تقريباً. ثم خرجت واصطحبت الآنسة بيرس. كانت على استعداد فانطلقنا. بدا أن جميع من فى المخيم نائمون. فلم نر أى شخص حولنا، وعند رؤيتى للسيدة بوينتون جالسة هناك اقترحت على الآنسة بيرس أن نسألها إذا كانت تحتاج لأى شيء قبل أن نذهب ".

غمغمت الآنسة بيرس: " صحيح، لقد فعلت ذلك. منتهى اللطف من جانبك، هكذا أرى ".

قالت الليدى وستهولم فى غبطة كبيرة: " شعرت بأن هذا واجبى ".

قالت الآنسة بيرس: " ثم قابلت هى هذا بمنتهى الفظاظة!».

ظهرت علامات الاستفهام على وجه بوارو.

فسرت الليدى وستهولم قائلة: " كنا نمر بأسفل كهفها، وناديتها، قائلة إننا سنخرج لنتريض وإذا كان بوسعنا عمل أى شيء لها قبل أن نذهب. وهل تعرف يا سيد بوارو فإن الجواب الوحيد قطعاً الذى تلقيته منها كان عبارة عن إيماءة غاضبة! اكتفت بالنظر إلينا كما لو أننا، كما لو أننا مجرد قذارة!».

قالت الآنسة بيرس محمرة خجلاً: " أى جحود منها! ".

قالت الليدى وستهولم وهى محمرة الوجه قليلاً: " لابد أن أعترف بأن هذا جعلنى أدلى بملاحظة قاسية عليها ".

قالت الآنسة بيرس: " أعتقد أنه كان لديك مبرر قوى لذلك، تماماً، فى ظل الظروف المحيطة ".

سأل بوارو: " ماذا كانت هذه الملاحظة؟ ".

" قلت للآنسة بيرس إنها كانت تبدو كما لو أنها مخمورة! فحقاً كان أسلوبها غريباً للغاية. كان هذا واضحاً كل الوضوح... ".

وفى كياسة، قاد بوارو المحادثة بعيداً عن تلك المسألة.

" هل أبدت أسلوباً غريباً فى ذلك اليوم بالتحديد؟ وقت الغداء مثلاً؟ ".

قالت الليدى وستهولم متفكرة: " كلا، كلا، علىّ أن أقول إذن إن أسلوبها كان عادياً جداً حينئذٍ، بالنسبة لأمريكية من هذا الطراز، حتى نتحرى الدقة ". هكذا أضافت فى تفضل.

قالت الآنسة بيرس: " ولكنها كانت عدوانية حيال ذلك الخادم ".

" أى خادم؟ ".

" قبيل أن نذهب للتريض بقليل ".

واصلت الليدى وستهولم: " آه، نعم، إنى أتذكر. لقد بدت حقًا منزعجة منه بشكل يفوق المعتاد! بالطبع إن التعامل مع خدم لا يفقهون كلمة إنجليزية واحدة أمر مرهق جداً، ولكن رأيى هو أن الشخص المرتحل لابد أن يتحمل نصيبه من ذلك ".

سأل بوارو: " أى خادم كان هو؟ ".

" أحد الخدم من العاملين بالمخيم. لقد صعد إليها على ما أظن، لعلها أرسلته ليحضر لها شيئًا ما، وأعتقد أنه أحضر لها الشيء الخطأ، لم أعلم حقًا ماذا كان هذا الشيء. لكنها كانت فى غاية الغضب. وانسل الرجل المسكين بأقصى ما لديه من سرعة، وكانت ترفع عصاها نحوه وتصيح ".

" بماذا كانت تصيح فى وجهه؟ ".

" كنا بعيدتين بحيث لا يمكننا أن نسمع. على الأقل أنا لم أسمع أى شيء بوضوح. فهل سمعت أنت يا آنسة بيرس؟ ".

" كلا، لم أسمع! أعتقد أنها قد أرسلته ليحضر شيئًا من خيمة ابنتها الصغرى، أو ربما كانت غاضبة منه لذهابه إلى خيمة ابنتها، لا أستطيع أن أحدد بالضبط ".

" كيف كانت هيئة هذا الرجل؟ ".

هزت الآنسة بيرس التى كان السؤال موجهًا لها رأسها بالنفى وقالت:

" لا أدرى حقاً. كان على مسافة بعيدة فلم أتبينه بوضوح. ثم إن هؤلاء الخدم متشابهون ".

قالت الليدى وستهولم: " كان رجلاً يزيد طوله على المتوسط. ويضع غطاء الرأس المحلى. وكان يرتدى سروالاً قصيراً ممزقاً للغاية ومرقعاً، ما أبأس هؤلاء الناس، وعلى أية حال، فإن أولئك الخدم يحتاجون لضبط وإعادة تنظيم ".

" هل يمكنك التعرف على الرجل من بين خدم المخيم؟ "

" أشك فى هذا. فإننا لم نر وجهه ـ كان أبعد من اللازم. وكما تقول الآنسة بيرس فإن الخدم متشابهون فى هذا المخيم ".

قال بوارو متفكراً: " إننى أتساءل ترى ما الذى فعله حتى يجعل السيدة بوينتون تغضب لهذه الدرجة؟ ".

قالت الليدى وستهولم: " إنهم مرهقون للغاية ويفقدون المرء صبره فى بعض الأحيان. أخذ أحدهم حذائى للتنظيف، وعلى الرغم من أننى قلت له بمنتهى الوضوح، وبلغة الإشارة أيضاً، إننى أفضل أن أنظف حذائى بنفسى ".

قال بوارو محولاً مسار التحقيق لبرهة: " دائماً ما أقوم بهذا أنا أيضاً. فى كل مكان أذهب إليه آخذ معى أدوات تنظيف الأحذية الخاصة بى. كما آخذ ممسحة للغبار ".

قالت الليدى فى ود وألفة: " وأنا أيضاً أفعل هذا ".

" ذلك لأن هؤلاء الخدم لا يزيلون الغبار عن أشياء المرء... ".

" أبداً، على المرء بالطبع أن ينظف أشياءه بنفسه ثلاث أو أربع مرات كل يوم ".

" لكن الأمر يستحق المشقة ".

" بالطبع صحيح، لا يمكننى تحمل الغبار! ".

بدت الليدى وستهولم عدوانية بشكل واضح.

أضافت بمشاعر قوية:

" والذباب فى الأسواق، شىء فظيع! ".

قال السيد بوارو وهو يشعر بقليل من الذنب: " حسناً، حسناً، يمكننا أن نستفهم قريبا من ذلك الرجل عما أغضب السيدة بوينتون. هلا أكملت قصتك؟ ".

قالت الليدى وستهولم: " قمنا بعد ذلك بالتريض، وبعدها التقينا بالطبيب جيرار. وكان يترنح ويبدو مريضاً للغاية. ومن النظرة الأولى عرفت أنه محموم ".

تدخلت الآنسة بيرس قائلة: " لقد كان يرتعد. كان جسمه كله يرتعد ".

قالت الليدى وستهولم: " وأدركت على الفور أن المالاريا قد هاجمته. وعرضت عليه أن نعود معه وأن أجلب له بعض الكوينين، ولكنه قال بأن لديه بعضاً منه ".

قالت الآنسة بيرس: " يا للرجل المسكين! أتدرى؟ إننى أشعر بالفزع حينما أرى طبيباً يسقط مريضاً. يبدو لى الأمر بشعاً بشكل ما ".

أكملت الليدى وستهولم: " وبعد ذلك استأنفنا سيرنا وجلسنا على صخرة ".

غمغمت الآنسة بيرس: " حقاً، كم كنت متعبة من رحلة الصباح، وكل ذلك التسلق.»

قالت الليدى وستهولم فى صرامة: " إننى لا أعرف الإرهاق أبداً. لكن لم يكن هناك غرض من الابتعاد أكثر من هذا القدر. كنا نطل على منظر جميل جداً بكل المشهد المحيط بنا ".

" وهل غاب المخيم عن عيونكما؟ ".

" كلا، كنا نجلس فى مواجهته ".

غمغمت الآنسة بيرس: " يا للرومانسية! إن المخيم يقع فى الوسط بين صخور حمراء بديعة المنظر ".

تنهدت وهزت رأسها.

قالت الليدى وستهولم: " يمكن إدارة ذلك المخيم بطريقة أفضل من ذلك بكثير ". وكانت فتحتا أنفها قد اتسعتا وهى تتحدث. " لابد أن أناقش هذا الشأن مع المسئولين. ولست على ثقة من أن مياه الشرب يتم غليها وتنقيتها. لابد أن تكون كذلك. لابد أن أقترح عليهم ذلك ".

سعل بوارو وقاد المحادثة بسرعة بعيداً عن موضوع مياه الشرب.

" هل رأيت أى شخص آخر من أفراد المجموعة؟ ".

" نعم السيد بوينتون الأكبر وزوجته مرا بنا فى طريق عودتهما إلى المخيم ".

" هل كانا معًا؟ ".

" كلا، السيد بوينتون أولاً. وبدا كما لو أصيب بضربة شمس. كان يمشى كما لو أنه يشعر بالدوار ".

قالت الآنسة بيرس: " إنها مؤخرة العنق. على المرء أن يحمى مؤخرة عنقه! إننى أضع دائمًا منديلاً سميكًا من الحرير ".

سأل بوارو: " ما الذى فعله السيد بوينتون عند عودته إلى المخيم؟ ".

ولمرة واحدة تمكنت الآنسة بيرس من التحدث أولاً قبل الليدى وستهولم:

" لقد توجه مباشرة إلى أمه، لكنه لم يبق طويلا معها ".

" كم مكث من الوقت؟ ".

" فقط دقيقة أو اثنتين ".

قالت الليدى وستهولم: " علىّ أن أقدر الوقت بما يتجاوز الدقيقة، ثم ذهب إلى كهفه بعد ذلك، ثم نزل إلى الصوان ".

" وماذا عن زوجته؟ ".

" لقد أتت بعده بحوالى ربع الساعة، وتوقفت لدقيقة وتحدثت إلينا، فى منتهى اللطف والدماثة ".

قالت الآنسة بيرس: " أظن أنها إنسانة لطيفة جداً. لطيفة جداً بالفعل ".

قالت الليدى وستهولم: " فهى ليست فظة مثل بقية العائلة ".

" هل شاهدتها وهى تعود إلى المخيم؟ ".

" نعم. صعدت وتحدثت إلى حماتها. ثم ذهبت إلى كهفها وأحضرت مقعدا، وجلست بجانبها تتحدث إليها لبعض الوقت ـ حوالى عشر دقائق، على ما أظن ".

" وبعد ذلك؟ ".

" ثم أعادت المقعد من جديد إلى الكهف ونزلت إلى الصوان حيث كان زوجها ".

" وما الذى حدث بعد ذلك؟ ".

قالت الليدى وستهولم: " أتى ذلك الأمريكى الغريب. أعتقد أن اسمه هو السيد كوبى. وأخبرنا بأن هناك مثالاً جيداً جداً على المعمار المتدنى للفترة والذى يوجد عند منحنى الوادى. وقال إن علينا ألا نفوت فرصة رؤية ذلك. وبطبيعة الحال ذهبنا إلى هناك. كان لدى السيد كوبى موضوع صحفى مثير جدا حول البتراء والنبطيين ".

أعلنت الآنسة بيرس: " مشوق ومثير إلى أبعد حد فى الحقيقة ".

واصلت الليدى وستهولم قائلة: " ثم رجعنا إلى المخيم، وكان الوقت عندئذٍ حوالى السادسة إلا الثلث. وقد أصبح الجو بارداً ".

" هل كانت السيدة بوينتون لا تزال جالسة حيث تركتماها؟ ".

" نعم ".

" هل تحدثتما إليها؟ ".

" كلا. والحق إننى لم ألحظ وجودها ".

" وماذا فعلت بعد ذلك؟ ".

" ذهبت إلى خيمتى، حيث بدلت ملابسى وأخرجت كيس الشاى الأخضر الخاص بى. ثم ذهبت إلى الصوان. كان المرشد هناك، فطلبت منه أن يعد لى أنا والآنسة بيرس

بعض الشاى، وأن يتأكد من غلى الماء الخاص بالشاى جيداً. فقال إن العشاء سيكون جاهزاً فى غضون نصف الساعة، فكان الخدم يضعون الموائد، ولكننى قلت إن هذا سواء بالنسبة لى ".

غمغمت الآنسة بيرس فى غموض: " دائماً ما أقول إن فنجانًا من الشاى يبدل المرء من حال إلى حال ".

" هل كان هناك أى شخص فى الصوان؟ ".

" نعم، إن السيد لينوكس بوينتون وزوجته كانا يجلسان على مقعد طويل يقرآن. وكانت كارول بوينتون متواجدة أيضاً ".

" والسيد كوبى؟ ".

قالت الآنسة بيرس: " لقد انضم إلينا عند تناول الشاى على الرغم من قوله إن تناول الشاى ليست عادة أمريكية ".

سعلت الليدى وستهولم:

" لقد كنت خائفة قليلاً من أن يمثل السيد كوبى مصدر إزعاج، وأنه قد يتطفل علىّ. من الصعب أحيانًا أن ينأى المرء بنفسه عن الآخرين فى أثناء ارتحاله. وإننى أجد البعض يميلون إلى التطاول والتبجح وخاصة هؤلاء الأمريكيين، إنهم أحيانًا ما يتسمون بالغباء ".

غمغم بوارو فى دماثة خلق:

" إننى واثق تماماً يا ليدى وستهولم من أنك قادرة على التعامل مع مثل تلك المواقف. وأنك عندما تسافرين لا يمثل لك المتطفلون أى فائدة، أنا متأكد من أنك بارعة للغاية فى التخلص منهم ".

قالت الليدى وستهولم فى مباهاة: " إننى قادرة على التعامل مع معظم المواقف ".

نظر إليها بوارو ببعض السخرية وغمغم قائلاً: " هلا تابعت سردك لما جرى فى ذلك اليوم؟ ".

" بالطبع. بقدر ما يمكن لى أن أتذكر، فإن ريموند بوينتون والفتاة ذات الشعر الأحمر دلفا إلى الصوان بعد ذلك بفترة وجيزة. وجاءت الآنسة كنج أخيراً. كان العشاء قد أُعد وعلى وشك أن يقدم. أرسل المرشد واحداً من الخدم لكى يُخبر السيدة بوينتون بالأمر. عاد الرجل يركض بصحبة أحد رؤسائه فى حالة من الفزع وتحدث إلى المرشد بالعربية. وانتشر كلام حول سقوط السيدة بوينتون مريضة. عرضت سارة كنج خدماتها. خرجت بصحبة المرشد. ثم عادت وأعلنت الخبر على أفراد أسرة

بوينتون ".

قاطعتها الآنسة بيرس قائلة: " لقد أعلنته بسرعة شديدة وبشكل مباشر. فى رأيى كان لابد من القيام بذلك تدريجياً ".

تساءل بوارو: " وكيف تلقى أفراد العائلة النبأ؟ ".

وفجأة بدت الحيرة على كل من الليدى وستهولم والآنسة بيرس. حتى قالت الليدى أخيراً بنبرة صوت تخلو من الثقة بالنفس المعتادة لها:

" حسناً، فى الحقيقة إن من الصعب قول ذلك. لقد، لقد كانوا هادئين تماماً حيال النبأ ".

قالت الآنسة بيرس: " لقد كانوا مصدومين ".

وقدمت كلمتها كاقتراح وليس كحقيقة واقعة.

قالت الليدى وستهولم: " وخرجوا جميعاً بصحبة الآنسة كنج. وقد رأيت أنا والآنسة " بيريس " أن نبقى حيث نحن ".

أمكن له ملاحظة نظرة متشوقة فى عينى الآنسة بيرس عند هذه النقطة.

وأكملت الليدى وستهولم: " فكم أحتقر الفضول المبتذل! ".

اتضحت تلك النظرة المتشوقة بدرجة أكبر ؛ فقد كان جلياً أن الآنسة بيرس اضطرت اضطراراً إلى أن تكره الفضول المبتذل، هى الأخرى!

قالت الليدى وستهولم: " بعد ذلك، عادت كل من الآنسة كنج والمرشد. اقترحت أنه يمكن تقديم العشاء لنا نحن الأربعة، بحيث يمكن لأسرة بوينتون تناول عشائهم بعد ذلك فى الصوان بدون إحراج من وجود غرباء معهم. وتم قبول اقتراحى، وقدم العشاء على الفور، وبعد الوجبة اتجهت إلى خيمتى. وكذلك فعلت كل من الآنسة كنج والآنسة بيرس. لكن السيد كوبى على ما أعتقد لبث هناك فى الصوان، ذلك لأنه كان صديقاً لعائلة بوينتون، وأعتقد أنه قد يكون بإمكانه تقديم بعض العون. هذا كل ما أعرفه يا سيد بوارو ".

" عندما أعلنت الآنسة كنج النبأ، هل ذهب معها جميع أفراد أسرة بوينتون خارج الصوان؟ ".

" نعم، كلا، أعتقد أنه، الآن عندما ذكرت لى ذلك تذكرت، لقد بقيت الفتاة ذات الشعر الأحمر بمفردها. لعلك تذكرين ذلك يا آنسة بيرس؟ ".

" نعم، أعتقد ذلك. إننى متأكدة تماماً من ذلك ".

سأل بوارو: " ماذا كانت تفعل؟ ".

حدقت فيه الليدى وستهولم.

" ما الذى كانت تفعله يا سيد بوارو؟ لم تكن تفعل أى شيء على الإطلاق فى حدود ما أتذكره ".

" أعنى هل كانت تحيك، أم تقرأ، هل ظهر عليها التوتر، ألم تقل أى شيء؟ ".

قطبت الليدى وستهولم جبينها قائلة: " حسناً، فى الحقيقة إنها اكتفت بالجلوس هناك فى حدود ما أتذكره ".

قالت الآنسة بيرس فجأة: " كانت تفرك أصابعها فى عصبية، أتذكر رؤيتى لتلك المسكينة، أظن أن هذا يعكس ما يعتمل بداخلها من مشاعر! على الرغم من أنه لم يظهر أى شيء على ملامح وجهها، فقط كانت يداها تتلويان ".

واصلت الآنسة بيرس حديثها قائلة: " ذات مرة، أتذكر أننى قمت بتمزيق ورقة على هذا النحو ـ دون أن أعى ما الذى أقوم به. كنت أفكر: هل ألحق بأول قطار وأذهب إليها؟ (كانت عمة كبيرة لى أصابها مرض مفاجئ). أم أصرف نظرى عن هذا؟ ولم أتمكن من اتخاذ قرار بطريقة أو بأخرى، وعندئذ نظرت للأسفل، وبدلاً من البرقية كنت قد مزقت جنيهاً ورقياً إلى قطع صغيرة ".

توقفت الآنسة بيرس توقفا دراميا مؤثراً.

لم يبد على الليدى وستهولم تمام الرضا من المحاولة المفاجئة من قبل الكويكب الذى يدور فى فلكها أن يتوهج بكل هذا النور دون استئذان، فقالت فى برودة: " هل هناك أى شيء آخر يا سيد بوارو؟ ".

بدا بوارو وكأنه توصل إلى نتيجة ما: " لا شيء، لا شيء، لقد كنت واضحة ومحددة إلى أبعد حد ".

قالت الليدى وستهولم فى رضا: " إن لدىّ ذاكرة حديدية ".

قال بوارو: " فقط هناك شيء أخير صغير. من فضلك لا تغيرى من موضع جلوسك الآن وبدون أن تنظرى من حولك. والآن هلا وصفت لى ما ترتديه الآنسة بيرس اليوم، هذا إن لم يكن لدى الآنسة بيرس اعتراض؟ ".

قالت الآنسة بيرس فى همهمة: " كلا! كلا! ليس لدىّ أدنى اعتراض! ".

" حقًا يا سيد بوارو، هل هناك هدف من ذلك ".

" من فضلك هلا فعلت ما طلبته منك يا سيدتى ".

هزت الليدى وستهولم منكبيها ثم قالت بشيء من النفور:

" ترتدى الآنسة بيرس ثوبًا قطنيًا لونه مخطط بالأبيض والبنى، وتضع عليه حزاما سودانيًا مضفورًا من جلد أحمر وأزرق وبيج. وترتدى جورباً حريرياً بلون البيج وحذاء يلمع له إبزيم. هناك رفو فى جوربها الأيسر، وتضع عقداً من خرز العقيق الأحمر، وآخر من خرز أزرق ملكى. تضع فى إصبعها الثالث من اليد اليمنى خاتمًا على شكل جعران. وعلى رأسها قبعة واسعة الإطار مزدوجة من لباد وردى وبنى ".

توقفت، وهى تشعر برضا تام. ثم تساءلت ببرود:

" هل هناك أى شيء آخر؟ ".

فرد بوارو فى إيماءة واضحة.

" لقد استوليت على كامل إعجابى يا سيدتى. إن قوة ملاحظتك بلغت الذروة ".

" نادراً ما تفوتنى التفاصيل ".

نهضت الليدى وستهولم، وأبدت انحناءة بسيطة من رأسها، وغادرت الغرفة. وتبعتها الآنسة بيرس، وهى تحدق فى حسرة بالرفو الذى على جورب ساقها اليسرى، قال لها بوارو:

" لحظة صغيرة يا آنستى من فضلك؟ ".

" نعم؟ " رفعت الآنسة بيرس عينيها، وهى متوجسة خيفة من ذلك.

مال بوارو إلى الأمام فى ثقة وقال:

" أترين تلك الباقة من الزهور البرية على الطاولة ها هنا؟ ".

قالت الآنسة بيرس وهى تنظر حيث أشار: " نعم ".

" وهل لاحظت عندما دخلت إلى الغرفة أننى قد عطست مرة أو اثنتين؟ ".

" نعم؟ ".

" هل لاحظت إذا ما كنت قد شممت تلك الزهور؟ ".

" حسناً، الحق، كلا، لست واثقة ".

" لكنك تتذكرين عندما عطست؟ ".

" آه، نعم، إننى أتذكر ذلك! ".

" حسناً، لا بأس. تُرى هل يمكن أن تصيبنى تلك الزهور بحمى القش؟ لا بأس! ".

صاحت الآنسة بيرس: " حمى القش؟ إننى أذكر بنت عم لى كانت ضحية لها! وكانت دائماً ما تقول إنك إذا ما قطرت فى أنفك يومياً من محلول البرواسيك.... ".

وجد السيد بوارو بعض الصعوبة فى تنحية نصائح ابنة العم جانباً هى وعلاجها الأنفى، وأن يتخلص من الآنسة بيرس. أغلق الباب وعاد إلى الغرفة وحاجباه مرفوعان فى دهشة.

غمغم قائلاً: " ولكننى لم أعطس. أنا واثق من هذا. كلا، لم أعطس ".

الفصل 6

دلف لينوكس بوينتون إلى الغرفة بخطوة سريعة ثابتة. ولو كان الطبيب " جيرار " متواجداً فى تلك اللحظة، لاندهش من التغير الذى طرأ على الرجل. فقد تلاشت لا مبالاته تماماً. كان مسلكه حذراً ـ على الرغم من أنه كان متوتراً توتراً طفيفاً. وتنقلت عيناه بسرعة فى أرجاء الغرفة.

نهض بوارو وانحنى فى لياقة: " صباح الخير يا سيد لينوكس ". رد لينوكس عليه التحية بشيء من الحرج. " أشكرك لأنك قد أتحت لى هذه المقابلة ".

قال لينوكس بوينتون بشيء من التشكك: " لقد قال الكولونيل كاربرى إنها بعض الإجراءات الرسمية، حسبما قال ".

" اجلس من فضلك يا سيد بوينتون ".

جلس بوينتون على المقعد الذى أخلته قبل قليل الليدى وستهولم. فواصل بوارو كلامه قائلاً:

" أعلم أن الأمر كان بمثابة صدمة بالنسبة لك؟ ".

" نعم، بالطبع. حسن، كلا، ربما كلا...إننا جميعا كنا نعلم أن قلب أمى عليل ولا يتحمل ".

" فى هذه الظروف، هل كان من الحكمة السماح لها بالخروج فى رحلة شديدة البأس كتلك؟ ".

رفع لينوكس رأسه. ولم يخل حديثه من كبرياء حزين بشكل ما.

" إن أمى يا سيد بوارو، كانت... تتخذ قراراتها بنفسها. وإذا عزمت على القيام بأى شيء فليس بإمكان أحدنا معارضتها ".

تنفس بحدة وهو ينطق بآخر كلمات العبارة. وشحب وجهه فجأة.

قال بوارو: " أعرف خير المعرفة أن السيدات كبيرات السن يكنّ أحياناً عنيدات ".

قال لينوكس فى غيظ: " ما الغرض من ذلك كله؟ هذا ما أود أن أعرفه. لماذا تثار كل هذه الإجراءات الرسمية؟ ".

ربما لا تدرك يا سيد بوينتون، أنه فى حالات الوفيات الغامضة وغير المتوقعة، يجب أن تتخذ الإجراءات الرسمية ".

هز بوارو منكبيه.

" دائماً ما يطرح ذلك السؤال نفسه: هل كانت الوفاة طبيعية، أم أن فى الأمر شبهة انتحار؟ ".

قال لينوكس بوينتون مندهشاً: " انتحار؟! ".

قال بوارو باستخفاف:

" لابد أنك بالطبع تعرف خيراً منى تلك الاحتمالات. والكولونيل كاربرى بطبيعة الحال واقع فى حيرة. ومن الضرورى بالنسبة له أن يقرر هل يطلب تشريح الجثة جنائياً بشكل رسمى أم لا، وكل ما يترتب على ذلك. وبما أننى موجود فى المكان، ولى ما لى من خبرة كبيرة حول مثل تلك الأمور، فقد اقترح أن أجرى بعض الاستفسارات وأقدم له النصح بناءً عليها. ومن الطبيعى أنه لا يرغب فى أن يسبب لكم أى عناء ما أمكنه ذلك ".

قال لينوكس بوينتون فى غضب: " سوف أبرق إلى قنصلنا فى القدس ".

قال بوارو دون أى تأثر: " إن من حقك كل الحق القيام بهذا، بالطبع ".

ساد الصمت لبرهة من الوقت. ثم قال بوارو، فارداً يديه.

" إذا كنت تعترض على إجابتك عن أسئلتى.... ".

قال لينوكس بوينتون بسرعة: " كلا، على الإطلاق. إنها، فقط تبدو غير ضرورية بالمرة ".

" إننى أستوعب ذلك. أستوعبه تماما. لكن الأمر كله فى غاية البساطة حقاً. لنقل إنها مسألة روتين لا أكثر ولا أقل. والآن، فى المساء الذى قضت والدتك فيه نحبها، أظن أنك يا سيد بوينتون قد غادرت مخيم البتراء وذهبت لتتريض قليلاً؟ ".

" نعم. لقد ذهبنا جميعاً ـ ما عدا أمى وأختى الصغرى ".

" عندها جلست والدتك عند فتحة الكهف؟ ".

" صحيح، لقد كانت خارجه تماماً. وهى تجلس هناك كل مساء ".

" تماماً. ومتى انطلقتم؟ ".

" بعد ذلك مباشرة، على ما أحسب ".

" ومتى عدت؟ ".

" لا أعرف بالضبط فى أى وقت عدت، فى الرابعة، أو الخامسة، ربما ".

" بعد ساعة أو ساعتين من ذهابك؟ ".

" نعم نحو ذلك على ما أذكر ".

" هل مررت بأى شخص فى عودتك؟ ".

" هل مررت بمن؟ ".

" مررت بأى شخص. سيدتين جالستين على صخرة، مثلاً؟ ".

" لا أدرى! نعم، أظن ذلك ".

" ربما كنت مستغرقاً فى أفكارك إلى حد أنك لم تلحظ شيئاً ".

" هذا صحيح ".

" هل تحدثت إلى والدتك عندما عدت إلى المخيم؟ ".

" نعم، نعم فعلت ".

" لم يكن يعتريها أى شعور بالتعب؟ ".

" كلا، كلا، لقد بدت على خير ما يرام ".

" هل لى أن أسأل عما دار بينكما بالضبط؟ ".

لاذ لينوكس بالصمت للحظات.

قال: " لقد قالت إننى عدت بسرعة. وقلت لها نعم. وقلت.. ـ توقف مجددا ليستجمع أفكاره ـ " قلت لها إن الجو كان حاراً. سألتنى عن الوقت، وقالت إن ساعة يدها قد توقفت. أخذتها منها، وملأتها لها، وضبطت لها الوقت وأعدتها لرسغها ".

قاطعه بوارو فى لطفٍ: " وكم كان الوقت حينئذٍ؟ ".

قال لينوكس: " عفوا؟ ".

" كم كان الوقت عندما قمت بضبط ساعة يد أمك؟ ".

" آه، فهمت. كان، كان الخامسة وخمس وعشرين دقيقة ".

قال بوارو فى لطف: " إذن فأنت تعرف بالتحديد وقت عودتك إلى المخيم! ".

احمر وجه لينوكس.

" نعم، يا لحماقتى! إننى، إننى آسف يا سيد بوارو. أخشى أن عقلى مضطرب تماماً. فكل ذلك ناتج عن التوتر والضغط العصبى.... ".

قاطعه بوارو بسرعة: " حسناً، إننى متفهم تماماً، متفهم تماماً. إن كل ما جرى يقلق البال لأبعد حد! وما الذى حدث بعد ذلك؟ ".

" سألت أمى إذا ما كانت بحاجة إلى أى شىء. شراب، شاى، قهوة، أى شيء. وقالت لا. ثم ذهبت بعدها إلى الصوان، ولم يكن هناك أى من الخدم، لكنى وجدت بعض الشراب فشربت منه. فقد كنت ظمآن. وجلست هناك لأقرأ بعض الأعداد القديمة من مجلة " ساتردای إيفننج بوست ". وأظن أننى قد غفوت قليلاً ".

" ثم لحقت بك زوجتك إلى الصوان؟ ".

" نعم، لقد أتت بعد فترة قصيرة ".

" ولم تر أمك حية بعد ذلك قط؟ ".

" كلا ".

" ولم يكن يبدو عليها الانزعاج أو الاستياء حينما تحدثت إليها؟ ".

" لا، فقد كانت فى حالتها المعتادة تماماً ".

" ولم تشر إلى أى مشكلة أو إزعاج حدث لها بسبب أحد الخدم؟ ".

حدق لينوكس.

" كلا، لا لم يحدث شىء من هذا القبيل ".

" وهل ذلك كل ما يمكن لك أن تخبرنى به؟ ".

" أخشى أنه كذلك...نعم ".

" شكراً لك يا سيد بوينتون ".

أحنى بوارو رأسه فى إشارة تنم على انتهاء المحادثة، وبدا لينوكس متردداً حيال مغادرته. ووقف متردداً لدى الباب. " هل هناك شيء آخر؟ " هكذا تساءل.

" لا شيء. ربما تتفضل بأن تطلب من السيدة زوجتك أن تأتى إلى هنا؟ ".

خرج لينوكس بخطوة بطيئة. على الدفتر الصغير الذى بجانبه كتب بوارو: لينوكس بوينتون: الرابعة وخمس وثلاثون دقيقة.

الفصل 7

تطلع بوارو فى اهتمام نحو المرأة الشابة الطويلة ذات الكبرياء التى دخلت إلى الغرفة. نهض وانحنى فى أدب. " السيدة لينوكس بوينتون؟ أنا هيركيول بوارو، فى خدمتك ".

جلست نادين بوينتون. واستقرت عيناها الثاقبتين على وجه بوارو.

" أرجو ألا تمانعى يا سيدتى تطفلى عليكم وأنتم فى هذه الحالة من الحزن؟ ".

لم تطرف عيناها. ولم تحر جوابا. بقيت نظرتها ثابتة وحزينة. وأخيراً تنهدت وقالت: " أعتقد أنه من الأفضل لى أن أكون صريحة معك يا سيد بوارو ".

" أتفق معك يا سيدتى ".

" إنك تعتذر على تطفلك على حزننا. هذا الحداد يا سيد بوارو لا وجود له أصلاً، ومن التفاهة التظاهر به. فلم أُكن أى حب لحماتى، ولا أستطيع أن أقول بكل أمانة إننى حزينة على موتها ".

" شكراً لك يا سيدتى على صراحتك ".

واصلت نادين قائلة: " على الرغم من أننى لا أستطيع التظاهر بالحزن، فإننى يمكننى الاعتراف بشعور آخر، ألا وهو الندم ".

ارتفع حاجبا بوارو دهشة: " الندم؟ ".

" نعم. لأنني، كما ترى، كنت سبب موتها. ولهذا ألوم نفسى لوماً مريراً ".

" ما هذا الذى تقولين يا سيدتى؟ ".

" إننى أقول إننى كنت السبب فى موت حماتى. لقد كنت أتصرف بمنتهى الأمانة، حسبما اعتقدت، غير أن النتيجة كانت مؤسفة. ووفقاً لكل النوايا والأغراض، فقد قتلتها ".

اضطجع بوارو للوراء فى مقعده. " أتسمحين أن تتكرمى وتفسرى لى كلامك يا سيدتى؟ ".

أحنت نادين رأسها.

" نعم، هذا ما أريد فعله. إن رد فعلى الأول كان بطبيعة الحال أن أحتفظ بالأمر لنفسى، لكننى أرى أنه قد آن الأوان، ومن الأفضل أن أكشف عما جرى. ليس لدى شك يا سيد بوارو أنك كثيراً ما كنت محل ثقة أشخاص أطلعوك على دواخلهم ".

" نعم، حدث ذلك ".

" إذن سوف أخبرك بمنتهى البساطة بما جرى. إن حياتى الزوجية يا سيد بوارو لم تكن يوماً حياة سعيدة. ولا يمكن إلقاء اللوم على زوجى وحده فى ذلك. فقد كان تأثير أمه عليه شيئاً مؤسفاً، وقد راودنى الشعور أحياناً بأن حياتى لا صلاح لها ".

توقفت لبرهة ثم أكملت تقول:

" فى المساء الذى توفيت فيه حماتى كنت قد اتخذت قراراً. إن لى صديق، صديق مخلص جداً. قد اقترح علىّ أكثر من مرة أن أربط مصيرى بمصيره. وفى ذلك المساء كنت قد قبلت عرضه ذلك ".

" هل قررت أن تهجرى زوجك؟ ".

" نعم ".

" أكملى يا سيدتى ".

قالت نادين بصوت منخفض:

" وما إن اتخذت قراري، أردت أن أنفذه بأسرع وقت ممكن. عدت من جديد إلى المخيم وحدى. كانت حماتى تجلس وحدها، لم يكن هناك أى شخص، وقررت أن أعلمها بالخبر فى التو والحال. أحضرت مقعداً، وجلست بجوارها وقلت لها على عجل ما قررته ".

" وهل فوجئت؟ ".

" نعم، أخشى أن الصدمة كانت كبيرة جداً عليها. فقد بدت عليها الدهشة الشديد والغضب، لقد كانت فى قمة غضبها. لقد أرهقت نفسها وصارت فى حالة يرثى لها! وعلى الفور رفضت أن أواصل مناقشة الأمر معها أكثر من ذلك. فنهضت وابتعدت ". انخفض صوتها مرة أخرى: " ولم، لم أرها مطلقاً بعد ذلك حية ".

أومأ بوارو برأسه بطيئا، وقال: " فهمت ".

ثم قال: " أتعتقدين أن موتها كان نتيجة للصدمة؟ ".

" من المؤكد أن هذا هو ما حدث. ها أنت ترى، فقد أجهدت نفسها أكثر مما ينبغى لكى تصل إلى هذا المكان، والنبأ الذى أخبرتها به، وغضبها الناجم عنه، تكفلا بالباقى.....

كما أن إحساسى بالذنب يتضاعف لأننى لدىّ شيء من التدريب على الرعاية الصحية وبالتالى، كان علىّ أن أدرك، أكثر من أى شخص آخر، احتمال وقوع ذلك ".

جلس بوارو فى صمت لبعض الدقائق، ثم قال:

" ما الذى قمت به بالضبط عندما تركتها؟ ".

" أخذت المقعد وأعدته مرة أخرى إلى كهفى، ثم نزلت إلى الصوان. كان زوجى هناك ".

راح بوارو يراقبها عن قرب وهو يقول:

" هل أخبرته بقرارك؟ أم أنكِ كنتِ قد أخبرته قبل ذلك؟ ".

ساد الصمت لبرهة، بدا صمتًا لا نهائيًا، قبل أن تقول نادين: " لقد أخبرته عندئذ ".

" وكيف استقبل ذلك؟ ".

أجابت فى هدوء: " كان منزعجا بشدة ".

" هل حثك على مراجعة قرارك؟ ".

هزت رأسها بالنفى.

" إنه، إنه لم يتحدث كثيراً. كما ترى، لقد كان كل منا يدرك منذ فترة أن شيئًا كهذا قد يحدث ".

قال بوارو: " أستميحك عذراً، ولكن أليس، الرجل الآخر، هو السيد جيفرسون كوبى؟ ".

أومأت برأسها. " نعم ".

سادت فترة صمت طويلة، ثم ودون أن تتبدل نبرة صوته سألها بوارو: " ألديك حقنة للحقن تحت الجلد يا سيدتى؟ ".

" نعم، كلا ".

ارتفع حاجباه.

وفسرت قائلة: " لدىّ واحدة قديمة بين أشياء أخرى فى صندوق الأدوية الخاص بالسفر، ولكنه فى حقيبتنا الكبيرة التى خلفناها فى القدس ".

" آه، فهمت».

ساد صمت، ثم قالت فى ضيق: " لماذا سألتنى هذا السؤال سيد بوارو؟ ".

لم يجب سؤالها. وبدلاً من ذلك طرح عليها سؤالاً آخر: " كانت السيدة بوينتون، على ما أعتقد، تتناول مزيجًا يحتوى على الديجيتاليس؟ ".

" نعم ".

لاحظ أنها قد صارت أكثر انتباهًا وترقب الآن.

" أكان ذلك من أجل متاعب قلبها؟ ".

" نعم ".

" وهل الديجيتاليس، إلى حد ما، عقار تراكمى؟ ".

" أعتقد ذلك. وإن كنتُ لا أعلم الكثير فى هذا الشأن ".

" ماذا لو أن السيدة بوينتون تناولت جرعة زائدة من الديجيتاليس... ".

قاطعته بسرعة ولكن بتصميم:

" لا يمكن أن يكون قد حدث ذلك. إنها دائمًا شديدة الحرص. وهكذا كنت أنا أيضًا حريصة عندما أقدر لها الجرعة ".

" ربما كانت هناك جرعة زائدة فى إحدى القوارير. خطأ وقع فيه الصيدلى حين قام بتركيبه؟ ".

أجابته بهدوء: " أظن أن هذا احتمال مستبعد ".

" حسناً، سرعان ما سوف ينبئنا التحليل بحقيقة الأمر ".

قالت نادين: " بكل أسف لقد انكسرت القارورة ".

نظر بوارو نحوها فى اهتمام مفاجئ.

" حقاً. ومن كسرها؟ ".

" لست متأكدة من ذلك. واحد من الخدم، على ما أعتقد. فى أثناء حملنا لجثمان حماتى إلى كهفها، كان هناك قدر كبير من الارتباك، وكانت الإضاءة ضعيفة للغاية. وقد سقطت المائدة ".

واصل بوارو النظر نحوها بثبات لدقيقة أو نحوها.

قال: " ذلك أمر مشوق للغاية ".

تحركت نادين بوينتون بقلق فى مقعدها.

" إنك تعتقد، على ما أفهم، أن حماتى لم تمت نتيجة الصدمة الشديدة، ولكن بسبب

جرعة زائدة من الديجيتاليس؟ يبدو لى هذا غير محتمل تماماً ".

مال بوارو للأمام وقال:

" حتى ولو قلت لك إن الطبيب جرار، وهو الطبيب الفرنسى الذى كان مقيماً بالمخيم قد فقد كمية لا بأس بها من عقار الديجيتوكسين الذى كان موجوداً فى حقيبته الطبية؟ ".

شحب وجهها تماماً. لاحظ أنها دقت بقبضة يدها على المائدة وأطرقت برأسها لأسفل، ولبثت فى مكانها ساكنة تماما. كانت أقرب إلى تمثال امرأة شابة قُدّ من صخر.

قال بوارو أخيراً: " حسناً يا سيدتى، ماذا تقولين فى هذا؟ ".

تتابعت الثوانى دون أن تنبس بكلمة. ومرت دقيقتان تقريباً بقل أن ترفع رأسها، حدق قليلاً بها حينما لمح النظرة التى ارتسمت فى عينيها.

" سيد بوارو، أنا لم أقتل حماتى. يجب أن تعلم هذا! كانت حية وعلى ما يرام عندما تركتها. وهناك أشخاص عديدون يمكنهم أن يشهدوا بذلك! وهكذا، وبعد أن عرفت أننى بريئة من جريمة القتل، أيمكننى أن أتجرأ وأتوسل إليك. لماذا يجب عليك أن تشغل نفسك بذلك؟ إذا أقسمت لك بشرفى أن العدالة ولا شيء غير العدالة هى ما جرى، ألن تترك هذا الاستجواب؟ لقد كان هناك قدر كبير جداً من المعاناة، إنك لا تدرى عنه شيئاً. والآن وأخيراً حل السلام والسعادة، هل عليك أن تدمر ذلك كله الآن؟ ".

نهض بوارو، والتمعت عيناه وقال: " دعينى أكون واضحاً معك يا سيدتى. ما الذى تريدين منى القيام به؟ ".

" إننى أقول لك إن حماتى قد ماتت ميتة طبيعية وأطلب منك أن تتقبل هذه الحقيقة ".

" لنكن محددين. إنك تعتقدين أن حماتك قد قُتلت مع سبق الإصرار والترصد، ومع ذلك تطلبين منى أن أتستر على جريمة قتل!».

" إننى أطلب منك أن تتحلى بالشفقة! ".

" نعم، أتحلى بالشفقة على شخص ما لم يتحل بها! ".

" إنك لا تدرك الأمر ـ الأمر ليس على هذا النحو ".

" هل أنت من ارتكب الجريمة يا سيدتى، حتى تعرفين الأمر على حقيقته؟ ".

هزت نادين رأسها نفياً. ولم تظهر عليها أية علامة من علامات الندم والذنب، وقالت

فى هدوء: " كلا، لقد كانت حية عندما تركتها ".

" وبعدها ما الذى حدث؟ أتعلمين، أم أنك تتشككين؟ ".

قالت نادين بحماس:

" لقد سمعت يا سيد بوارو أنك تقبلت الحكم الرسمى لما حدث فى جريمة قطار الشرق السريع؟ ".

نظر بوارو نحوها فى فضول. " ترى من أنبأك بهذا؟ ".

" أهذا صحيح؟ ".

قال فى بطء: " تلك كانت قضية مختلفة ".

" كلا. كلا، لم تكن مختلفة! فإن الرجل الذى قُتل كان شريرا " ـ انخفض صوتها وهى تقول: " تماما كما كانت هى.... ".

قال بوارو: " الطبيعة الأخلاقية للضحية شيء لا يعنينى بالمرة! إن الشخص الذى يعين نفسه قاضيًا وجلادًا وينفذ حكمه بالموت على شخص آخر، ليس من الأمان فى شيء أن نتركه بين أفراد المجتمع. وأنا أخبرك بذلك بنفسى! أنا هيركيول بوارو! ".

" كم أنت قاس وعنيد! ".

" نعم يا سيدتى، إننى عنيد فى بعض الأمور. فلن أتستر على جريمة قتل! وهذه هى الكلمة الأخيرة لهيركيول بوارو ".

نهضت. وتوهجت عيناها السوداوان.

" إذن فلتستمر! فلتجلب البؤس والدمار على رءوس أناس أبرياء! فلم يعد لدىّ ما أقوله ".

" ولكن، أعتقد، يا سيدتى، أن لديك الكثير لتقوليه... ".

" كلا، لا مزيد ".

" ولكن، نعم. ما الذى حدث يا سيدتى بعد أن تركت حماتك؟ بينما كنتما جالسين أنت وزوجك فى الصوان معًا؟ ".

هزت منكبيها: " كيف لى أن أعرف؟ ".

" بل إنك تعرفين، أو على الأقل تشكين فى شيء ". نظرت مباشرة فى عينيه وقالت. " لا أعلم شيئًا يا سيد بوارو ".

واستدارت مغادرة الحجرة.

الفصل 8

بعد أن دوّن فى مفكرته ملحوظة 400. 4 ـ 2 فتح بوارو الباب ونادى على الجندى الذى تركه الكولونيل كابرى تحت تصرفه وهو رجل ذكى وعلى درايه جيدة باللغة الإنجليزية، وطلب منه أن يحضر الآنسه كارول بوينتون.

نظر ببعض الاهتمام الى الفتاة وهى تدخل، وإلى شعرها الكستنائى، وإلى وضع رأسها فوق كتفيها، وإلى حركة يديها الجميلتين.

قال:» تفضلى بالجلوس يا آنستى ".

جلست، وكان وجهها لا يحمل أى دلالات أو تعبيرات، وبدأ " بوارو» بتعبيره عن تعاطفه وأسفه لما حدث معها، وقبلت الفتاة ذلك دون أن يبدو على وجهها أى تعبير.

" والآن، آنستى هل ستحكين لى كيف أمضيت عصر ذلك اليوم؟ ".

جاءت إجابتها سريعة مما أثار الشكوك وكأنها مُجهزة مسبقًا.

" بعد الغداء ذهبنا جميعنا لنتريض وعدت إلى المخيم..... ".

قاطعها بوارو قائلاً: " مهلاً هل كنتم لاتزالون معًا حتى عدتم وقت اكتشاف الوفاة؟ ".

" لا. كنت مع أخى ريموند والسيدة كينج معظم الوقت، ثم مشيت بمفردى بعد ذلك ".

" شكرًا لك ـ قلت إنك عدت إلى المخيم، هل تعرفين الوقت الذى عدت فيه بالتحديد؟ ".

" أعتقد أنها كانت بعد الخامسة بعشر دقائق ".

دوّن» بوارو» 5.10.

" ثم ماذا حدث بعد ذالك؟ ".

كانت أمى لاتزال جالسة فى مكانها الذى تركناها فيه عندما خرجنا، ذهبت إليها وتحدثت معها، ثم ذهبت إلى خيمتى بعد ذلك ".

" هل تستطيعين تذكر ما دار بينكما بالتحديد؟ "

" كل ما حدث أننى قلت فقط إن الطقس حار جداً هنا وأننى سأذهب لأستلقى، وقالت أمى إنها ستنتظر فى مكانها ".

" هل لفت انتباهك أى شىء غير معتاد فى مظهرها؟ ".

" لا على الأقل إنه..... ".

توقفت فى ارتباك ونظرت إلى "بوارو".

قال " بوارو " بهدوء: " ليست هناك إجابة فى وجهى يا آنستى! ".

" كنت أتذكر، فقد كان من الصعب أن ألاحظ حينها، أما الآن وأنا أسترجع ما حدث ".

" نعم ".

قالت كارول ببطء: " حقيقة، كان لونها غريباً وكان وجهها أحمر جداً أكثر من المعتاد ".

قال " بوارو " مقترحًا: " ربما كانت مصدومه من شىء ما؟ ".

نظرت إليه وقالت: " مصدومة! ".

" نعم ربما كانت كذلك بالفعل، دعينا نقول إنه كانت هناك بعض المشاكل مع الخدم.

" أوه ـ نعم ربما ".

" ألم تذكر لكِ شيئًا من هذا القبيل؟ ".

" لا، لا شىء على الإطلاق ".

واصل بوارو قائلاً:"وماذا فعلتِ بعد ذلك يا آنستى؟ ".

ذهبتُ إلى خيمتى واستلقيت لمدة نصف ساعة تقريباً، ثم نزلت إلى الصوان حيث كان أخى وزوجته هناك يقرآن ".

" وماذا فعلت أنتِ؟! "

" مكثت بعض الوقت فى الحياكة، ثم التقطت بعد ذلك مجلة لأقرأها ".

" هل تحدثت إلى والدتكِ مرة أخرى فى أثناء ذهابك إلى الصوان؟ "

" لا فقد نزلت مباشرة ولا أذكر أننى نظرت، باتجاهها ".

" وماذا بعد ذالك؟ ".

" ظللت فى الصوان حتى أخبرتنا السيدة كنج بأنها ماتت ".

" هل هذا كل ما تعرفينه يا آنستى؟ ".

" نعم ".

مال بوارو برأسه إلى الأمام وكانت نبرته لاتزال كما هى هادئة.

" وبماذا شعرت حينئذٍ؟ ".

" بماذا شعرت؟! ".

" نعم بماذا شعرت عندما علمتِ أن والدتك، معذرة زوجة أبيك، ألم تكن كذلك؟ بماذا شعرت عندما علمت بأنها توفيتَ؟ ".

نظرت إليه.

" لا أفهم ماذا تقصد؟! ".

" أعتقد أنكِ تفهمين جيداً ".

خفضت عينيها لأسفل وقالت بتردد: " كانت صدمة كبيرة بالفعل ".

" هل كانت كذلك حقا؟ "

اندفع الدم فى وجهها ونظرت إليه بأسى ـ ورأى الخوف يطل من عينيها.

" هل كانت صدمة كبيرة حقا يا آنستى؟ أتذكرين الحوار الذى دار بينك وبين أخيكِ ريموند فى تلك الليلة فى القدس؟ ".

كان سؤالاً صائباً فى اللحظة المناسبة منه، حيث رأى ذلك فى الطريقة التى تلاشى فيها تورد بشرتها ـ ومن خلال تغير ملامحها مرة أخرى.

همست قائلة: " هل تعلم عنه شيئاً؟ ".

" نعم أعلم ".

" ولكن كيف، كيف؟ "

لقد سُمع جزء من حواركما.

" أوه "! أخفت كارول بوينتون وجهها فى يديها وتساقطت دموعها على المنضدة.

انتظر هيركيول بوارو لدقيقة، ثم قال بهدوء:

" كنتما تخططان معاً لتضعا نهاية لحياة زوجة أبيكما ".

تنهدت كارول بشده وقالت: " كنا مجنونين، مجنونين فى ذلك المساء! ".

" ربما ".

" من المستحيل أن تفهم الحالة التى كنا عليها فى تلك الليلة "! نهضت وأزاحت شعرها للخلف من على وجهها، وقالت: " ربما يبدو هذا خيالياً، فلم يكن الأمر سيئاً جداً فى أمريكا ـ لكن السفر أثار آلامنا ومتاعبنا ".

كان صوت بوارو هادئًا أو متعاطفاً الآن وهو يقول: " وما تلك الآلام التى أثارتها وذكركما السفر بها؟ ".

" كوننا مختلفين عن بقيه الناس ـ لقد انتابنا اليأس والإحباط وزاد إدراكنا لما نحن عليه، وكانت هناك جينى ".

" جينى؟ ".

" أختى، إنك لم ترها، لقد بدأت سلوكياتها تزداد غرابة، وساهمت الأم فى ازدياد حالتها سوءاً، وكان يبدو أنها لا تستطيع إدراك ذلك، لقد كنا خائفين أنا وشقيقى من أن تصاب جينى بالجنون، ورأينا أن نادين تعتقد ذلك أيضاً، وهذا ما جعلنا نخشى أكثر على جينى لأن نادين كانت تعلم الكثير عن التمريض، وعن الحالات المشابهة من هذا النوع ".

" نعم ـ نعم ".

" ذلك المساء فى القدس حدثت أشياء ما ـ زادت من غضبنا ـ كان ريموند فى شدة الغضب ؛ فرتبت أنا وهو كل شىء وبدا ـ أوه ـ بدا بالفعل أنه من الصواب أن نخطط لقتلها. فالأم لم تكن سليمة العقل. لا أعلم ماذا تعتقد ـ ولكنه بدا أنه من الصواب والنبل إلى حد ما أن نقتل شخصية كهذه! ".

هزا بوارو رأسه ببطء وقال: " نعم. أعلم أن ذلك يبدو للكثيرين، وقد أثبت التاريخ ذلك ".

قالت وهى تضرب المنضدة بيدها:" هذا ما شعرنا به أنا ورى فى تلك الليلة، ولكننا لم نفعل ذلك فى الحقيقة. بالطبع لم نفعل ذلك، فعندما ظهر ضوء النهار بدا وكأن الأمر مجرد شىء سخيف، ميلودرامى ـ نعم ـ وشرير أيضا بالفعل ـ بالفعل ـ سيد بوارو ـ ماتت الأم ميتة طبيعية نتيجة أزمة قلبية، ولم يكن لدىّ أنا ورى ما نفعله حيال ذلك ".

قال بوارو بهدوء: " هل تقسمين لى يا آنستى أن السيدة بوينتون لم تمت نتيجه أية محاولة منكما لقتلها؟ ".

قالت كارول: " أقسم أننى لم أؤذها أبداً..... ".

اتكأ بوارو للخلف على كرسيه وقال:

" هكذا هو الأمر ".

ساد الصمت الحجرة. عبث بوارو بشاربه، ثم قال: " ماذا كانت خطتكما بالضبط؟ ".

" خطة؟! ".

" نعم، لابد أنه كانت لديكِ أنتِ وأخيكِ خطة ما؟ ".

حسب دقات ثوانى الساعة فى عقله وقبل أن تجيب ـ واحد ـ اثنان ـ ثلاثة.....

قالت كارول فى النهايه: " لم يكن لدينا خطة ؛ فلم نصل أبداً إلى هذا الحد ".

نهض هيروكول بوارو وقال:" لقد انتهينا يا آنستى، هل من الممكن أن ترسلى أخيكِ؟ "

نهضت كارول وظلت واقفة لدقيقة فى تردد وحيرة ثم قالت:

سيد بوارو: " أتصدق ما قلته لكِ؟ ".

سأل بوارو: " هل قلت إننى لم أفعل؟ ".

" لا ـ لكن..... ". ثم توقفت.

قال:" هلا طلبتِ من أخيكِ أن يأتينى؟ ".

" نعم ".

اتجهت ناحية الباب بخطى بطيئة، وعندما بلغته توقفت ثم استدارت بانفعال:

" لقد أخبرتك الحقيقة ـ لقد فعلت ".

لم يجبها هيركيول بوارو.

غادرت كارول بوينتون الغرفة ببطء.

الفصل 9

لاحظ بوارو الشبه الكبير بين الأخ والأخت عندما دلف ريموند بوينتون إلى الغرفة.

كانت ملامح وجهه صارمة وجامدة، ولم تبد عليه علامات الخوف أو الاضطراب. جلس على المقعد ونظر إلى بوارو بحدة وقال: " حسنا ".

قال بوارو بلطف: " هل تحدثت أختك إليك؟ ".

أومأ ريموند قائلاً: " نعم ـ عندما أخبرتنى بأن أحضر إلى هنا، بالطبع أنا أدرك أنك تعتقد أن شكوكك فى محلها، وإذا كان حوارنا فى تلك الليلة قد سمعه أحدهم، فإن موت زوجة أبى فجأة بهذا الشكل قد يبدو مريباً فى محله! أستطيع فقط أن أؤكد لك أن الحوار فى ذلك المساء كان جنونياً ـ حيث كنا فى ذلك الوقت تحت ضغط شديد ولا يمكن تحمله ويؤكد شكوكك ـ وهذه الخطة الخيالية لقتل زوجه أبى كانت ـ أوه، كيف أمكننى أن أصفها؟ ـ جعلتنا نشعر براحة بعض الشىء.

أومأ " هيركيول بوارو " برأسه ببطء.

وقال: " من المحتمل أن يكون هذا صحيحاً ".

" وبالطبع فى الصباح بدا كل هذا سخفاً، أقسم لك سيد بوارو إننى لم أفكر فى الأمر مرة ثانية ".

لم يجب بوارو.

قال ريموند بسرعة: " أوه، نعم أعلم أن هذا سهل القول، ولكن لا أتوقع أن تصدقنى لمجرد كلامى هذا، لكن انظر فى الحقائق، لقد تحدثت لوالدتى قبل السادسة بقليل وكانت لاتزال على قيد الحياة بصحة جيدة، ثم ذهبت إلى خيمتى واغتسلت والتحقت بالآخرين فى السرادق، وطوال ذلك الوقت، لم نبرح أنا وكارول مكاننا. كنا تحت مرأى من الجميع. يجب أن تعلم سيد بوارو أن موت أمى كان طبيعياً ـ نتيجة أزمة قلبية ـ ولا يمكن أن يكون هناك شىء آخر! حيث كان هناك خدم حولنا، والكثير من المارة، واحتمال وجود أى فكرة أخرى يكون منافياً للعقل تماماً! ".

قال بوارو بهدوء: " هل تعلم سيد بوينتون أن الآنسة كنج عندما فحصت الجثة فى السادسة والنصف، كان رأيها أن الوفاة حدثت منذ ساعة ونصف على الأقل ـ وربما ساعتين؟ ".

نظر إليه ريموند فى ارتياب، ثم قال وهو يلهث: " هل قالت سارة ذلك؟ ".

قال بوارو: " ماذا تقول حيال ذلك الآن؟ ".

" لكن هذا مستحيل! ".

هذه هى شهادة الآنسة كنج ـ والآن أنت تخبرنى بأن والدتك كانت على قيد الحياة وبصحة جيده قبل أربعين دقيقة فقط من فحص السيدة كنج للجثة؟! "

قال ريموند: " لكنها كانت كذلك! ".

كُنْ حذراً سيد بوينتون.

" من المؤكد أن سارة مخطئة، فهناك بالتأكيد بعض الحقائق التى لم تضعها فى الحسبان، تخل عن تحيزك، إننى أؤكد لك سيد بوارو أن أمى كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وأننى قد تحدثت إليها ".

كان وجه بوارو خالياً من أى تعبير.

مال ريموند إلى الأمام فى جدية واهتمام ثم قال:

" سيد بوارو، أعلم كيف يبدو هذا بالنسبة لك، ولكن انظر إلى الأمر بعدل، فأنت شخص متحيز، فأنت ملتزم بأن تتبع حقيقة الأشياء، أنت تعيش فى مناخ الجريمة، وكل موت مفاجئ يبدو لك أن وراءه جريمة ما! ألا تستطيع أن تدرك أن شعورك قد يكون مبالغاً فيه ولا يمكن الاعتماد على صحته؟ فالأشخاص يموتون كل يوم، خاصة أولئك أصحاب القلوب الضعيفة، ولا يوجد ما يثير الشك حيال تلك الوفاة ".

تنهد بوارو قائلاً: " إنك إذن تعلمنى ما ينبغى على القيام به؟ ".

" لا ـ بالطبع ـ لا أعتقد أنه قد أغضبك الحوار ـ وأعتقد أيضاً أنه ليس هناك شىء حيال وفاة أمى يثير شكوكك سوى هذا الحوار الهستيرى المؤسف الذى دار بينى وبين كارول ".

قال بوارو وهو يهز كتفيه: " أنت مخطئ ـ هناك شىء آخر ؛ هناك السم الذى أخذ من خزانة دواء الدكتور جيرار ".

" سمّ؟ " نظر إليه ودفع كرسيه للخلف قليلاً وقال وهو فى حالة ذهول تام: " سم! هل هذا ما تشك فيه؟ ".

أعطاه بوارو دقيقه ـ أو دقيقتين ثم قال بهدوء ولامبالاة:

" هل كانت خطتك مختلفة؟ ".

أجاب ريموند بتلقائية: " أوه ـ نعم ذلك لأن هذا يغير كل شىء..... أنا.. أنا لا

أستطيع أن أفكر بوضوح ".

" ماذا كانت خطتك؟ ".

" خطتنا؟ ـ كانت..... "

توقف ريموند على نحو مفاجئ، واتسعت عيناه وبدت فيهما نظرة يقظة مترقبة.

" لا أعتقد أننى سأقول شيئاً أكثر من ذلك ".

قال بوارو: " كما تشاء ".

أخذ ينظر إلى الشاب الصغير وهو يغادر الغرفة.

أخرج مفكرته وبحروف صغيرة أنيقة دون موعداً آخر: لقاء. B.5.55

ثم أخرج ورقه كبيره وأخذ يدون فيها بعض الأشياء. انتهت مهمته. ورجع بظهره للخلف وأخذ يتأمل النتيجة وهى كالتالى:

3.05 (تقريباً)	غادرت عائلة بوينتون وجيفرسون كوبى المخيم حوالى الساعة:
3.15	غادر الطبيب جيرار وسارة كنج المخيم حوالى الساعة:
4.15	غادرت السيدة ويستهولم والسيدة بيرس المخيم الساعة:
4.20	عاد الدكتور جيرار إلى المخيم الساعة:
4.35	عاد لينوكس بوينتون إلى المخيم الساعة:
4.40	عادت نادين بوينتون إلى المخيم وتحدثت إلى السيدة بوينتون الساعة:
4.50 (تقريباً)	تركت نادرين بوينتون حماتها وذهبت إلى السرادق الساعة
5.10	عادت كارول بوينتون إلى المخيم الساعة:
5.40	عادت السيدة وستهولم والسيدة بيرس والسيد جيفرسون كوبى إلى المخيم:
5.50	عاد ريموند بوينتون إلى المخيم الساعة:
6.00	عادت سارة كنج إلى المخيم الساعة:
6.30	تم اكتشاف الجثة الساعة:

الفصل 10

قال هيركيول بوارو: " أنا أتعجب لذلك "، وطوى القائمة، واتجه صوب الباب، وطلب من الخدم إرسال محمود وكان المترجم السمين كثير الكلام، وكانت الكلمات تندفع من فمه بسرعة شديدة.

" دائمًا، دائمًا يلقون باللوم علىّ، عندما يحدث أى شىء يقولون إنه خطئى ـ عندما يلتوى كاحل السيدة إيلينت هانت يكون خطئى على الرغم من أنها ترتدى حذاءً ذا كعب عال وهى تبلغ ستين عامًا على الأقل، وربما سبعين. كل حياتى مأساة واحدة! آه!ماذا أفعل ".

نجح بوارو فى النهاية فى إيقاف هذا الفيضان من الكلمات، وأن يطرح عليه سؤالاً، فأجاب قائلاً:

" تقول فى الخامسة والنصف؟ لا. لا أعتقد أن أحداً من الخدم كان هناك حينئذ ـ فأنت ترى ـ فالغداء يكون فى حوالى الثانية، وبعد ذلك ينتهى كل شىء. بعد الغداء ينام الجميع، نعم، الأمريكيون لا يتناولون الشاى بعد الغداء، وعند الساعة الثالثة والنصف لن تجد أحداً مستيقظاً، فالجميع ينامون فى هذا التوقيت تقريباً ؛ فى الخامسة تجدنى أقوم على خدمة الجميع بعد استيقاظهم. لقد أصبحت أعرف الوقت الذى تتناول فيه السيدات الإنجليزيات الشاى، ولكن لم يكن أحدهم هناك فى ذلك اليوم فالجميع كانوا قد خرجوا للتريض، وبالنسبة لى كان هذا أمراً جميلاً ـ أفضل من المعتاد ـ فاستطعت أن أعاود وأستلقى قليلاً. بدأت المشاكل فى السادسة إلا ربعٍ عندما عادت سيدة إنجليزية ضخمة، وهى عجوز طلبت الشاى على الرغم من أن جميع الخدم كانوا مشغولين بإعداد العشاء، ولقد أثارت ضجة بسبب ذلك، وقالت يجب أن يغلى الماء جيداً، سأراه بنفسى، آه ياسيدى العزيز! يا للحياة، يا للحياة! إننى أبذل كل ما فى جهدى ولا ألقى فى المقابل سوى اللوم، يا لها من حياة شاقة، أنا..... ".

سأله بوارو عن الاتهامات المضادة:

" هناك أمر آخر صغير ـ فالسيدة المتوفاة كانت غاضبة من أحد الخدم، هل تعلم من هو وماذا كان السبب؟ ".

رفع محمود يده للسماء:

" أيجب أن أعرف؟ ولكن من الطبيعى ألا أعرف، فالسيدة العجوز لم تشتك لى ".

بوارو: " هل تستطيع أن تحاول معرفة مَن مِن الخدم الذى أثار غضبها؟ ".

" لا سيدى، سيكون ذلك مستحيلاً، فلن يعترف أى منهم بذلك، إنك تقول إن السيدة كانت غاضبة ؛ إذن فسينكر كل واحد منهم ما حدث، وسيلقى باللوم على زملائه الآخرين، إنهم يتسمون بالدهاء الشديد ".

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: " لقد درست الكثير عن اللغة الإنجليزية، وأستطيع أن أحدثك عن " كيتس وشيلى ".

أنهى بوارو هذا الحوار ؛ وعلى الرغم من أن الإنجليزيه لم تكن لغته الأصلية إلا أنه كان على دراية جيدة بها لكى لا يعانى من النطق الغريب لـ "محمود».

رد بوارو بسرعة: " إن معلوماتك رائعة، وسأوصى جميع أصدقائى بالتعامل معك ".

احتال بوارو ليجد وسيلة لكى يهرب من فصاحة الترجمان، ثم أخذ قائمته وتوجه إلى كولونيل كابرى حيث وجده فى مكتبه.

رفع كابرى رابطة عنقه قليلاً وسأله: " هل توصلت لشىء؟ ".

قال بوارو: " هل أخبرك بوجهة نظرى؟ ".

تنهد كولونيل كاربرى وقال: " إذا كنت تريد ". فبطريقة أو أخرى كان قد سمع العديد من النظريات خلال فترة عمله.

" وجهة نظرى هى أن علم الجريمة هو أسهل علم فى العالم! فكل ما على الشخص هو أن يترك المجرم يتحدث ـ وفى البداية أو النهاية ـ سيخبرك بكل شيء ".

" أتذكر أنك قلت أشياء من هذا القبيل قبل ذلك، ومن الذى يخبرك بتلك الأشياء؟ ".

قال بوارو باختصار:» كل شخص ". ثم أخذ يسرد عليه ما حدث فى المقابلات التى أجراها هذا الصباح.

قال كابرى: " نعم ربما تكون قد حصلت على بعض التلميحات ـ ويالشفقة ـ يبدو أن جميعهم يشيرون إلى اتجاهات مضادة، هل لدينا قضية من الأساس؟ هذا ما أريد معرفته ".

" لا ".

تنهد كابرى مرة أخرى: " كنت أخشى أن يكون هناك واحدة بالفعل "

قال بوارو: " لكنك ستعرف الحقيقة قبل حلول الظلام ".

قال كولونيل كاربرى: " هذا ما تعدنى به دائماً، وأنا أشك فى أن يحدث هذا! أأنت على ثقة مما تقول؟ ".

" تمام الثقة ".

قال كابرى: " من الجيد أن تشعر بهذا ".

ومع أنه كان هناك بريق ينم عن السخرية فى عينيه ألا أن بوارو لم يلتفت إليه، ثم أخرج القائمة التى كان قد دونها من قبل.

قال كابرى فى استحسان: " رائع ".

وركز عليها.

ثم قال بعد دقيقه أو دقيقتين: " أتدرى ما هو اعتقادى؟ ".

" سأكون مسروراً إذا أخبرتنى به ".

" أعتقد أن الشاب ريموند ليست له يد فيما حدث ".

" حسناً، هل تعتقد ذلك؟ ".

" نعم ـ فالأمور واضحة بشدة ـ ربما كان يجب علينا أن نعرف منذ البداية أنه لا يمت بصلة لما حدث ؛ حيث إنه كما فى القصص البوليسية من أكثر الأشخاص المشتبه بهم، وبما أنك قد سمعته وهو يقول إنه يود أن يتخلص من السيدة العجوز، فكان يجب علينا أن ندرك أن ذلك معناه أنه برىء ".

" أتقرأ القصص البوليسية حقيقة؟ "

قال كولونيل كابرى: " الآلاف منها "، وأضاف بنبرة تشبه نبرة طفل متلهف:

" أعتقد أنك لا تستطيع أن تفعل الأشياء التى يفعلها المحققون فى الكتب كتابة قائمة من الحقائق المهمة ـ الأشياء التى تبدو أنها لا تعنى أى شىء ولكنها فى الحقيقة تكون أشياء على درجة كبيرة من الأهمية، هذا النوع من الأشياء، أتعرف؟ "

قال بوارو بلطف:» حسناً، أنت تحب هذا النوع من القصص البوليسية؟ ولكن بالتأكيد سأفعل لك ما تريده بكل سرور ".

أخذ قطعة من الورق وكتب بسرعة وبدقة.

نقاطاً ذات أهمية:

السيدة بوينتون كانت تتناول خليطاً من العقاقير يحتوى على الديجيتوكسين

فقد الدكتور جيرار حقنة من الحقن التى تستخدم للحقن تحت الجلد.

كانت السيدة بوينتون تشعر بسعادة ومتعة حينما تمنع أفراد عائلتها من الاستمتاع بوقتهم والتعرف على أشخاص آخرين.

سمحت السيدة بوينتون لأفراد عائلتها جميعاً بأن يخرجوا بعد الظهر ويتركوها بمفردها.

كانت السيدة بوينتون ذات شخصية سادية.

المسافة بين السرادق والمكان الذى كانت تجلس فيه السيدة بوينتون يقدر بحوالى مائتى ياردة.

السيد لينوكس قال فى البداية إنه لم يكن يعلم الوقت الذى عاد فيه إلى المعسكر ـ ولكن بعد ذلك اعترف بأنه ضبط ساعة يد والدته على التوقيت الصحيح.

كانت خيمة الطبيب الدكتور جيرار تجاور خيمة الآنسة جنفرا بوينتون.

فى السادسة والنصف، عندما كان العشاء جاهزاً، أعلن أحد الخدم وفاة السيدة بوينتون.

طالع الكولونيل هذه النقاط برضا واهتمام.

رائع، هذا هو ما كنت أبغيه! ولكنك جعلت الأمور صعبة ـ وتبدو غير مترابطة ـ ولكن بالمناسبة أعتقد أن هناك شيئاً أو اثنين لم تلاحظهما، ولكنى أثق فى أنك ستحاول الوصول إليهما؟

لمعت عينا بوارو قليلاً، ولكنه لم يجب بشىء.

أردف كولونيل كاربرى: " النقطة الثانية على سبيل المثال وهى أن الطبيب جيرار فقد حقنة تحت الجلد ـ هذا صحيح، ولكنه فقد أيضاً محلولاً مركزاً من الديجيتوكسين أو شىء من هذا القبيل.

قال بوارو: " النقطة التالية التى ذكرتها ليست فى أهميه فقد حقنة تؤخذ تحت الجلد ".

قال الكولونيل كاربرى وكان وجهه مضيئاً بابتسامة: " رائع، إننى لم أقصد ذلك، كان يجب علىّ أن أقول إن فقد الديجيتوكسين أكثر أهمية من الحقنة! وماذا عن موضوع الخادم الذى ثار، والذى كان يتم إرساله إليها ليخبرها بأن العشاء جاهز، وقصة ـ أنت لا تنوى أن تخبرنى بها بعد كل هذا ـ أن واحداً من هؤلاء الفقراء المغفلين هو الذى صرعها، وسيكون ذلك خداعاً ".

ابتسم بوارو ولكنه لم يجب.

وبينما كان يهم بمغادرة الغرفة غمغم قائلاً:

" هذا شيء لا يصدق! الإنجليزى لا ينضج أبداً ".

الفصل 11

جلست سارة كنج على قمة أحد التلال وهى تقطف إحدى الزهرات البرية، وجلس الدكتور جيرار على حائط من الأحجار بجوارها.

قالت فجأة وبحدة: " لماذا أثرت كل هذا؟ فلولا ما قلته.....».

قال الطبيب جيرار ببطء: " أتعتقدين أنه يجب علىّ أن ألتزم الصمت ".

" نعم ".

" وأنا أعلم ما أعلم؟ ".

قالت سارة: " أنت لا تعلم شيئاً ".

تنهد الرجل الفرنسى قائلاً: " أنا أعلم بالفعل، ولكنى أعترف أن الشخص لا يمكن أن يكون متأكداً تمام التأكد ".

قالت سارة بشكل عنيد: " بل يستطيع ".

هز الرجل الفرنسى كتفيه بلا مبالاة قائلاً: " أنتِ! ربما ".

قالت سارة: " كانت لديك حمى، ولا يمكن أن تكون قادراً وأنت فى تلك الحالة على تذكر كل شىء بوضوح، ربما كانت الحقنة هناك طوال الوقت وأنك أخطأت بشأن الديجيتوكسين، وأن أحداً من الخدم قد عبث بالحقيبة ".

قال جيرار بسخرية: " لا تقلقى! الدليل غالبًا ما يكون غير حاسم ـ سترى أن أصدقاءك من عائلة بوينتون سيهربون بفعلتهم ".

قالت سارة بعنف:» ولا أريد ذلك أيضاً ".

هز رأسه وقال: " إن كلامك غير منطقى ؛ ولا أستطيع فهمك ".

قالت سارة: " ألم تكن أنت الذى كنت تحدثنى كثيراً فى القدس عن عدم التدخل؟ والآن انظر ماذا تفعل أنت! ".

" أنا لم أتدخل، لقد قلت ما أعلمه فقط "!

" وأنا قلت إنك لا تعرف شيئًا! عجباً ياعزيزى، ها نحن نعود مرة أخرى وندور فى

الدائرة المفرغة ".

قال جيرارد بلطف: " أنا آسف كنج ".

قالت سارة بصوت منخفض:

" أترى، إنهم لم يهربوا بعد كل هذا! إنها لا تزال هنا! حتى من قبرها لاتزال تستطيع الخروج وأن تحكم قبضتها عليهم، هناك شيء ما، شيء فظيع بشأنها، إنها لاتزال مخيفة حتى وهى ميتة! أشعر، أشعر بأنها تستمتع بكل هذا! ".

أطبقت يديها، ثم قالت بنبرة مختلفة تماماً ـ بصوتها المعتاد: " انظر هذا الرجل الصغير الذى يصعد التل هناك ".

التفت الطبيب جيرار حيث أشارت.

" أعتقد أنه يأتى باحثًا عنًا ".

سألت ساره: " هل هو أحمق كما يبدو عليه؟ ".

قال دكتور جيرار بأسف:» إنه ليس أحمق على الإطلاق ".

قالت سارة كنج: " كنت خائفة من ذلك ".

نظرت بتجهم إلى هيركيول بوارو وهو يصعد التل.

وصل لهم فى النهاية وقال بصوت عال: " مرحباً "، ثم مسح جبينه ونظر إلى حذائه الجلدى بأسف.

" واأسفاه عليك يا حذائى المسكين من هذه المدينة الحجرية ".

قالت سارة بحدة: " يمكنك أن تستعير أداة تنظيف الأحذية الخاصة بالسيدة وستهولم فقد سافرت كل هذه المسافة بأدوات تنظيف المنزل! ".

هز بوارو رأسه بحزن وقال: " هذا لن يزيل الخدوش يا سيدتى ".

" ربما لا ـ ولكن لماذا ترتدى حذاء من هذا النوع فى بلدٍ كهذا؟ ".

أحنى بوارو رأسه قليلاً.

وقال: " أحب أن أبدو أنيقاً دائماً ".

قالت سارة: " يجب ألا يرتدى المرء أشياء كهذه فى الصحراء ".

قال الطبيب جيرار بشكل حالم: " لا تبدو النساء على أفضل أحوالهن فى الصحراء، لكن الآنسة كنج مظهرها مريع بمعطفها السميك وتنورتها الغريبة، وسروالها القصير

وحذائها الغريب، وانظروا إلى ملابس تلك المسكينة التى تدعى بيرس، إنها رثة للغاية وذات ألوان باهتة، ناهيك عن تلك القلادات والسلاسل التى ترتديها والتى تحدث أصواتاً مزعجة. حتى السيدة بوينتون الصغيرة، والتى هى امرأة جميلة، وهى ليست من تطلق عليها أنيقة! فملابسها غير مهندمة! ".

قالت سارة بشكل متململ: " حسنا لا أعتقد أن السيد بوارو صعد إلى هنا لكى يتحدث عن الملابس! ".

قال بوارو: " صحيح أتيت لأستشير دكتور جيرار حيث إن رأيه يمثل قيمة بالنسبة لى، وأنتِ أيضاً يا آنستى وأنت على دراية بأحدث الدراسات التى توصل إليها علم النفس، وأنا أريدَ أن أعلم كل شىء يمكن أن تخبرينى به عن السيدة بوينتون.

سألت سارة: " ألا تعلم كل ذلك عن ظهر قلب الآن؟ "

قال: " لا، فأنا لدىّ يقين أن الحالة العقلية للسيدة بوينتون مهمة جداً فى هذه القضية، فمثل هذا النوع بلا شك مألوف جداً للدكتور جيرار ".

قال الدكتور: " من وجهة نظرى، لقد كانت بالتأكيد مثيرة للدراسة ".

" أخبرنى ".

لم يبد الطبيب جيرار أى اعتراض، وقام بوصف انطباعه الشخصى للعائلة ـ ومحادثته مع "حيفرسون كوبى " وعدم فهم الأخير لما يحدث حوله بشكل جيد.

قال بوارو: " إذن فهو عاطفى ".

هو كذلك بالفعل، إنه مثالى بشكل مبالغ فيه، أن تنظر إلى أفضل ما فى البشر، وأن تعتبر العالم من حولك كمدينة فاضلة، فهذا أبسط ما فى الحياة، ولذا فإن جيفرسون كوبى بالتالى ليس لديه أقل فكرة عما يكون عليه الناس فى الحقيقة ".

قال بوارو»: " ربما يكون هذا خطراً فى بعض الأحيان ".

" إنه مصر على اعتبار ما أصفه بحالة بوينتون على أنه نوع من الإخلاص والتفانى. وأنه ليس لديه أدنى فكرة عن الكراهية، أو العصيان، أو العبودية والشقاء ".

علق بوارو قائلاً: " هذا غباء، إنه..... ".

واصل دكتور جيرار قائلاً:» إن أغلبية هؤلاء الحالمين البلهاء لا يمكن أن يكونوا غافلين إلى هذا الحد، ولكنى أعتقد أنه كان منتبهاً ويقظاً فى رحلته إلى البتراء.

ووصف الحوار الذى دار بينه وبين الأمريكى فى صباح اليوم الذى ماتت فيه السيدة بوينتون.

قال بوارو بتأمل: " هذه قصة مثيرة ـ قصة الخادمة تلك، فإنها تلقى بالضوء على أسلوب السيدة العجوز فى التعامل ".

قال جيرار: " لقد كان حقاً صباحاً غريباً جداً! أنت لم تذهب إلى البتراء سيد بوارو ـ إنه مكان رائع وبه بعض الأماكن المقدسة، يجب ألا تفوتك مشاهدتها، أليس كذلك يا آنسة كنج؟ ".

ارتجفت سارة وقالت: " لا تفعل! دعنا لا نتحدث عن ذلك اليوم ".

قال بوارو: " لا. لا. دعينا نتحدث عن الأحداث التى سبقت ذلك، فأنا مهتم يادكتور جيرار بوصفك للحالة العقلية للسيدة بوينتون ـ أما الذى لا أفهمه جيداً فهو إيصال عائلتها إلى هذه الدرجة من الخضوع الشديد. لماذا رتبت لهذه الرحلة وهى تعلم خطورة ذلك من اتصال أفراد عائلتها بالعالم الخارجى وبأشخاص غرباء عنهم، وقد يُضعف ذلك من سيطرتها وسطوتها عليهم ".

انحنى الطبيب جيرار إلى الأمام باهتمام.

" ولكن ذلك هو ما تريده بالفعل! فالسيدات كبار السن متشابهات فى جميع أنحاء العالم ـ إنهن يصبن بالملل! خاصة إذا كانت هوايتهن المفضلة هى لعب الورق، ولكن قد يصبهن الملل من تكرار ممارسة اللعبة، وهن يردن أن يتعلمن هواية جديدة. هذا ما حدث تماماً مع السيدة العجوز والتى تعد متعتها وهوايتها الوحيدة هى (قد يكون ذلك يصعب تصديقه) السيطرة على الآخرين وتعذيب المخلوقات البشرية. والسيدة بوينتون ـ كما نتحدث عنها ـ قد قامت بترويض نمورها، ربما كانت هناك بعض الإثارة عندما كانوا يمرون بمرحلة المراهقة ـ وكان زواج لينوكس ونادين بمثابة مغامرة، ولكن فجاءة أصبح كل شىء ساكناً، فأصبح لينوكس غارقاً فى الحزن، وكان من الصعب عليها بعد ذلك أن تجعله يشعر بالاستياء، وكذلك لم يبد كل من كارول وريموند أى تمرد أو عصيان، وجنفرا ـ آه المسكينة جنفرا ـ فهى من وجهة نظر والدتها لم تكن تمنحها الإثارة الكافية، وقد اكتشفت جنفرا وسيلة للهرب! هربت من الواقع إلى الخيال، وكلما زاد تعنيف والدتها لها وسيطرتها، ازدادت نشوتها النابعة من اعتقادها بأنها بطلة مضطهدة، وكل ذلك من وجهة نظر السيدة بوينتون أصبح مملاً غير مثير، فازدادت رغبتها حينئذٍ فى اكتشاف عالم جديد تقتحمه مثل الكسندر الغازى، ولذلك فقد خططت لهذه الرحلة الخارجية حيث يكون هناك احتمال خطر أن تثور وحوشها المروضة، وتكون هناك فرص لتوجيه ضربات جديدة! يبدو هذا سخيفاً أليس كذلك؟ ولكنها الحقيقة! فكانت تسعى لإثارة جديدة ".

أخذ بوارو نفساً عميقاً وقال: " هذا صحيح تماماً، إنه ـ نعم ـ أفهم ـ أفهم تماماً ما تعنيه. لقد كانت كذلك، فجميع ما ذكرته ينطلق عليها، فقد أرادت بوينتون الأم أن تعيش فى خطر، وقد دفعت الثمن! ".

انحنت سارة للأمام، وأصبح وجهها الجميل شاحباً بشدة وقالت:

" أتعنى أنها قادت فرائسها إلى مكان بعيد جداً، ثم انقلبوا عليها أو أن أحدهم فعل ذلك؟ ".

أومأ بوارو برأسه بالموافقة.

قالت سارة وكان صوتها مختنقاً:

" أى واحد منهم؟ ".

نظر بوارو إليها، وإلى يديها اللتين تقبضان بشدة على الزهور البرية ووجهها الشاحب.

ولم يجب، وقد أفلت بالفعل من الإجابة ؛ لأن فى هذه اللحظة لمس جيرار كتفه وقال: " انظر "!

كانت هناك فتاه تتجول بجانب التل ـ كانت تمشى بطريقة إيقاعية نوعًا ما ؛ مما أعطى انطباعاً بأنها ليست فتاة حقيقية، كان شعرها الأحمر يلمع فى ضوء الشمس، وكانت هناك ضحكة مكتومة متشكلة على جانب فمها الجميل، حبس بوارو أنفاسه:

" يا للجمال! يا لغرابة وجمال لفتاتها وحركتها، هكذا يجب أن تكون أوفيليا، إنها مثل أميرة متوجة أتت من عالم آخر وهى سعيدة بأنها تخلصت من قيود أحزان البشر وأفراحهم ".

قال جيرار: " نعم حقًا، أنت محق، إنه وجه تحلم به، أليس كذلك؟ لقد حلمت به بالفعل فى أثناء إصابتى بالحمى. فتحت عينى ورأيت هذا الوجه بكل ملاحته وابتسامته الملائكيه، لقد كان حلمًا جميلاً وكنت حزينا لأننى استيقظت منه..... ".

ثم عاد إلى طريقته المعتادة وقال: " هذه هى جنفرا بوينتون ".

الفصل 12

وبعد دقيقة كانت الفتاة قد بلغت مكانهم.

قام الطبيب جيرار بمهمة تقديم كل منهما للآخر قائلاً:

" آنسة بوينتون هذا هو السيد هيركيول بوارو ".

" أوه "، نظرت إليه بارتياب. أخذت تعبث بأصابعها بقوة. لقد كانت الفتاة المسحورة من الأرض المسحورة ـ أصبحت الآن مجرد فتاة عادية مرتبكة، يغلب عليها بعض التوتر والاستياء.

قال بوارو: " إنه من حسن حظى أن أقابلك هنا اليوم، فلقد حاولت أن أقابلك فى الفندق ".

" حقاً؟ ".

كانت ابتسامتها حمقاء، وأخذت تعبث فى حزام ردائها. قال بوارو بلطف:

" هل من الممكن أن أتحدث إليك قليلاً؟ ".

سارت معه بسهولة نزولا على رغبته

قالت على غير المتوقع وبصوت غريب وبسرعة: " أنت، أنت محقق ـ أليس كذلك؟ ".

" نعم يا آنستى ".

" محقق مشهور جداً؟ ".

قال بوارو: " أفضل محقق فى العالم ". قالها وكأنها مجرد حقيقة واقعة لا أكثر ولا أقل.

تنفست جنفرا بوينتون برفق وقالت: " نعم، لقد أتيت إلى هنا لكى تحمينى؟ ".

فرك بوارو شاربه بتأمل وقال:

" إذن هل أنت فى خطر يا آنستى؟ ".

تلفتت حولها بسرعة وارتياب وقالت: " نعم، نعم. أخبرت الطبيب جيرار بهذا فى

القدس، وكان ماهراً جدا ـ لم يبد أى علامة فى ذلك الوقت، ولكنه اتبعنى إلى ذلك المكان الخطر ذى الصخور الحمراء ".

ارتعدت وهى تقول: " إنهم يريدون قتلى هنا ـ يجب أن يكون هناك من يحمينى باستمرار ".

أومأ بوارو بلطف وتسامح.

قالت جنفرا بوينتون: " إنه لطيف، وعطوف ـ إنه يحبنى ".

" حقاً؟ ".

قالت بصوت ناعم، ومرة أخرى استشعر بوارو جمالها الملائكى العذب: " أوه ـ نعم. لقد كان ينطق باسمى وهو نائم..... رأيته وهو يرقد هناك يتقلب فى فراشه وينطق باسمى ". انصرفت بعيداً عنه فى هدوء. توقفت: " اعتقدت أنه ربما أرسل فى طلبك؟ فكما تعلم لدى كثير من الأعداء، إنهم يتعقبوننى فى كل مكان، وفى بعض الأحيان يكونون متنكرين ".

قال بوارو بلطف: " نعم، حقاً، ولكنك بأمان هنا مع وجود عائلتك بجوارك ".

اعتدلت فى كبرياء:

" إنهم ليسوا عائلتى! وليس لى أى شأن بهم، ولا أستطيع أن أخبرك من أكون فى الحقيقة! إنه سر كبير، سيدهشك إذا عرفته ".

قال بلطف: " هل كان موت أمك صدمة كبيرة لك يا آنستى؟ ".

ضغطت جنفرا على قدمها بقوة:

" لقد أخبرتك من قبل أنها ليست أمى! فقد دفعها أعدائى لى لكى تتظاهر بذلك، وكما ترى فأنا لم أهرب! ".

" أين كنت عصر اليوم الذى ماتت فيه؟ ".

" كنت فى الخيمة... كان الجو حاراً بها ؛ ولكننى لم أجرؤ على الخروج... فربما يمسكون بى ".... ارتعشت رعشة خفيفه: " أحدهم نظر داخل خيمتى، لقد كان متنكراً ولكنى عرفته، فتظاهرت بأننى نائمة. لقد أرسله " الشيخ»، إنه يريد أن يختطفنى بالطبع ".

سار بوارو لدقائق قليلة دون أن يتكلم ثم قال: " إنها رائعة جدا تلك القصص التى تروينها لنفسك؟ ".

توقفت ثم نظرت له بحدة: " إنها حقيقة ـ جميعها حقيقة " ثم ضغطت على قدمها

بشدة مرة أخرى.

قال بوارو: " بلى إنها خيالية ".

صاحت قائلة: " إنها حقيقة ـ حقيقة... ".

ثم استدارت بغضب وجرت إلى أسفل التل.

وقف بوارو يتتبعها بنظره، وبعد دقيقة أو دقيقتين سمع صوتًا خلفه.

" ماذا قلت لها؟ ".

التفت بوارو إلى الطبيب " جيرار " الذى كان يقف بجواره ويلتقط أنفاسه بصعوبة ـ وكانت سارة قادمة نحوهم، وكانت تخطو بخطى متمهلة.

أجاب بوارو على سؤال جيرار:

" أخبرتها بأنها تخترع بعض القصص الجميلة ".

أومأ الدكتور برأسه متأملا:

" وكانت غاضبة؟ هذه دلالة جيدة، إن ذلك يدل على أنها لم تصل للجنون، إنها لا تزال تعرف أنها ليست الحقيقة، يجب أن أعالجها ".

" أوه، هل ستتحمل مسئولية علاجها؟ ".

" نعم، فقد ناقشت الأمر مع السيدة بوينتون الصغيرة وزوجها، سوف تحضر جنفرا إلى باريس وستدخل إحدى عياداتى هناك، بعد ذلك ستلتحق بتدريبات فى التمثيل المسرحى ".

" التمثيل المسرحى؟ ".

" نعم من المحتمل أن تحقق نجاحاً كبيراً هناك، وهذا ما تحتاجه هى، وما يجب أن تحصل عليه، فهى تمتلك الكثير من صفات والدتها ".

صاحت سارة ثائرة: " لا، لا ".

" قد يبدو هذا مستحيلاً بالنسبة إليك ؛ لكن هناك سمات رئيسيه مشتركة، فكلتاهما ولدت ولديها رغبة كبيرة فى أن تصبح ذات أهميه، كلتاهما تبغى أن تكون لشخصيتها تأثير! هذه الطفلة المسكينة قد لاقت القهر فى جميع مراحل نموها، ولم يُسمح لها بأن تنفث عن طموحاتها القوية، لحبها للحياة ؛ للتعبير عن شخصيتها الرومانسية النشيطة "، ضحك وقال: " لقد تغيرت تماماً ".

ثم انحنى انحناءة قصيرة وغمغم قائلاً: " أستأذنك فى الرحيل؟ "، وأسرع فى

هبوط التل خلف الفتاة.

قالت " سارة ": " إن الطبيب جيرار يهتم بعمله بشدة ".

قال بوارو: " أنا أدرك حرصه هذا ".

قالت سارة بتجهم: " ومع كل هذا ؛ فلا أستطيع تحمل مقارنته لهذه الفتاة بتلك المرأة العجوز الفظيعة، على الرغم من أننى شعرت، لمرة، بالأسف لموت السيدة بوينتون؟ ".

" متى كان هذا يا آنستى؟ ".

" تلك المرة التى أخبرتك بشأنها فى القدس، فلقد شعرت فجأة كما لو أننى أفسدت كل شىء! أتدرى ذلك الشعور الذى يشعر به المرء أحياناً حينما يرى الأمور بشكل خاطئ؟ لقد غضبت بشدة بشأن ذلك واتهمت نفسى بالحماقة! ".

" أوه، ألهذا الحد! ".

بينما كانت سارة تتذكر الحوار الذى دار بينها وبين السيدة بوينتون احمر وجهها خجلاً.

" لقد شعرت حينها بالزهو كما لو كنت فى مهمة! ثم بعد ذلك عندما نظرت ورأيت السيدة "وستهولم " وهى تصوب نظراتها الخبيثة نحوى، وقالت إنها رأتنى أتحدث مع السيدة بوينتون، شعرت بأنها ربما تكون قد سمعت ما دار بيننا، وشعرت وقتها بأنى بلهاء تماماً ".

قال بوارو: " ما الذى قالته لك السيدة بوينتون بالضبط؟ هل تستطيعين تذكر الكلمات؟ ".

" أعتقد ذلك فقد أحدثت لدىّ انطباعاً شديداً ثم قالت: أنا لا أنسى أبداً ـ لا أنسى شيئاً أبداً.. لا حركة ولا اسماً ولا وجهاً. أتذكر ذلك. هذا هو ما قالته ". ارتجفت سارة، ثم قالت: " أشعر، أشعر بأننى حتى الآن أستطيع أن أسمعها... ".

قال بوارو بلطف: " لقد أثرت فيك هذه الكلمات بشدة؟ ".

" نعم، أنا لا أخاف بسهولة عادة، ولكن أحيانا أحلم بها تقول هذه الكلمات وشيطانها ينظر إلىّ نظرات خبيثة بوجه منتصر.أووه! ". ارتعشت رعشة خفيفة ثم التفتت إليه فجأة:

" سيد بوارو ربما لا يجدر بى أن أسال، ولكن هل وصلت لنهاية لهذه المسألة؟ هل وجدت أى شىء محدد؟ ".

" نعم ".

رأى شفتيها ترتعشان وهي تقول: " ماذا؟ ".

" اكتشفت لمن كان يتحدث ريموند فى تلك الليلة فى القدس، لقد كان يتحدث إلى أخته كارول ".

" بالطبع ـ كارول! ".

واصلت: " هل أخبرته ـ هل سألته... ".

" كان هذا بلا فائدة. فهي لا تستطيع الاستمرار فى الحديث ". نظر إليها بوارو فى جدية وتعاطف وقال بهدوء:

" هل يعنى، هل يعنى ذلك الكثير بالنسبة إليك؟ ".

قالت سارة: " إنه يعنى كل شىء ". ثم اعتدلت وقالت: " لكن يجب أن أعرف ".

قال بوارو بهدوء: " أخبرنى أن كل هذا كان مجرد كلام سخيف لا أكثر، وأنه بحلول ضوء النهار بدت له هذه الفكرة كأنها مجرد خيال بالنسبة لهما ".

" فهمت... ".

قال بوارو بلطف: " آنسه سارة، ألن تخبرينى بمخاوفك؟ ".

استدارت له سارة بوجه شاحب يائس:

" ذلك المساء ـ كنا معاً، وتركنى قائلاً إنه يريد أن يفعل شيئاً ما الآن ـ وهو يمتلك قدراً من الشجاعة، اعتقدت فقط أنه يعنى أن يخبرها، ولكن يبدو أنه كان يعنى... ".

اختفى صوتها ووقفت تحاول التحكم فى أعصابها بقوة.

الفصل 13

خرجت نادين بوينتون من الفندق، وبينما كانت فى حالة تردد، اتجه نحوها شخص كان فى انتظارها.

وعلى الفور أضحى السيد جيفرسون بجوار نادين.

" ربما يجدر بنا أن نسير فى هذا الاتجاه؟ أعتقد أنه الأفضل ".

ووافقته.

سارا معًا، وبدأ سيد كوبى فى التحدث وجاءت كلماته واضحة مع قليل من الرتابة، لم يكن من المؤكد إن كان يدرك أن نادين لم تكن تستمع إليه، وعندما اتجها إلى جانب التل المغطى بالصخور والورود قاطعته قائلة:

" جيفرسون، أنا آسفة، يجب أن أتحدث إليك ".

كان وجهها شاحباً.

" بالتأكيد يا عزيزتى ـ أى شىء تحبينه، ولكن لا تزعجى نفسك ".

" أنت أمهر مما أعتقد. أنت تعلم ما أريد أن أقوله، أليس كذالك؟ ".

قال السيد كوبى: " هذا صحيح بلا شك، فإن الأحداث تغير الأمور، أنا أشعر بذلك وفىظل الظروف الحالية يجب أن نعيد التفكير فى القرارات ". تنهد ثم استكمل قائلاً: " يجب عليك أن تستمرى فى الطريق الصحيح يا نادين وأن تفعلى فقط ما تشعرين بأنه الصواب ".

قالت بعاطفه صادقة:» أنت طيب وصبور جداً جيفرسون، أشعر بأننى عاملتك بسوء. لقد كنت وضيعة معك ".

" اسمعينى جيداً يا نادين، دعينا نكون صرحاء، أين حدود علاقتى بك؟ كل ما أريده هو سعادتك، وهذا كل ما كنت أسعى إليه، وعندما أراك غير سعيدة فإن ذلك يدفعنى إلى الجنون، وكنت دوماً ألقى باللوم على لينوكس، لقد شعرت بأنه لا يستحق أن تستمرى معه إذا لم يحرص على منحك ما تستحقينه من سعادة ".

أخذ السيد " كوبى " نفساً وواصل قائلاً:

" إننى أعترف الآن أنه بعد السفر معك الى البتراء، شعرت أن لينوكس ربما لم يكن يستحق اللوم كثيراً مثلما أعتقدت، إنه لم يكن أنانياً معك أو مع أمه، إننى لا أريد أن أتحدث بسوء عمن فى دار الأموات الآن، ولكن أعتقد أن أم زوجك كانت امرأة صعبة المراس ".

غمغمت نادين قائلة: " تستطيع أن تقول ذلك ".

واصل السيد كوبى قائلاً: " على أية حال لقد أتيت إلىّ بالأمس وأخبرتنى أنك قررت بالفعل أن تتركى لينوكس، لقد استحسنت قرارك هذا حينها، فلم تكن الحياة التى تعيشينها سعيدة وهادئة. ولقد كنت أمينة معى، ولم تحاولى أن تتظاهرى آنذاك بأنك كنت مغرمة بى، حسناً، لا بأس. فكل ما كنت أريده منك هو إتاحة الفرصة لى لكى أعتنى بك وأعاملك قدر ما تستحقين، إننى أستطيع أن أقول إن عصر ذلك اليوم كان من أسعد الأوقات التى مرت بى فى حياتى ".

صاحت نادين قائلة: " أنا آسفة، أنا آسفة ".

" لا عليك يا عزيزتى، إننى كنت أشعر طوال الوقت بأن ذلك ليس حقيقة، وشعرت بأنك سوف تغيرين رأيك فى صباح اليوم التالى. حسناً، لقد اختلفت الأمور الآن، فيمكنك أنت ولينوكس أن تعيشا حياتكما الخاصة ".

قالت نادين بهدوء: " نعم، أنا لا أستطيع أن أترك لينوكس، سامحنى من فضلك ".

قال كوبى: " لا يوجد ما يستدعى أن أسامحك عليه، سنعود أنا وأنت إلى ما كنا عليه سابقاً، وسنظل أصدقاء إلى الأبد، وسننسى فقط ما حدث فى عصر ذلك اليوم ".

ربتت نادين بيدها بلطف على ذراعه وقالت: " شكراً لك يا عزيزى جيفرسون، سأذهب لأعثر على لينوكس الآن ".

تركته وعادت، وسار السيد كوبى وحيداً.

وجدت نادين لينوكس جالساً على أحد مدرجات المسرح اليونانى الرومانى. كان مستغرقاً فى التفكير لدرجة أنه لم يلاحظ وجودها حتى جلست وهي تلهث بجواره وقالت: " لينوكس ".

استدار قليلاً وقال: " نادين ".

" ألا ترى أننا لم نتحدث حتى الآن، ولكنك تعلم أننى لن أتتركك، أليس كذالك؟ ".

قال بصوت منخفض: " هل كنت تنوين ذلك حقاً يا نادين؟ ".

أومأت قائلة: " نعم، فكما ترى ـ كان يبدو أنه الشيء الوحيد المتبقي لأفعله، فقد

كنت آمل أن تلحق بى، أوه، لقد كانت مجرد نزوة، ولكنى تصرفت بخسة مع كوبى ".

ضحك لينوكس ضحكه غريبه مفاجئة.

" لا، لست كذلك، فأى شخص غير أنانى مثل كوبى بحاجة لمن يقدر نبله وأخلاقه، ولقد كنت على صواب فيما فعلته. عندما أخبرتنى، بأنك ستذهبين معه، لقد كانت صدمه شديدة! أعتقد أننى أصبحت غريب الأطوار أو شيئًا مثل هذا. لماذا بحق الجحيم لم أترك أمى وأذهب معك عندما طلبت مني أن أفعل ذلك؟ "

قالت بلطف: " لم تستطع يا عزيزى، لم تستطع أن تفعل ".

قال لينوكس بسخرية: " كانت الأم ذات شخصية غريبة إلى أقصى حد... لقد كنا كالمنومين مغناطيسياً ".

شرد لينوكس لدقيقة أو دقيقتين: " عندما أخبرتنى بهذا فى ذلك المساء شعرت وكأنى تلقيت ضربة عنيفة على رأسى أفقدتنى صوابى! عدت وكأنني مصاب بدوار، ثم فجأة اكتشفت كم كنت أحمق! أدركت أن هناك شيئاً واحداً فقط لأفعله إذا أردت الاحتفاظ بك ".

شعرت كأنها تصلبت حين أصبحت نبرته متجهمة.

" ذهبت و..... ".

" لا تقل..... ".

نظر إليها نظرة سريعة.

وتكلم بنبرة مختلفة تماماً، حذره وأقل حدة: " ذهبت وتجادلت معها وأخبرتها بأننى فاضلتُ بينك وبينها وأننى اخترتك ".

سادت برهة من الصمت.

ثم عاد الكلام فى نبرة استحسان:

" نعم ـ هذا ما قلته لها ".

الفصل 14

قابل بوارو شخصين وهو فى طريقه للمنزل. الأول كان السيد جيفرسون كوبى.

" سيد هيركيول بوارو؟ اسمى هو جيفرسون كوبى ".

ثم تصافحا بشكل رسمى.

سار السيد كوبى بجوار السيد بوارو وقال له: " أعتقد أن تلك التحقيقات التى تقوم بها حول وفاة صديقتى العزيزة السيدة بوينتون وكل ما حدث بالطبع كان بمثابة صدمة مروعة، أنت تدرك أنه لم يكن يجدر بالسيدة العجوز أن تقوم بمثل هذه الرحلة المرهقة، ولكنها كانت عنيدة. ولا تستطيع عائلتها أن تفعل أى شىء معها، وقد كانت بطريقة ما طاغية فى إدارة شئون المنزل، وكانت تصر على طريقتها فى المعاملة تلك لفترة طويلة جداً كما أعتقد. وقد كانت أوامرها مطاعة من قبل الجميع، نعم، كان هذا صحيحاً بكل تأكيد ".

ثم توقف لفترة.

" أود فقط أن أخبرك يا سيد بوارو أننى صديق قديم لعائلة "بوينتون " ومن الطبيعى أن يشعر أفراد عائلتها بالحزن والاستياء من جراء الأمر برمته، كما أنهم فى حالة توتر وضغط عصبى شديدين، لذا، إذا كانت هناك أى ترتيبات يجب فعلها ـ مثل الشكليات الضرورية أو الترتيبات من أجل الجنازة أو نقل الجثمان إلى القدس، فإننى على استعداد لفعل أى شىء لتقديم أقصى ما أستطيع من عون، يمكنك أن تطلب منى أى شىء ".

قال بوارو: " أنا متأكد أن العائلة ستقدر عرضك هذا. فكما أعتقد أنت صديق حميم للسيدة بوينتون الشابة الصغيرة.

احمر وجه السيد كوبى قليلاً.

" حسنًا ؛ دعنا نخوض فى هذا كثيراً يا سيد بوارو فلقد سمعت أنه دارت بينك وبين السيدة لينوكس بوينتون محادثة هذا الصباح، وأعتقد أنها ربما ألمحت لك،كيف كانت تسير الأمور بيننا، ولكن كل ذلك انتهى الآن. فالسيدة بوينتون امرأة جميلة جداً، وهى تشعر بأن واجبها الأول هو أن تكون بجوار زوجها فى مأساته هذه ".

سادت فترة من الصمت. كان السيد بوارو يتلقى المعلومات بإيماءات من رأسه ؛ ثم

قال: " إنها رغبة الكولونيل كاربرى فى أن يحصل على تقرير واضح يتعلق بما حدث عصر ذلك اليوم الذى توفيت فيه السيدة بوينتون، هل من الممكن أن تقص علىّ ما حدث عصر ذلك اليوم؟ ".

" بالتأكيد. بعد تناولنا الغداء استرحنا لفترة قصيرة، ثم خرجنا للتنزه فى جولة سريعة، وكنت سعيداً لأننا استطعنا الهروب من ذلك المترجم السيئ، ثم كان لقائى بعد ذلك مع نادين، وبعد ذلك أرادت أن تكون بمفردها مع زوجها لتناقش معه الأمر ؛ وذهبت أنا فى طريقى ؛ إلى المخيم، وفى منتصف الطريق التقيت بسيدتين إنجليزيتين كانتا فى الجولة الصباحية، وكانت إحداهما نبيلة إنجليزية كما فهمت؟ ".

قال بوارو: " هكذا سارت الأمور ".

" حسناً، فهى سيدة جميلة ومفكرة وقوية جداً ومطلعة أيضاً، وبدت الأخرى لى كأنها أخت ضعيفة وهى تفكر فى الموت بضعف، كانت هذه البعثة الصباحية مفيدة جداً بالنسبة للسيدة المسنة، خاصة أنها لا تحب الارتفاعات. حسنًا، كما كنت أقول ؛ قابلت هاتين السيدتين وقمت بإعطائهما بعض المعلومات، ثم أخذنا جولة صغيرة، ثم عدنا الى المعسكر فى حوالى السادسة. وأصرت السيدة وستهولم على تناول الشاى معى، وكنت سعيداً بتناول فنجان من الشاى معها، لقد كان الشاى خفيفاً بعض الشىء لكنه كان ذا نكهة رائعة ؛ثم قادنا الخدم إلى مائدة العشاء وأرسلوا إلى السيدة العجوز على انفراد، فوجدوها ميتة على كرسيها وهى جالسة ".

" هل لاحظتها أثناء مشيك إلى المخيم؟ ".

" نعم لاحظت أنها هناك، لقد كانت هذه جلستها المعتادة فى العصر والمساء ؛ ولكنى لم أهتم بشكل خاص، فكنت أشرح للسيدة وستهولم سبب خمولنا، وكان علىّ أن أراقب السيدة بيرس أيضا، حيث كانت متعبة جداً من ممارسة التمارين لمفصل قدمها ".

" شكراً لك سيد كوبى، هل سأكون أحمق إذا سألتك إذا ما كان للسيدة بوينتون ثروة كبيرة؟ "

" ثروة كبيرة للغاية، يمكن أن أقول ـ صراحة ـ لم تكن ثروتها لتتركها ؛ لقد استمتعت بها فى حياتها، وبوفاتها سوف تقسم بين أبناء إيلمر بوينتون ـ نعم سيكونون جميعاً فى راحة بدونها الآن ".

غمغم بوارو: " النقود تصنع الكثير من الفروق، كم عدد الجرائم التى ارتكبت من أجلها؟ ".

نظر السيد كوبى إليه ببعض الدهشة.

أجاب: " نعم، هذا صحيح ".

ابتسم بوارو فى عذوبة ثم قال:» ولكن هناك دوافع كثيرة جداً للقتل ـ أليس كذلك؟ شكراً لك سيد كوبى لتعاونك ".

قال السيد كوبى: " على الرحب والسعة. هل هذه التى أراها جالسة بأعلى هناك هى السيدة كنج؟ أعتقد أننى سأذهب وأتحدث إليها ".

واصل بوارو نزوله من فوق التل.

قابل السيدة بيرس فى أثناء صعودها.

حيته وهى تلهث بشدة.

" مرحباً سيد بوارو، أنا سعيدة جداً بمقابلتك، تحدثت إلى هذه الفتاه الصغرى غريبة الأطوار ـ أتعلم، كانت تقول أشياء غريبة عن الأعداء وأحد الشيوخ الذى يريد خطفها، وكيف أنه يوجد جواسيس يحاصرونها. حقيقة. يبدو هذا خيالياً للغاية! تقول السيدة وستهولم إن كل هذا بلا معنى ولابد أنها كانت لديها خادمة تختلق مثل هذه الروايات، ولكنى أعتقد أنه فى بعض الأحيان تكون السيدة وستهولم قاسية بعض الشىء، ولكن ربما يكون ذلك صحيحاً، ألا يمكن ذلك يا سيد بوارو؟ فقد قرأت منذ عدة سنوات أن واحدة من بنات القيصر الروسى لم تقتل فى الثورة فى روسيا ولكنها هربت سراً إلى أمريكا، وكانت هى الدوقة العظيمة تاتينا على ما أعتقد. وإذا كان ذلك صحيحاً فربما تكون هذه الفتاة ابنتها، ألا يمكن ذلك؟ فهى ألمحت إلى شيء ملكى، وهى تمتلك ملامح تدل على ذلك، فملامح وجهها سلافية. كم سيكون هذا مثيرا! ".

قال بوارو باختصار: " هذا صحيح، فهناك العديد من الأشياء الغريبة فى الحياة ".

قالت الآنسة بيرس وهى تشبك يديها: " لم أكن أعرف هذا الصباح من تكون أنت، بالطبع أنت المحقق المشهور جداً! لقد قرأت كل ما يتعلق بقضية "ABC " . كانت مثيره للغاية، كنت حينئذٍ أعمل كمربية أطفال بالقرب من دونكاستر ".

غمغم بوارو بشيء ما، ولكن السيدة بيرس واصلت بحماس متزايد:

" هذا ربما ما جعلنى أشعر بأننى كنت مخطئة هذا الصباح، فيجب على المرء أن يروى كل شىء أليس كذلك؟ حتى التفاصيل الصغيرة إن بدت غير متعلقة بالموضوع، وقد تكون السيدة بوينتون المسكينة قتلت بالفعل، لقد وضح لى الأمر الآن، فعلىّ أن أقول أى شىء أعلمه! أفترض أن السيد محمود ـ لا أستطيع تذكر اسمه بالضبط، ولكنه ذلك المترجم، من المحتمل أن يكون عميلاً بلشفياً، أو ربما تكون الآنسة كنج كذلك؟ أعتقد أن العديد من الفتيات اللائى ينتمين إلى عائلات عريقة تجدهن ينتمين إلى هؤلاء الشيوعيين، هذا ما جعلنى أتساءل إذا ما كان يجب علىّ أن أخبرك بما رأيته لأن ذلك ـ كما ترى ـ يبدو غريباً عندما يفكر الشخص فيه ".

قال بوارو: " تماماً، وهكذا فستقصين علىّ ما تعرفينه ".

" ليس لدىّ الكثير لأرويه، ولكنى فى الصباح التالى ليوم الوفاة استيقظت مبكراً ونظرت من خيمتى لأرى منظر شروق الشمس (وبالطبع كان وقت الشروق قد انتهى)، لأن الشمس كانت قد أشرقت قبل أكثر من ساعة) ولكن الوقت كان لا يزال مبكراً..... ".

" نعم ـ نعم ـ وأنت رأيت...؟ ".

" هذا هو الشيء المثير، ولكنه لم يبد ذلك حينذاك، ولكن كل ما حدث هو أننى رأيت ابنة بوينتون تغادر خيمتها وألقت شيئًا ما فى جدول الماء، ولا يوجد شيء حيال ذلك بالطبع، ولكن ذلك الشىء كان يتلألأ بشدة فى ضوء الشمس! ".

" أى واحدة من بنات بوينتون كانت؟ ".

" أعتقد أنها تلك التى تدعى كارول تلك الفتاة الجميلة مثل أخيها، حقيقة ربما يكونان توءمين ـ أو ربما تكون الصغرى بالطبع، فالشمس كانت مسلطة فى عيني، لذلك لم أستطع أن أراها جيداً، ولكنى لا أعتقد أن شعرها كان أحمر، كان برونزيا فقط. أنا معجبة جداً بهذا الشعر البرونزى النحاسى! " ثم ضحكت قائلة: " الشعر الأحمر يذكرنى دائماً بالجزر ".

قال بوارو: " ألقت بشيء ـ شيء لامع متلألئ؟ ".

" نعم، وكما قلت بالطبع لم أفكر فى ذلك كثيراً فى ذلك الوقت، ولكن بعد ذلك سرت بطول الجدول المائى، وكانت السيدة كنج هناك، وبين الأشياء الكثيرة عديمة النفع هناك رأيت صندوقًا معدنياً لامعاً ـ ليس مستطيلاً تماماً، ولكنه طويل ومستطيل ـ إذن فهمت ما أقصده..... ".

" نعم فهمت بالضبط ؛ ولكن ما فائدة ذلك؟ ".

" كم أنت بارع! ولكنى حدثت نفسى بأن هذا ما ألقته ابنة " بوينتون "، ولكنه كان صندوقاً جميلاً وبدافع من الفضول التقطه وفتحته، فكان بداخله نوع من الحقن، نفس الشيء الذى حقنونى به فى ذراعى عندما طعمونى ضد التيفود ـ فكرت كم يبدو هذا غريباً أن يلقوه بعيدا بمثل هذه الطريقة لأنه لا يبدو أنه كان سماً أو ما إلى ذلك، ولكن بمجرد أن بدأت أتساءل سمعت الآنسة كنج تتحدث من خلفى، ولم أسمعها وهى تأتى وقالت: أوه. شكراً لكِ. هذه حقنتى ـ كنت أبحث عنها ـ أعطيتها لها، وعادت بها إلى المخيم ".

توقفت الآنسة بيرس ثم واصلت بسرعة:" وبالطبع اعتقدت أن هذا قد لا يكون شيئاً ذا أهمية، فقط يبدو غريبًا بعض الشيء أن تلقى كارول بوينتون بحقنة الآنسة كنج!

أعني ؛ أن هذا غريب إذا فهمت ما أعنيه، لذا فإننى بالطبع أتوقع أن هناك تفسيراً لما حدث ".

توقفت ونظرت بترقب إلى بوارو.

كان وجهه متجهماً: " شكراً لك آنستى، إن ما أخبرتنى به ربما لا يكون مهماً فى ذاته ؛ ولكنى سأخبرك بشأنه! إنه يُكمل قضيتى! كل شىء واضح ومرتب الآن ".

بدت الآنسة بيرس متحمسة ومسرورة وقالت: " حسناً ؛ حقًا ".

رافقها بوارو إلى الفندق.

عند عودته إلى غرفته أضاف سطراً واحداً إلى مذكرته.

النقطة رقم 1110: " أنا لا أنسى أبدا. تذكرى ذلك. لا أنسى شيئا أبداً..... ".

قال: " صحيح. كل شيء واضح الآن! ".

الفصل 15

قال هيركيول بوارو: " ها قد اكتملت ترتيباتى ".

وبتنهيدة خفيفة خطا للخلف خطوة أو خطوتين ثم تأمل ترتيباته فى غرفة نوم من غرف الفندق الشاغرة.

اتكأ كولونيل كابرى على الفراش الذى تم تحريكه نحو الحائط وابتسم وهو ينفث فى غليونه وقال: " إنك مرح جداً، ألست كذلك يا بوارو؟ تحب أن تصور الأشياء بصورة تمثيلية ".

أجاب المحقق الصغير: " ربما يكون هذا صحيحا. ولكن ذلك ليس نوعًا من الغرور أو السخرية من الآخرين، فإن كان المرء يؤدى مسرحية هزلية، فعليه أن يُعد المكان والديكورات بشكل جيد ".

" هل هذه مسرحية كوميدية؟ "

" حتى إذا كانت مأساوية ـ أيضا يجب أن يكون الديكور المسرحى معداً بشكل لائق ".

نظر إليه الكولونيل كابرى بفضول.

قال: " حسنا، هذا يرجع لك، لا أعلم ما ترمى له. على الرغم من ذلك فأنا أستنتج أنك قد توصلت لشيء ما؟ "

" يجدر بى ويكون لى الفخر أن أقدم لك الحقيقة التى طلبتها منى ".

" هل تعتقد أننا نستطيع أن ندين أحداً؟ "

" لم أعدك بذلك يا صديقى ".

" هذا صحيح. ربما أكون سعيدا أنك لم تفعل ".

قال بوارو: " إن الأدلة والبراهين التى لدىّ تعتمد على الحالة النفسية للأشخاص ".
تنهد الكولونيل كابرى قائلاً: " كنت أخشى أن يكون الأمر كذلك ".

أكد بوارو له: " ولكنها ستقنعك. نعم ستقنعك. أعتقد دائما أن الحقيقة شيء غريب وجميل ".

قال الكولونيل كابرى: وأحيانا تكون غير سارة بالمرة ".

قال بوارو بتلهف: " لا. لا، أنت تأخذها بوجهة نظر شخصية. انظر لها بدلا من ذلك بنظرة مجردة، وجهة نظر منفصلة ومحايدة، سيكون التفسير المطلق للأحداث بعد ذلك ساحرا ومنظما ".

قال الكولونيل: " سأجرب أن أنظر لها بهذه الطريقة ".

نظر بوارو إلى ساعته، ساعة على شكل ثمرة كبيرة غريبة.

" إنها تخص جدى ".

" اعتقدت أنها ربما تكون كذلك ".

قال بوارو: " لقد حان الوقت لكى نبدأ إجراءاتنا، أنت أيها الكولونيل. ستجلس هنا خلف هذه المنضدة بشكل رسمى ".

غمغم الكولونيل: " أوه. حسنا. أنت لا تريدنى أن أرتدى زيى الرسمى، أليس كذلك؟ "

" لا، لا. ولكن إذا سمحت لى أن أضبط رابطة عنقك ". ابتسم الكولونيل مرة أخرى، جلس على المقعد الذى أشار له به، وفى الدقيقة التالية، بدون شعور، لف رابطة عنقه. ناحية أذنه اليسرى مرة أخرى.

واصل بوارو حديثه وهو يغير وضع المقاعد قليلاً: " هنا ستجلس عائلة بوينتون ".

استمر: " وهناك سيجلس الغرباء الثلاثة الذين لهم دور رئيسى فى القضية: الطبيب جيرار الذى تعتمد القضية على أدلته، والآنسة سارة كنج التى تهتم بالقضية من ناحيتين، إحداهما ناحية شخصية والأخرى نابعة من كونها طبيبة، وأيضا السيد جيفرسون كوبى الذى كان على علاقة حميمة مع عائلة بوينتون والذى ربما يوصف تحديدا بأنه جزء مثير فى القضية ".

توقف فجأة: " آه، ها هم أتوا ".

فتح الباب ليفسح مجالا للجميع.

دلف لينوكس بوينتون وزوجته أولا، ثم اتبعه ريموند وكارول. ودخلت جنفرا بمفردها وعلى شفتيها ابتسامة. ودخل جيرار وسارة كنج. وتأخر السيد جيفرسون كوبى لدقائق قليلة وقدم اعتذاره.

عندما اتخذ مجلسه، تقدم بوارو خطوة أو خطوتين للأمام وقال: " السيدات والسادة، هذا تجمع غير رسمى. لقد حدث مصادفة خلال تواجدى فى عمان أن شرفت بطلب

استشارة الكولونيل كابرى لى ـــ ".

تمت مقاطعة بوارو وقد حدثت المقاطعة من الشخص الذى كان يبدو أنه الأقل اهتماما، فقد قال لينوكس بوينتون فجأة وباندفاع:

" لماذا؟ لماذا أقحمت نفسك فى هذا الأمر؟ "

حرك بوارو يده برشاقة: " أنا ـ أنا دائما ما يتم استدعائى فى حالات الموت المفاجئ ".

قال لينوكس بوينتون: " هل يرسل لك الأطباء دائما عندما تكون هناك حالة أزمة قلبية؟ "

قال بوارو فى هدوء: " أزمة قلبية يبدو مصطلحًا غير علمى ".

تنحنح الكولونيل كاربرى، وتحدث بلهجة رسمية.

قال: " من الأفضل توضيح الأمر، فلقد تم إخطارى بملابسات الوفاة، إنه حدث طبيعى للغاية، فالطقس كان حارًا جداً على غير العادة ـ والرحلة كانت مرهقة جداً بالنسبة لامرأة عجوز فى صحة سيئة. كل هذا كان واضحاً وليس فيه ما يبعث على الريبة. ولكن الطبيب جيرار قَدِم إلى وتطور بالحديث ـــ ".

نظر إلى بوارو نظرة تساؤل فأومأ له بوارو.

الطبيب جيرار طبيب متفوق جدا صاحب شهرة عالمية وأى كلام يقوله يجب أن يؤخذ باهتمام، وكان تقرير الطبيب جيرار كالتالى: فى الصباح ـ بعد وفاة السيدة بوينتون لاحظ أن كمية من عقار قوى ذى تأثير على القلب مفقودة من أدواته الطبية. وكان عصر اليوم السابق قد لاحظ اختفاء حقنة تؤخذ تحت الجلد، وعادت الحقنة خلال الليل. النقطة الأخيرة. كان هناك ثقب فى معصم المرأة المتوفاة يشبه أثر الحقنة التى تؤخذ تحت الجلد ".

توقف الكولونيل كابرى.

" فى مثل هذه الأحداث وجدت أنه من واجب أصحاب السلطة أن يتحققوا من هذا الأمر، كان السيد هيركيول بوارو ضيفى، وأقدر بشدة عرضه أن يقدم خدماته الخاصة. وقد أعطيته سلطة كاملة فى عمل أى تحقيقات يطلبها. ونحن مجتمعون هنا الآن لسماع تقريره عن هذا الأمر ".

كان هناك صمت ـ صمت شديد جدا حيث يمكنك أن تسمع ـ كما يقولون ـ رنين الإبرة. فى الواقع أسقط شخص ما حذاءه فى الغرفة المجاورة، وبدا كما لو أنه قنبلة قد أُلقيت فى هذا الجو الساكن.

ألقى بوارو نظرة سريعة على المجموعة المكونة من ثلاثة أشخاص على يمينه، ثم حول نظره إلى المجموعة المكونة من خمسة أشخاص على يساره وهى مجموعة من الأشخاص الذين يملأ الخوف أعينهم.

قال بوارو بهدوء: " عندما حدثنى الكولونيل كابرى عن هذا الأمر ـ أعطيته رأيى كخبير. أخبرته أنه من المحتمل ألا يكون هناك دليل ـ دليل يمكن تقديمه وتقبله المحكمة. ولكنى أخبرته تحديدا أننى متأكد من أننى سأصل إلى الحقيقة ببساطة عن طريق استجواب الأشخاص الذين لهم علاقة بالأمر. دعونى أخبركم يا أصدقائى، لكى نحقق فى جريمة ـ يكون من الضرورى أن تترك الشخص المشكوك به أو مجموعة الأشخاص لكى يتحدثوا، وفى النهاية دائما ما يخبرك بما تريد معرفته! ". توقف عن الحديث ثم أردف قائلاً:

" ولذلك، فى هذه القضية، على الرغم من أنكم كذبتم علىّ، فأنتم أيضا وبدون عمد، أخبرتمونى بالحقيقة ".

سمع أحدهم يتنهد، وسمع صوت تحرك أحد المقاعد على يمينه ولكنه لم يلتفت إليه. واستمر فى النظر إلى عائلة بوينتون.

" أولا. درست احتمال وفاة السيدة بوينتون بطريقة طبيعية، ولكنى رفضت ذلك بسبب الحقنة، وفوق كل هذا فإن سلوك عائلة المتوفاة، أقنعنى أن هذا الافتراض لا يمكن الاعتماد عليه.

لم تقتل السيدة بوينتون بدم بارد فقط، لكن كل فرد عائلتها كان يعلم هذه الحقيقة، باختصار الجميع قد تورطوا فى ذلك.

لكن هناك درجات فى الذنب، فقط فحصت الدليل بحرص لأتحقق إذا ما كانت هناك جريمة قتل، نعم، كانت جريمة قتل ـ قد ارتكبت بواسطة عائلة السيدة العجوز تنفيذا لخطة محددة ".

" أستطيع أن أقول إن هناك دافعاً قوياً. فمن قتلها سيستفيد بشدة من موتها، سواء من الناحية المالية ـ فإنهم سيحصلون جميعا على الاستقلالية المالية وبالفعل سيتمتعون بالثروة، وأيضا من ناحية أنهم سيصبحون أحرارا من الطاغية التى لا يمكن احتمالها.

قررت فى الحال أن نظرية أن يكون هناك خطة محددة ومرتبة ليس لها أساس من الصحة. فالقصص التى سمعتها من عائلة بوينتون لم تتوافق بشكل جيد مع بعضها الآخر، ولم يتم التخطيط لتقديم حجج غياب، والحقائق الموجودة بين أيدينا تشير إلى أنه قد يكون هناك شخص أو ربما اثنان ـ من أفراد العائلة قد تواطأوا لارتكاب الجريمة، وأن الآخرين كانوا مجرد أدوات مساعدة، وبعد ذلك فكرت فيمن يكون هو ذلك الشخص ـ أو الأشخاص ـ الذين تُشير إليهم هذه الحقائق أستطيع أن أقول إننى كنت أشك

بشخص ما بعينه بناء على دليل كان بين يدى وكنت أعلمه أنا فقط ".

قص عليهم " بوارو " ما حدث فى القدس.

" طبيعى أن تكون الإشارة قوية جدا للسيد ريموند بوينتون كمحرك أساسى فى هذه القضية. وبدراسة العائلة، وصلت إلى أن أكثر من يثق بهم هى أخته كارول. فهما يشبهان بعضهما بقوة فى المظهر والمزاج. ويتعاطفان مع بعضهما بشدة، ولديهما نفس المزاج الحاد والروح المتمردة والتى تمكنهما من الإقدام على مثل ذلك التصرف. ولأن دوافعهما كانت إلى حد ما غير أنانية. وهى تحرير العائلة بأكملها وخاصة أختهما الصغرى. فبدا ذلك بالنسبة لهما شيئاً مقبولاً وليس فيه ثمة خطأ ". توقف بوارو، لدقيقة.

فتح ريموند فمه قليلا ثم أغلقه مرة ثانية. نظرت عيناه بثبات إلى بوارو بنوع من الصراع العنيف بداخله.

" وقبل أن أوجه التهمة ضد ريموند بوينتون أحب أن أقرأ عليكم قائمة من النقاط المهمة التى كتبتها وسلمتها للكولونيل كابرى ـ بعد ظهيرة هذا اليوم ".

نقاط مهمة.

كانت السيدة بوينتون تتناول خليطا يحتوى على الديجيتالين.

فقد الدكتور جيرار حقنة تؤخذ تحت الجلد.

كانت السيدة بوينتون تجد متعتها فى بقاء عائلتها بعيدا عن الاستمتاع مع الأشخاص الآخرين والاتصال بهم.

فى عصر هذا اليوم ـ طلبت السيدة بوينتون من عائلتها أن يذهبوا ليتجولوا ويتركوها بمفردها.

السيدة بوينتون صاحبة عقلية سادية.

المسافة بين الصوان والمكان الذى كانت تجلس فيه السيدة بوينتون حوالى مائتى ياردة.

قال السيد لينوكس بوينتون فى البداية إنه لم يكن يعلم الوقت الذى عاد فيه إلى المخيم، ثم اعترف بعد ذلك أنه ضبط ساعة يد والدته على التوقيت الصحيح

كانت خيمة الطبيب تجاوز خيمة الآنسة جنفرا.

فى السادسة والنصف، عندما كان العشاء جاهزا، أعلن أحد الخدم وفاة السيد بوينتون.

تفوهت السيدة بوينتون فى القدس بهذه الكلمات: " أنا لا أنسى أبدا ـ تذكرى ذلك. أنا لا أنسى شيئا أبدا ".

" على الرغم من أننى رقمت هذه النقاط بطريقة منفصلة إلا أنه بالمناسبة يمكن دمج كل نقطتين معاً. فعلى سبيل المثال بالنسبة للنقطتين الأولى والثانية وهما، السيدة بوينتون تتناول مزيجاً يحتوى على الديجيتالين، والدكتور جيرار فقد حقنة تؤخذ تحت الجلد. هاتان النقطتان كانتا أول شيء لفت انتباهى إلى هذه المسألة، وربما أقول لكم إننى وجدت فيهما شيئاً مريباً وغريباً وبهما تناقض، ألا تدركون ما أعنى؟ لا يهم ذلك الآن. سأعود لتلك النقطة حالاً، يكفى أن أقول لكم الآن إننى لاحظت أنه يجب شرح هاتين النقطتين باستفاضة.

وسوف أنهى ذلك بما توصلت إليه من احتمال أن يكون ريموند مذنباً، وهذه هى الحقائق التى توصلت إليها. فلقد سمعته وهو يتحدث عن التخلص من السيدة بوينتون، لقد كان فى حالة إثارة وضغط عصبى شديد، لأنه مر لتوه ـ معذرة يا آنستى ـ ثم انحنى انحاءة تنم عن الاعتذار لسارة ـ بأزمة عاطفية، فلقد وقع فى الحب، وقد تكون دفعته ثورة مشاعره لكى يتصرف بعدة طرق. فإما يشعر بالحب والتفاؤل تجاه العالم بأسره ـ بما فى ذلك زوجة أبيه، وإما أن تواتيه الشجاعة لكى يتخلص من تسلطها ويزعزع نفوذها، وإما أن يتولد لديه الدافع لكى يحول جريمته من النظرية إلى التطبيق. هذا من الناحية النفسية! والآن دعونا نتناول الحقائق.

ترك ريموند بوينتون المخيم مع الآخرين فى حوالى الثالثة والربع. كانت السيدة بوينتون لا تزال حية وبصحة جيدة، وبعد ذلك بفترة قليلة تقابل مع سارة كنج، ثم تركها. وطبقا لما قاله، فإنه عاد إلى المخيم فى السادسة إلا عشر دقائق، وذهب إلى والدته، تبادل معها بعض الكلمات القليلة، ثم ذهب إلى خيمته ونزل بعدها إلى السرادق ـ وقال إنه فى السادسة إلا عشر دقائق كانت السيدة بوينتون لاتزال حية وبصحة جيدة.

ولكننا الآن نصل إلى الحقيقة التى تتناقض مع هذه الأقوال. فقد تم اكتشاف وفاة السيدة بوينتون فى السادسة والنصف بواسطة أحد الخدم. وقد فحصت الجثة الآنسة كنج والتى تحمل درجة طبيبة، وأقسمت تحديدا أنه فى ذلك الوقت ـ على الرغم من أنها لم تعر انتباها خاصا إلى الوقت الذى حدثت فيه الوفاة ـ أن الوفاة حدثت بالتأكيد وعلى نحو حاسم قبل السادسة بساعة على الأقل وربما بفترة أكبر.

لدينا هنا، كما ترون، أقوال متضاربة.

لنضع جانبا احتمال أن تكون الآنسة كنج قد أخطأت ".

قاطعته سارة: " أنا لم أخطئ، وإذا كنت فعلت فكنت سأعترف بذلك ".

كانت نبرتها حادة وواضحة.

أومأ بوارو إليها بأدب.

" إذاً هناك احتمالان فقط: إما أن الآنسة كنج تكذب أو السيد بوينتون هو الذى يكذب! دعونا نتحرى أسباب ريموند بوينتون لفعل ذلك. لنفترض أن السيدة كنج لم تكن مخطئة ولم تتعمد الكذب، ماذا يكون إذا تتابعت الأحداث؟ عاد ريموند بوينتون إلى المخيم، ووجد أمه جالسة عند فتحة الكهف فذهب إليها ووجدها ميتة، ماذا يفعل؟ هل يطلب المساعدة؟ هل يُعلم من فى المخيم جميعهم فى الحال بما حدث؟

لا، انتظر لدقيقة أو دقيقتين، ثم ذهب إلى الخيمة وانضم إلى عائلته فى السرادق ولم يقل شيئا.

يبدو هذا التصرف غريباً جدا. أليس كذلك؟ "

قال ريموند بصوت عصبى حاد: " يبدو هذا أنه حماقة بالطبع، كان يجدر بى أن أريك أن أمى كانت حية وبصحة جيدة كما قلت، فالآنسة كنج كانت مرتبكة وقلقة ووقعت فى خطأ ".

قال بوارو بهدوء شديد: " إن المرء ليتساءل ـ إذا ما كان هناك سبب وراء هذا التصرف؟ يبدو، من الظاهر، أن ريموند بوينتون لا يمكن أن يكون مذنبا ـ حيث إنه فى الوقت الذى اقترب فيه من والدته فى ظهر هذا اليوم. كانت بالفعل قد توفيت منذ فترة، والآن لنفترض أن ريموند بوينتون بريء ـ هل يمكن أن نشرح سلوكه؟

وكما قلت على افتراض أنه برىء، نستطيع تفسير ذلك السلوك الغريب! بالنسبة إلى فأنا أتذكر هذا الجزء من الحوار الذى سمعته وهو " ألا توافقينى فى أنه يجب أن تقتل؟ " لقد عاد من جولته. وفى الحال صور له عقله أن هناك احتمالاً ما، فلقد تم تنفيذ الخطة، ولكنه لم يكن هو الذى نفذها ـ ولكن نفذتها من شاركته التخطيط لقتلها، فلقد شك فى أن تكون أخته، كارول بوينتون، هى من أقدمت على ذلك ".

قال ريموند بصوت مرتعد منخفض: " هذا كذب ".

واصل بوارو: " دعونا الآن نناقش احتمال أن تكون كارول ربما تكون هى القاتلة، ما هو الدليل الموجه ضدها؟ إن كارول لها نفس الطباع الحادة ـ وهى الطباع التى قد تهيئ لها أن الإقدام على مثل هذا العمل بمثابة نوع من أنواع البطولة. كانت هى من تحدث له ريموند بوينتون فى القدس. عادت كارول بوينتون إلى المعسكر الساعة الخامسة وعشر دقائق، طبقا لروايتها، فقد ذهبت وتحدثت إلى أمها، لم يرها أحد وهى تفعل ذلك ـ فالمعسكر كان خاليا، وكانت كل من الليدى وستهولم، الآنسة بيرس والسيد كوبى يستكشفون الكهوف خارج المخيم، لم يكن هناك شاهد على احتمال ما يمكن أن تكون أقدمت عليه كارول بوينتون توقف، ورفعت كارول رأسها ـ كانت عيناها تنظران له بثبات وبأس.

" هناك شيء آخر. ففى الصباح التالى، وفى وقت مبكرا جدا، شوهدت كارول بوينتون، وهى ترمى شيئا ما فى الجدول المائى، هناك سبب. لنعتقد أن هذا الشيء كان الحقنة التى تحقن تحت الجلد ".

نظر الدكتور جيرار بدهشة: " ولكن هناك تعليقًا؟ فالحقنة أُعيدت إلى مكانها مرة أخرى، نعم، حقا. إنها معى الآن ".

أومأ بوارو بحماس: " نعم، حقا. هذه الحقنة الثانية. إنه لشىء غريب ومثير فى ذات الوقت. لقد علمت أن هذه الحقنة تخص السيدة كنج أليس كذلك؟ "

توقفت سارة لجزء من الثانية.

تحدثت كارول بسرعة: " إنها ليست حقنة السيدة كنج، إنها تخصنى ".

" إذن، فأنت تعترفين بإلقائها، يا آنستى؟ "

ترددت لثانية: " نعم بالطبع، ولماذا لا أفعل؟ "

" كارول! إنها تخص نادين ". انحنت للإمام، اتسعت عيناها وبدا فيها حزن وقالت: " كارول، أوه أنا لا أفهم ".

استدارت كارول ونظرت إليها، كان هناك شيء عدائى فى نظرتها.

" لا يوجد ما يستحق كل هذا العناء! ألقيت حقنة قديمة. أنا لم ألمس السم أبدا ".

اندفعت سارة: صحيح تماما ما قالته السيدة بيرس سيد بوارو. كانت حقنتى ".

ابتسم بوارو:

" مسألة الحقنة هذه مربكة جدًا، ولكن يمكن تفسيرها. آه ـ حسنا ـ لدينا الآن مسألتان، مسألة براءة ريموند بوينتون ومسألة إدانة أخته كارول. ولكن بالنسبة لى فأنا أحاول أن أكون عادلاً، ودائما ما أنظر لكلا الاحتمالين، إذن فدعونا نتناول كيف كانت ستسير الأمور فى حالة إذا ما كانت كارول بوينتون بريئة ".

" عادت إلى المخيم، ذهبت إلى زوجة أبيها، ووجدتها هل نقول ـ ميتة! ما هو أول أمر ستفكر فيه؟ ستشك أن أخاها ريموند ربما يكون قتلها. لا تعرف ما تفعله، لذلك لم تقل شيئا. وبعد مرور ساعة عاد ريموند بوينتون، ومن المفترض أنه تحدث إلى والدته، وقال إن كل شيء على ما يرام ـ ألن تعتقد أن شكوكها حينئذٍ أصبحت أكيدة؟ ربما ذهبت إلى خيمته ووجدت هناك الحقنة ثم، تأكدت بالفعل من شكوكها! فأخذتها بسرعة وأخفتها، ثم فى الصباح الباكر ألقتها بعيدا قدر استطاعتها؟

هناك شيء آخر يبين أن كارول بوينتون بريئة، أكدت لى عندما سألتها إذا ما

كانت هى وأخوها لم يفكرا بجدية أبدا أن ينفذا خطتهما. وطلبت منها أن تقسم وأقسمت فى الحال وبأغلظ الأيمان أنها لم تقترف الجريمة! أترون. هذه هى الطريقة التى قامت بها، لم تقسم أنهما ليسا مذنبين ـ أقسمت لنفسها ـ وليس لأخيها ـ واعتقدت أننى لن أبدى اهتماما خاصا بضمير المتكلم الذى استخدمته.

هذا ما يتعلق بمسألة براءة كارول بوينتون والآن دعونا نرجع خطوة للخلف. وننحى جانباً مسألة براءة ريموند، ولكى نتناول احتمال أن يكون ريموند مذنبا دعونا نفترض أن كارول تقول الحقيقة، وهى أن السيدة بوينتون كانت على قيد الحياة فى الخامسة وعشر دقائق، إذن كيف يمكن أن يكون ريموند مذنبا. يمكن أن نفترض أنه قتل والدته فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق ـ عندما ذهب ليتحدث معها. كان هناك خدم منتشرون حول المخيم ـ ولكن كان الضوء خافتا، ولكن إذا افترضنا ذلك تكون السيدة كنج كذبت فيما قالته! أتذكرون، لقد عادت إلى المخيم بعد خمس دقائق فقط من عودة ريموند، ومن هذه المسافة ـ يمكنها أن تراه وهو يذهب إلى أمه. ثم بعد ذلك عندما أعلنوا عن موتها، أدركت السيدة كنج أن ريموند قتلها، ولإنقاذه ـ كذبت بشأن التوقيت الذى توفيت فيه السيدة بوينتون، فهى تعلم أن الدكتور جيرار مصاب بالحمى ولا يستطيع أن يكشف أمر كذبها.

قالت سارة بوضوح: " أنا لم أكذب ".

" هناك إذن احتمال آخر. فكما قلت من قبل، إن الآنسة كنج وصلت إلى المخيم بعد دقائق قليلة من وصول ريموند، فإذا كان ريموند قد وجد أمه لاتزال حية، ربما يعنى هذا أن السيدة كنج هى من أعطت الحقنة المميته، معتقدة أن السيدة بوينتون منبع الشر ورأت نفسها على أنها المخلِّص. وهذا يفسر كذبها حيال وقت الوفاة ".

شحب وجه سارة للغاية، وتحدثت بصوت خفيض.

" حقيقة أننى تحدثت عن هذه السيدة كثيراً وعن صفاتها السيئة التى لا يتحملها أحد، ولكنى أستطيع أن أقسم لكم أننى لم أؤذ أبدا هذه السيدة العجوز المثيرة للاشمئزاز، أو أن تكون فكرة فعل ذلك خطرت فى ذهنى من أساس ".

قال بوارو فى هدوء: " إذن، فإن أحدكم لابد أن يكون كاذبا ".

تحرك ريموند بوينتون فى مقعده وصاح باندفاع: " لقد ربحت سيد بوارو! أنا الكاذب، كانت أمى قد توفيت عندما ذهبت إليها. لقد صدمت، فكنت ذاهبا، كما تعلم لأنهى كل شىء، وأقول لها إننى منذ الآن أصبحت حراً ولن أخضع لسيطرتها، ولكنى وجدتها ـ قد ماتت. يدها باردة ومترهلة. اعتقدت أنها ربما تكون كارول هى من فعلت ذلك، فقد كانت هناك علامة على معصمها ".

قال بوارو بسرعة: " هذه هى النقطة الوحيدة التى لم أعرفها. ماذا كانت الطريقة

التى كنتم تريدون استخدامها مع السيدة بوينتون؟ فلديك طريقة، وكانت متعلقة بالحقنة التى تؤخذ تحت الجلد. أعلم هذا جيدا. إذا كنت تريدنى أن أصدقك يجب أن تخبرنى بالباقى ".

قال ريموند بسرعة: " كانت طريقة قرأتها فى إحدى القصص وهى قصة بوليسية إنجليزية، حيث تقوم بغرز حقنة فارغة تحت الجلد. بدا ذلك علميا تماما. أنا اعتقدت أنه ربما يمكننا أن نفعل ذلك بهذه الطريقة ولن يكتشف أحد ذلك أبداً ".

قال بوارو: " آه فهمت، وأنت اشتريت الحقنة؟ "

" لا ـ فى الحقيقة سرقت حقنة نادين ".

نظر إليها بوارو بسرعة وقال: " الحقنة التى كانت فى حقائبك فى القدس ".

شحب وجه السيدة الشابة قليلاً وغمغمت: " أنا ـ أنا لم أكن متأكدة ممن أخذها وماذا فعل بها ".

غمغم بوارو: " أنت فطنة وذكية يا سيدتى ".

الفصل 16

سادت فترة من الصمت، ثم تنحنح بعدها بوارو وواصل حديثه بصوت هادئ قائلاً:

" أعتقد الآن أننى قمت بحل الغموض الذى كان يكتنف ما أطلقت عليه مصطلح الحقنة الثانية، الخاصة بالسيدة نادين والتى أخذها ريموند بوينتون قبل مغادرة القدس، وأخذت من ريموند بواسطة كارول بعد اكتشاف موت السيدة بوينتون، وبعد ذلك قامت كارول بالتخلص منها بإلقائها، عثرت عليها الآنسة بيرس وادعت السيدة كنج أنها تخصها، وأعتقد أنها لدى السيدة كنج الآن ".

قالت سارة: " إنها معى بالفعل ".

طبقا لذلك، عندما قلت إنها ملكك الآن، فأنت فعلت ما أخبرتنا أنك لم تفعليه، فلقد كذبت ".

قالت سارة: " هذا نوع مختلف من الكذب. إنها ليست مقصودة ".

أومأ جيرار بإعجاب.

" نعم، هذه وجهة نظر سليمة، إننى أفهمك تماماً يا آنستى ".

قالت سارة: " شكرا ".

تنحنح " بوارو " مرة أخرى وقال:

دعونا نراجع الآن جدول المواعيد الذى لدينا.

(3.5 تقريباً)	غادرت عائلة بوينتون وجيفرسون المخيم
(3.15)	غادر الطبيب جيرار و سارة كنج المعسكر
(4.15)	غادرت السيدة وستهولم والآنسة بيرس المعسكر
(4.20 تقريباً)	عاد الدكتور جيرار إلى المعسكر
(4.35)	عاد لينوكس بوينتون إلى المعسكر

(4.40)	عادت نادين بوينتون إلى المعسكر وتحدثت مع السيدة بوينتون
(4.50 تقريباً)	تركت نادين بوينتون حماتها وذهبت إلى الصوان
(5.10)	عادت كارول بوينتون إلى المعسكر
(5.40)	عادت السيدة وستهولم والآنسة بيرس والسيد كوبى للمعسكر
(5.50)	عاد ريموند بوينتون إلى المعسكر
(6.00)	عادت سارة كنج إلى المعسكر
(6.30)	تم اكتشاف الجثة

" إن هناك عشرين دقيقة ضائعة بين مغادرة نادين حماتها فى الرابعة وخمسين دقيقة وعودة كارول فى الخامسة وعشر دقائق وذلك إذا كانت كارول تقول الحقيقة، فهذا معناه أن السيدة بوينتون قتلت أثناء هذه العشرين دقيقة ".

" الآن من قتلها؟ فى هذا الوقت كانت الآنسة كنج والسيد ريموند معا. والسيد كوبى الذى لم تكن لديه أى دوافع لقتلها كان فى مكان آخر عند ارتكاب الجريمة، حيث كان مع السيدة وستهولم والسيدة بيرس، وكان لينوكس بوينتون مع زوجته فى الصوان وكان الطبيب جيرار يعانى من الحمى فى خيمته، وكان المعسكر مهجورا. فالخدم كانوا جميعهم نائمين. وهو الوقت المناسب لارتكاب الجريمة! فهل كان هناك شخص استطاع أن يرتكبها فى ذلك الوقت؟ "

وجه نظره نحو جنفرا بوينتون.

" هناك شخص واحد، فجنفرا بوينتون كانت فى خيمتها عصر ذلك اليوم، هذا ما نعلمه، ولكن فى الحقيقة هناك دليل على أنها لم تكن فى خيمتها طوال الوقت، فقد أبدت جنفرا بوينتون ملحوظة مهمة، فقد قالت إن الدكتور جيرار كان ينطق اسمها وهو فى الحمى، وأخبرنا الدكتور جيرار أيضا أنه حلم أثناء الحمى بوجه جنفر بوينتون، ولكن لم يكن حلما! كان ذلك وجهها بالفعل الذى رآه يقف هناك بجوار فراشه، وأعتقد أن ذلك كان بسبب الحمى، ولكنها كانت حقيقة. كانت جنفرا فى خيمة الدكتور جيرار أليس من المحتمل أنها ذهبت لتعيد الحقنة بعد استخدامها؟ ".

رفعت جنفرا بوينتون رأسها الذى يتوجه شعرها الأحمر الذهبى، وحدقت بعينيها

الواسعتين الجميلتين نحو بوارو

كانت عيناها خاليتين من أى تعبيرات، وبدت أشبه بملاك غامض.

صاح الدكتور جيرار قائلا: " آه ـ هى لا ".

قال بوارو: " هل ذلك مستحيل من الناحية النفسية؟ ".

أخفض الرجل الفرنسى عينيه

قالت نادين بوينتون بحدة: " هذا مستحيل تماما! "

نظر إليها بوارو بسرعة قائلا:

" مستحيل يا سيدتى؟ ".

قالت: " نعم "، توقفت عن الحديث للحظة. عضت على شفتيها ثم واصلت: " لن أستمع إلى هذه الاتهامات الكريهة ضد أخت زوجى الصغرى ـ نحن جميعنا نعرف أن هذا مستحيل ".

تحركت جنفرا قليلا فى مقعدها وكشف فمها عن ابتسامة ـ ابتسامة مؤثرة ـ بريئة غير مدركة تماما لما يحدث بالنسبة لفتاة صغيرة جدا.

قالت نادين مرة أخرى: " مستحيل ".

تحول وجهها اللطيف واكتسى بالتصميم والحزم فالأعين التى التفتت إلى بوارو كانت قاسية وجريئة.

انحنى بوارو إلى الأمام.

وقال: " إن السيدة ذكية للغاية ".

قالت نادين بهدوء: " ماذا تعنى بذلك سيد بوارو؟ "

" أعنى يا سيدتى أنه طوال الوقت، كنت أدرك أنك تمتلكين ما أعتقد أنه يسمى ذكاء خارقًا ".

" أنت تتملقنى ".

" لا أعتقد ذلك. فقد تصورت الموقف بهدوء ومنذ البداية، فالظاهر أنك ظللت على علاقة جيدة مع حماتك معتبرة أنه أفضل شيء يمكن فعله ـ لكن من داخلك فقد حكمت عليها وأدنتها. أعتقد أنه منذ فترة مضت، أدركت أن الفرصة الوحيدة لسعادة زوجك هى أن يبذل جهدا لترك المنزل، وذلك من خلال الضغط عليه ولا يهم مدى صعوبة وما ستكون عليه هذه الحياة. كنت راغبة فى تحمل كل المخاطر وحاولت

التأثير عليه ليقوم بتلك المحاولة. ولكنك فشلت يا سيدتى. فلينوكس بوينتون لم تعد لديه الرغبة فى الحرية. كان غارقاً فى حالة من الحزن والكآبة.

الآن ليس لدىّ شك على الإطلاق يا سيدتى فى أنك تحبين زوجك، وقرارك أن تتركيه لم يكن مدفوعاً بحب كبير لشخص آخر " كان فى اعتقادى مجرد مغامرة يائسة حاولت تنفيذها كأمل أخير ". امرأة فى مكانك تستطيع أن تحاول تجربة ثلاثة أشياء فقط. تَستطيع أن تحاول الرجاء، وهذا فشل كما قلت، وتستطيع أن تهدد بالرحيل، وهذا ممكن إلا أن التهديد ربما لم يحرك لينوكس بوينتون بل إنه ربما يكون قد دفعه بصورة أكبر للإغراق فى اليأس، ولكنه لن يجعله يثور. وكانت هناك مغامرة يائسة أخيرة وهى أن تهربى مع شخص آخر، فالغيرة وغريزة الامتلاك واحدة من الغرائز الأساسية الأكثر تعمقاً فى الرجل. وقد أظهرت حكمتك فى محاولتك الوصول لهذه الغريزة المتأصلة. وإذا كان لينوكس بوينتون سيتركك تذهبين مع شخص آخر ودون أن يبدى أى مقاومة، فهو يختلف عن باقى البشر، وعندئذ ستحاولين أن تتناسى ذلك، وتبدئى حياتك من جديد.

ولكن دعينا نفترض أن هذه المحاولة الأخيرة قد فشلت أيضاً. وكان زوجك مضطرباً بشكل مخيف حيال قرارك، ولكنه على الرغم من ذلك، لم يتصرف كما توقعت كرجل بدائى سيطرت عليه غريزة الغيرة. إذن هل كان هناك أى شيء على الإطلاق يستطيع أن ينقذ زوجك من حالته تلك؟ إنه شيء واحد فقط، إذا ماتت حماتك، ربما لم يكن الأوان قد فات بعد، ربما يكون قادراً على أن يبدأ حياة جديدة كرجل حر، مستقل بذاته وبحياته مع زوجته ".

توقف بوارو ثم أردف قائلاً: " إذا ماتت حماتك... ".

عندئذٍ كانت لا تزال عينا نادين مثبتتين عليه، وبنبرة هادئة ثابتة قالت: " أنت تعتقد أننى ساعدت فى قتلها، أليس كذلك؟ ولكنك لا تستطيع فعل ذلك سيد بوارو، فبعدما أخطرت السيدة بوينتون بعزمى على الرحيل، ذهبت إلى الصوان وانضممت إلى لينوكس، ولم أغادر مرة أخرى حتى علمنا بوفاة حماتى. ربما أكون قد شعرت بالذنب تجاه رحيلها، لأننى قد أحدثت لها صدمة بقرارى، ولكن كما تقول أنت!

إنها قُتلت عن عمد، على الرغم من أنك ليس لديك دليل على ذلك حتى يتم تشريح الجثة، فأنا ليس لدى وقت وفرصة لأفعل ذلك ".

قال " بوارو ": " إنك لم تغادرى الصوان مرة أخرى حتى تم اكتشاف وفاة حماتك، هذا ما تفوهت به لتوك، وهو يا سيدة بوينتون، إحدى النقاط التى أجدها غريبة بشأن هذه القضية ".

" ماذا تعنى بذلك؟ "

" إنها هنا فى قائمتى. النقطة التاسعة. فى السادسة والنصف عندما كان العشاء معداً أرسل خادم ليخطر السيدة بوينتون.

قال ريموند: " أنا لا أفهم ما تقصد "!

قالت كارول: " وأنا كذلك ".

نظر بوارو إلى أحدهما ثم إلى الآخر.

" أنتما لا تفهمان، حقًا؟ لقد تم إرسال أحد الخدم ليخبر السيدة بوينتون بأن العشاء قد تم إعداده، ولكن لماذا تم إرسال خادم؟ ".

ألستم جميعاً تكونون دائماً بجانب السيدة العجوز كقاعدة عامة؟ ألا يرافقها أحدكم دائماً لتناول الوجبات؟ لقد كانت عاجزة، وكان من الصعب عليها أن تنهض من مقعدها دون مساعدة. ومن الطبيعى أن يذهب لها واحد منكم أو أكثر ويساعدها ويصطحبها لتناول العشاء، لكن لم يفعل أحدكم هذا! بل جلستم جميعكم هناك وكأنه قد أصابكم الشلل، وتشاهدون بعضكم ـ تتساءلون، ربما، لماذا لم يذهب أحد؟ ".

قالت نادين بحدة: " كل هذا سخيف سيد بوارو كنا جميعاً متعبين ذلك المساء، أنا أعترف أنه كان يجدر بنا الذهاب لكن فى هذا المساء فقط لم نفعل! "

" تمامًا، فى هذا المساء بالذات! فأنت يا سيدتى كنت دائمًا بجوارها، ربما أكثر من أى شخص آخر، فقد كان أحد واجباتك التى قبلتها بتلقائية، ولكن فى هذا المساء لم تعرضى أن تذهبى لمساعدتها، لماذا؟ هذا ما سألته لنفسى، لماذا؟ وأنا سأخبرك الإجابة، لأنك تعلمنين تماماً أنها كانت ميتة ".

رفع يده بغضب: " لا، لا تقاطعينى يا سيدتى ".

" ستستمعين لى الآن ـ أنا هيركيول بوارو. كان هناك شاهدتان على حوارك مع حماتك، شاهدتان كانتا تريانك ولكنهما لم تستطيعا سماعك! وهما: السيدة وستهولم والآنسة بيرس. لقد كانتا بعيدتين عنك. وتريانك بوضوح وأنت تتحادثين مع حماتك، إذا كنت قررت فى حالة هدوئك وطريقتك غير المتسرعة، التخلص من حماتك، فإنك ستنفذين ذلك بذكاء وحرص.

لقد دخلت إلى خيمة الدكتور جيرار أثناء غيابه وهو يتنزه فى الصباح، وكنت متأكدة أنك ستجدين العقار المناسب، وساعدك على ذلك التدريبات على التمريض التى درستها من قبل، واخترت الديجيتوكسين ـ نفس نوع العقار الذى تأخذه السيدة العجوز، وأخذت أيضًا حقنة للحقن تحت الجلد، حيث إن حقنتك اختفت، وأملت أن تعيدى الحقنة قبل أن يكتشف الدكتور اختفاءها.

قبل أن تستمرى فى تنفيذ خطتك، قمت بمحاولة أخيرة لتحريض زوجك لعمل

شيء ما. أخبرته عن نيتك فى أن تتزوجى جيفرسون كوبى، وعلى الرغم من أن زوجك كان قلقا بطريقة فظيعة، إلا أنه لم يقاوم كما أملت ذلك! فعزمت على تنفيذ خطتك. عدت إلى المعسكر وتبادلت حواراً طبيعياً لطيفاً مع السيدة وستهولم والآنسة بيرس بينما كنت تمرين بجوارهما، ثم ذهبت إلى المكان الذى كانت تجلس فيه حماتك. كانت الحقنة بيدك وبداخلها العقار، وكان من السهل أن تمسكى يدها بمهارة كما كنت فى تدريباتك التمريضية، وغرزت سن الحقنة، لقد حدث كل هذا قبل أن تدرك حماتك ما تفعلينه، ولقد شاهدك الآخرون تتحدثين معها فقط، ثم ذهبت عمداً وأخذت مقعداً وجلست هناك بوضوح ودخلت معها فى حوار ودى لعدة دقائق، بينما كانت الوفاة قد حدثت فى الحال. كانت سيدة عجوزاً ميتة تلك التى جلست وتحدثت إليها، لكن من يستطيع أن يخمن ذلك؟ ثم وضعت الكرسى جانباً وذهبت إلى حيث وجدت زوجك هناك يقرأ، وكنت حريصة ألا تغادرى المظلة! كنت متأكدة من أن السيدة بوينتون قد ماتت، وسيعتقد الجميع أن سبب ذلك مشاكل بالقلب، شيء واحد فقط أعاق خطتك، فلم تستطيعى أن تعيدى الحقنة إلى خيمة الدكتور جيرار لأن الدكتور كان هناك يعانى من الملاريا، وعلى الرغم من أنك لم تعلمى ذلك إلا أنه بالفعل اكتشف اختفاء الحقنة، وهذا يا آنستى كان الخطأ فى جريمتك التامة ".

كان هناك صمت، لحظات من السكون الرهيب، ثم هب لينوكس بوينتون وصاح: " لا، هذا كذب، لا تستطيع أن تفعل شيئا، كانت أمى بالفعل قد ماتت ".

نظر إليه بوارو: " أوه؟ إذن بعد كل ذلك كنت أنت من قتلها ".

توقف للحظات، ثم سقط على كرسيه مرة أخرى ورفع يديه وهما ترتعشان.

" نعم، هذا صحيح، أنا قاتلها ".

" أأنت من أخذت عقار الديجيتوكسين من خيمة الطبيب جيرار؟ ".

" نعم ".

" متى؟ ".

" مثلما، مثلما قلت ـ فى الصباح ".

" والحقنة؟ ".

" الحقنة؟ نعم ".

" لماذا قتلتها؟ ".

" تستطيع أن تسأل... ".

" أنا أسألك سيد بوينتون؟ ".

" لكنك تعلم، كانت زوجتى ستتركنى، وتذهب مع كوبى ".

" نعم، لكنك علمت ذلك فقط بعد الظهيرة ".

نظر إليه لينوكس وقال: " بالطبع، عندما كنا فى الخارج.... ".

" لكنك أخذت السم والحقنة فى الصباح ـ قبل أن تعلم؟ ".

" لماذا، بحق الجحيم، تزعجنى بكل هذه الأسئلة؟ توقف ومرر يديه المرتعدتين على جبينه، " ماذا يهم فى ذلك على أية حال؟ ".

" هذا يشكل فارقاً كبيراً، أنصحك، يا سيد بوينتون أن تخبرنى الحقيقة ".

نظر لينوكس إليه وقال: " الحقيقة؟ ".

ثم قال فجأة: " سأفعل، لكن لا أعلم إذا ما كنت تصدقنى أم لا ". وأخذ نفساً عميقاً ثم قال: " عندما تركت نادين كنت محطماً تماماً. لم أعتقد مطلقاً أنها ربما ستتركنى وتذهب لشخص آخر. كنت، كنت تقريباً فى حالة جنون! وشعرت كما لو أننى قد سقطت فى هوة سحيقة ".

أومأ بوارو وقال: " لاحظت وصف السيدة وستهولم لحالتك عندما مررت بجوارها، وهذا ما جعلنى أعرف أن زوجتك لم تكن تقول الحقيقة، عندما قالت إنها أخبرتك بعدما عدتما معاً إلى المخيم. أكمل سيد بوينتون ".

" لم أكن أعلم ما أفعله... لكن عندما اقتربت، زالت الغشاوة من عينى، وخطر ببالى أننى أنا المسئول عن كل هذا، وشعرت كأننى أتعس المخلوقات على وجه الأرض! يجب علىّ أن أتحدى زوجة أبى وأمحو آثار سنين مضت. واعتقدت أنه ربما لم يكن الوقت قد فات بعد.

كانت تجلس هناك، تلك الشيطانة العجوز، تجلس مثل صنم بنى فى مواجهة الأجرف الحمراء، ذهبت إليها مباشرة لأنهى ذلك معها. أعنى أن أخبرها فقط بما فكرت فيه، ولأخبرها بأننى تحررت من سيطرتها وأننى قد أهرب ذلك المساء مع نادين، ونذهب بعيداً بقدر ما نستطيع، ولكننى اجتاحتنى أفكار عاصفة ".

" عجباً، لينوكس يا عزيزى.. ".

كانت هناك تنهيدة طويلة.

واصل قائلاً: " ثم، يا إلهى! يا من تفضلت علىّ بفضلك! لقد كانت ميتة، تجلس هناك، ميتة، أنا.. لم أدر ماذا أفعل ـ كنت ـ مذهولاً، لقد احتبس بداخلى كل ما كنت أود أن أقول لها. ولكنى تحولت إلى قطعة من الحجر. هذا ما شعرت به.. وبتلقائية فعلت شيئاً، فقط التقطتُ ساعتها من حجرها، ووضعتها حول معصمها البارد الذى قد

فارقته الحياة ".

ارتجف وهو يقول: " يا إلهى! كان هذا مرعبًا.. ثم نزلت لأسفل وذهبت إلى المظلة. كان يجدر بى أن أخبر أى شخص، ولكنى لم أستطع، جلست هناك فقط. أقلب الصفحات وأنتظر.... ".

توقف عن الحديث، ثم قال:

" لن تصدقوا ذلك. لن تستطيعوا. لماذا لم أخبر أى شخص؟ أخبر نادين؟ لا أدرى ".

تنحنح الدكتور جيرار.

وقال: " كلامك معقول تماماً يا سيد بوينتون، كنت فى حالة عصبية سيئة، فهاتان الصدمتان اللتان تلقيتهما كانتا كافيتين جداً لوضعك فى الحالة التى وصفتها، هذا رد فعل يسمى رد فعل " فايزنهاتر " ـ ويتمثل ذلك فى حالة العصفور الذى يحطم رأسه فى زجاج النافذة. وحتى بعد شفاء المريض، تجده يحجم عن القيام بأى فعل، فإنه يستغرق وقتًا حتى يتم إعادة المراكز العصبية إلى وضعها الصحيح. إننى لا أستطيع أن أعبر عما أقوله جيداً باللغة الإنجليزية، ولكن كل ما أعنيه هو: إنك لم تكن لتستطيع أن تتصرف بأى طريقة أخرى، أو تتخذ أى رد فعل آخر يختلف عن ذلك. أى عمل حاسم من أى نوع يكون مستحيلاً بالنسبة لك! فقد مررت بفترة من الشلل العقلى ". واستدار إلى بوارو.

" أؤكد لك يا صديقى أن هذا ما حدث! "

قال بوارو: " يا إلهى!، أنا لا أشك فى ذلك، هناك حقيقة صغيرة لاحظتها الآن. حقيقة أن السيد بوينتون وضع ساعة يد أمه فى معصمها، وهذا يحمل تفسيرين: إما كان ذلك قد تم لإخفاء مكان غرز الحقنة، وإما أن السيدة نادين قد لاحظته وأساءت فهمه للموت الحقيقى. فقد عادت بعد خمس دقائق فقط من عودة زوجها، لذلك يجب أن تكون قد رأت ما حدث. وعندما ذهبت إلى حماتها ووجدتها ميتة مع وجود علامة إدخال الحقنة فى معصمها فإنها استنتجت بسرعة أن زوجها ارتكب ذلك، وذلك كرد فعل لما قالته من أنها ستتركه. باختصار، نادين بوينتون اعتقدت أنها هى التى ألهمت زوجها بارتكاب جريمة القتل هذه ".

نظر إلى نادين: " أليس هذا صحيحاً، يا سيدتى ".

أحنت رأسها، ثم سألته: " هل كنت تشك بى حقًا يا سيد بوارو؟ ".

" أعتقدت أنه من المحتمل أن تفعلى ذلك يا سيدتى ".

انحنت للأمام:

" والآن؟ ما الذى حدث فى الحقيقة، سيد بوارو؟ ".

الفصل 17

كرر بوارو عبارتها: " ما الذى حدث فى الحقيقة؟ ".

سحب مقعداً وجلس، وكانت طريقته الآن ودودة وغير رسمية.

" هذا سؤال، أليس كذلك؟ بالنسبة لعقار الديجيتوكسين الذى سرق. والحقنة التى اختفت كانت هناك علامة بالفعل لحقنة تحت الجلد على معصم السيدة بوينتون.

حقيقة أنه بعد مرور بضعة أيام قليلة، سنعرف على وجه التحديد ـ أى بعد تشريح الجثة ـ إذا ما كانت السيدة بوينتون ماتت بسبب جرعة زائدة من عقار الديجيتوكسين. ولكن هذا ربما يكون متأخراً جداً حيث إن القاتل تحت أيدينا الآن ".

رفعت نادين رأسها بحدة وقالت:

" هل أنت تعنى أنك لا تزال تعتقد أن واحداً منا، هنا فى هذه الغرفة... " ثم اختفى صوتها.

لوح بوارو بيده وقال:

" الحقيقة هذا هو ما وعدت به الكولونيل كاربرى. والآن وبعد أن تناولنا كل الاحتمالات، عدنا مرة أخرى لما دونته من حقائق فى وقت مبكر من هذا اليوم، وعندئذٍ وجدت نقطتين متناقضتين تماماً ".

تحدث الكولونيل للمرة الأولى مقترحاً: " نرجو أن، نسمعها الآن؟ ".

قال بوارو بوقار: " أنا على وشك أن أخبركم، سنتناول مرة أخرى هاتين النقطتين المدونتين فى قائمتى. كانت السيدة بوينتون تتعاطى خليطاً من الديجيتوكسين، والدكتور جيرار فقد حقنة الحقن تحت الجلد. خذوا هاتين النقطتين وضعوهما مع الحقيقة التى لا يمكن إنكارها التى عرضتها، وهى أن عائلة بوينتون أظهرت ردود أفعال توحى بالشعور بالذنب ولا يمكن إغفالها، وهذا بالتأكيد يشير إلى أن واحداً من عائلة بوينتون هو الذى ارتكب الجريمة، ثم هناك هاتان النقطتان اللتان ذكرتهما وكانتا ضد هذه النظرية، فكما ترون إن أخذ جرعة مركزة من محلول الديجيتوكسين هى بالفعل فكرة رائعة، لأن السيدة بوينتون تتناول بالفعل هذا العقار. ولكن ما الذى يمكن أن يقدم عليه أى شخص من العائلة فى ذلك الحين؟ آه، حسناً، هناك فقط حل واحد معقول. وهو أن يضع السم فى زجاجة الدواء، هذا ما سيفعله أى فرد، أى

شخص لديه ولو قدر قليل من الذكاء، وأيضاً بإمكانه الوصول إلى الدواء بسهولة ".

وآجلا أو عاجلاً ستأخذ السيدة بوينتون الجرعة وتموت فى الحال. وحتى إذا اكتشف أمر الديجيتوكسين فى الزجاجة، فإن ذلك سيعزى على أنه خطأ من الصيدلى الذى صنعه. وبالتأكيد لن يمكن إثبات شيء!

لماذا، إذن يحتاج إلى سرقة الحقنة؟

هناك تفسيران فقط لذلك، إما أن الدكتور جيرار لم يبحث عن الحقنة جيداً، وأنها كانت موجودة بالفعل، وأن الحقنة لم تسرق أبداً، وربما نقول إن القاتل ليس من أفراد عائلة بوينتون. هاتان النقطتان تشيران بشدة إلى أنه يحتمل أن يكون هناك شخص خارج إطار الأسرة هو الذى ارتكب الجريمة!

اعتقدت ذلك، ولكن انتابتنى الحيرة ـ كما قلت من قبل بشأن أدلة الإدانة القوية ضد عائلة بوينتون. هل من المقبول إذن، على الرغم من أدلة الإدانة الظاهرة، أن تكون عائلة بوينتون بريئة؟ وهنا توقفت لكى أحاول إثبات ليس إدانة أفراد العائلة، وإنما براءة هؤلاء الأشخاص!

وهذا ما نقف عنده الآن. جريمة القتل ارتكبها شخص من خارج العائلة ـ بواسطة شخص لم يكن إلا صديقاً حميماً للسيدة بوينتون حتى يدخل خيمتها ويحصل على زجاجة دوائها ".

توقف، ثم قال:

" هناك ثلاثة أشخاص فى هذه الغرفة، هم عملياً من خارج العائلة، ولكن لديهم علاقة ارتباط قوية بالقضية.

السيد كوبى ـ الذى سنتعامل معه أولاً ـ ارتبط بشدة بعائلة بوينتون لبعض الوقت. هل يمكن أن نكتشف دافعاً وفرصة من جانبه لعمل ذلك؟ يبدو أنه لا يوجد. فقد أثر فيه موت السيدة بوينتون حيث أصابه بالإحباط. وإذا لم يكن دافع السيد كوبى وراء ذلك هو رغبة جامحة لإفادة الآخرين، فلن نستطيع أن نجد سبباً وراء رغبته فى التخلص من السيدة بوينتون اللهم إلا إذا كان هناك سبب لا نعلم عنه شيئاً ويعلمه هو فقط. فعلى كلٍ إننا لا نعرف شكل وكيفية تعاملات السيد كوبى مع عائلة بوينتون.

قال السيد كوبى بوقار: " يبدو هذا بالنسبة لى احتمالاً بعيداً جداً، يا سيد بوارو يجب أن تتذكر أنه لم يكن لدى أى فرصة لارتكاب هذه الجريمة.وعلى كل حال، فأنا لدى آرائى القوية حول قدسية الحياة البشرية ".

قال بوارو: " بالتأكيد موقفك خال من الأخطاء، فى العمل الروائى تكون من أكثر المشتبه فيه من أجل ذلك ".

تحرك فى مقعده وقال: " نأتى الآن إلى الآنسة كنج. الآنسة كنج لديها كمية من الدوافع، وبالتأكيد لديها معرفة طبية وهى شخص له شخصيته وتفكيره المستقل. ولكن حيث إنها تركت المخيم قبل الثالثة والنصف مع الآخرين ولم تعد حتى السادسة، فيبدو من الصعب حينئذ أن ترى أن لديها فرصة لعمل ذلك.

يجب أن ننظر إلى الدكتور جيرار الآن، يجب أن نضع فى الاعتبار هنا الوقت الفعلى الذى ارتُكبت فيه الجريمة. طبقاً لعبارة السيد لينوكس بوينتون الأخيرة، فإن والدته كانت قد توفيت بالفعل فى الساعة الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة. وطبقا للسيدة وستهولم، والآنسة بيرس فإنها كانت على قيد الحياة فى الرابعة وست عشرة دقيقة عندما شرعوا فى الذهاب خارج المخيم، وهذا يترك بالضبط عشرين دقيقة غير محسوبة. الآن، عندما اتجهت هاتان السيدتان بعيداً عن المعسكر، وقابلهما الدكتور جيرار وهو فى طريقه إلى داخل المخيم، لا يستطيع شخص أن يقول ما هى وجهة الدكتور جيرار عندما وصل للمعسكر، لأن ظهر السيدتين إلى الخيم، فقد كانتا متجهتين إلى الخارج، لذلك فإنه من المحتمل أن الدكتور جيرار قد يكون ارتكب الجريمة. ولكونه طبيباً فإنه يستطيع بسهولة أن يتظاهر بظهور الملاريا. ويجب أن أقول إنه يوجد دافع. فربما يكون الدكتور جيرار أراد أن ينقذ شخصاً (ربما تكون خسارة أكثر قيمة من خسارة حياة إنسان) فى خطر. وأنه ربما أعتقد أن التضحية بحياة امرأة عجوز والتخلص منها يستحق ذلك! ".

قال الدكتور جيرار: " إن أفكارك خيالية ".

واصل بوارو حديثه دون أن يلتفت لملاحظته.

" ولكن إذا كان ذلك هو ما حدث. لماذا يلفت الدكتور جيرار الانتباه إلى ذلك؟ كان من المؤكد أن موت السيدة بوينتون سيُعزى إلى أسباب طبيعية، ولكن طبقاً لما قاله للكولونيل كاربرى فهو كان أول من أشار إلى احتمالية وجود جريمة ".

قال بوارو: " وهذا يا أصدقائى لا يبدو منطقياً على الإطلاق ". قال الكولونيل كاربرى: " لا يبدو كذلك بالفعل ". قال بوارو: " هناك احتمال آخر، فالسيدة لينوكس بوينتون نفت بشدة احتمال أن تكون أخت زوجها هى من اقترفت ذلك، وهذا نابع من حقيقة علمها فى ذلك الوقت.

ولكن تذكروا ذلك، كانت جنفرا بوينتون فى المعسكر طوال فترة ما بعد الظهيرة. وكانت هناك فترة خروج السيدة وستهولم والآنسة بيرس من المعسكر، وأيضاً قبل عودة الدكتور جيرار إليه... ".

تحركت جنفرا، وانحنت للأمام، ونظرت إلى وجه بوارو نظرة غريبة وبريئة ومحيرة.

" أنا فعلت ذلك؟ أتعتقد أنى فعلت ذلك؟ ".

ثم فجأة، بحركة سريعة، نهضت من مقعدها واندفعت فى الغرفة وجثت على ركبتيها بجوار الدكتور جيرار وتشبثت به وهى تنظر بذهول إلى وجهه: " لا، لا، لا تدعهم يقولون ذلك! إنهم يبنون جداراً حولى مرة أخرى! هذا ليس صحيحاً! لم أفعل شيئاً أبداً! إنهم أعدائى. يريدون الزج بى إلى السجن لإسكاتى. يجب أن تساعدنى. يجب أن تساعدنى! ".

ربت الدكتور جيرار رأسها بلطف، وقال: " اهدئى، إهدئى يا طفلتى ". ثم خاطب بوارو قائلاً:

" إن ما تقوله هراء وبلا معنى ".

غمغم بوارو: " أوهام بالاضطهاد؟ ".

" نعم، لكنها لا تستطيع فعلها بهذه الطريقة، يجب أن تدرك أنها إذا فعلت ذلك فسيكون بطريقة مسرحية، بشيء يشبه الخنجر، أو بطريقة مثيرة، ليس بهذا البرود، والهدوء والتنظيم! أخبركم يا أصدقائى أنها كانت كذلك، لقد كانت جريمة، جريمة يغلب عليها حسن التقدير والتنظيم ".

ابتسم بوارو، وبخلاف المتوقع انحنى قائلاً بنعومة: " أنا مهتم بنظريتك هذه ".

الفصل 18

قال هيركيول بوارو: " هيا، لا يزال لدينا طريق صغير علينا أن نقطعه، الدكتور جيرار أثار الناحية النفسية، لذلك دعونا الآن نناقش الناحية النفسية لهذه القضية ؛ تناولنا حقائق تتبعنا فيها الترتيب الزمنى للأحداث، وسمعنا الأدلة. يبقى إذن الجانب النفسي، وأهم دليل نفسى.

لنأخذ النقطتين الثالثة والرابعة من القائمة التى أعددتها: كانت تجد سعادتها فى إبعاد عائلتها عن الاتصال بالعالم الخارجى وبأى أشخاص غرباء، والسيدة بوينتون بطلب منها عصر ذلك اليوم شجعت عائلتها على الذهاب بعيداً وتركها بمفردها.

هاتان النقطتان تناقضان بعضهما بشدة! لماذا في ذلك اليوم خاصة تقوم بعمل متناقض تام مفاجئ وعكس سياستها المعتادة؟ هل هذا بسبب أنها شعرت فجأة بتغير مشاعرها؟ هذا بدا لي من خلال ما سمعته عنها أنه غريب تماماً! إذن، يجب أن يكون هناك سبب! ماذا كان السبب؟

دعونا نتناول عن قرب شخصية السيدة بوينتون، فهناك العديد من التفسيرات لسلوكها، فقد كانت طاغية، عجوزاً صارمة، كانت ذات عقلية سادية، كانت تمثل تجسيدا للشيطان، كانت مجنونة ـ أي من هذه الآراء صحيحة؟

أعتقد أن الآنسة سارة كنج كانت الأقرب للوصول للحقيقة عندما رأت هذه السيدة العجوز كمثيرة لشفقة بشدة، كان ذلك خلال لحظة من اللحظات عندما كنا فى القدس. ولم ترها كمثيرة للشفية فقط، بل هشة وضعيفة.

دعونا الآن جميعاً نفكر فى الحالة العقلية للسيدة بوينتون. مخلوق بشري ولد ولديه قدر هائل من الطموح. لديها ميل أن تسيطر وتفرض شخصيتها على الأشخاص الآخرين. وهى لم تحاول أن تخفف من حدة ذلك النهم الشديد للسلطة والقوة، ولا أرادت أن تقهره، بل إنها أخذت تغذى تلك الرغبة الشديدة! ولكن فى النهاية استمعوا جيدا إلى هذا. في النهاية ـ ما الذى أدى إليه ذلك؟ لم تكن قوة هائلة! لم تكن بالطاغية التى يكرهها ويخافها الجميع، وإنما كانت طاغية بالنسبة لعائلة صغيرة منعزلة، وكما قال الدكتور جيرار شعرت بالملل مثل أي سيدة عجوز أخرى لديها نفس هوايتها ـ ورأت أن توسع نشاطاتها ورغبت فى المزيد من المتعة عن طريق توسيع نطاق سيطرتها وتحكمها. ولكن أدى هذا إلى شكل مختلف تماما من المسألة! بالسفر للخارج ـ أدركت

للمرة الأولى كيف كانت تافهة تماما!.

والآن نذهب مباشرة للنقطة رقم عشرة ـ الكلمات التي تحدثت بها إلى سارة كنج في القدس. فكما ترون، سارة كنج وضعت يدها على الحقيقة. فقد أوضحت تماما لنا هدف السيدة بوينتون فى الحياة أو ما كانت تسعى إليه! والآن استمعوا جيدا ـ جميعكم ـ لكلماتها الحقيقية للسيدة سارة كنج، قالت السيدة كنج إن السيدة بوينتون قالت: " بضغينة شديدة دون حتى أن تنظر لي. وهذا ما قالته بالفعل: أنا لا أنسى شيئا أبدا ـ لا موقف، ولا اسم، ولا وجه ".

وقد تركت هذه الكلمات انطباعا شديداً لدى السيدة كنج. فحدتها غير العادية والنبرة المرتفعة التي كانت تتفوه بها! كل ذلك كان غير طبيعى بالمرة، مما ترك أثراً شديداً لديها، حتى أنها فشلت أن تدرك المغزى وراء هذه الكلمات الغريبة.

هل يعرف أحد منكم؟ يبدو أن أحداً لا يعلم. لكن، شعرتم أن هذه الكلمات لم تكن إجابة معقولة على الإطلاق لما قالته السيدة كنج الآن؟ أنا لا أنسى أبدا ـ لا موقف، ولا اسم، ولا وجه: لم تكن لهذه الكلمات أى معنى! إذا قالت: أنا لا أنسى وقاحة أبدا. أو شيء من هذا النوع ـ ولكن لا وجه ـ هذا ما قالته ".

صاح بوارو وهو مشبك يديه معا: " آه، ولكن هذه الكلمات ظاهريا كانت موجهة إلى السيدة كنج ولكنها، لم تكن فى الحقيقة للسيدة كنج على الإطلاق ـ كانت موجهة إلى شخص آخر يقف خلف السيدة كنج "

توقف ـ لاحظ تعبيراتهم.

" نعم ـ تلك كانت كذلك لحظة نفسية في حياة السيدة بوينتون! كانت تعرض نفسها لسيدة صغيرة ذكية! فلم يكن لهذه الكلمات أى معنى ـ وفى تلك اللحظة أدركت شخصا ما ـ وجهًا من الماضي ـ ضحية وقعت بين يديها!

كما ترون نحن نعود محددا إلى الأشخاص الخارجيين أو الغرباء! والآن أصبح معنى التودد غير المتوقع عصر ذلك اليوم من السيدة بوينتون ـ أصبح واضحا ـ كانت تريد أن تتخلص من عائلتها. تمارس هوايتها. كان لديها ضحية أخرى تريد التلذذ بتعذيبها! كانت تريد المكان خاليا لتتقابل مع ضحية جديدة.

الآن من خلال وجهة النظر الجديدة هذه دعونا نتناول ما مر من أحداث فى عصر ذلك اليوم! ذهبت عائلة بوينتون، تجلس السيدة بوينتون بجوار خيمتها. الآن ـ دعونا ندرس بحرص شديد شهادة السيدة وستهولم والسيدة بيرس والأخيرة شاهدة عديمة الثقة ؛ فهى غافلة وسهلة التأثر جداً. والسيدة وستهولم من ناحية أخرى واضحة جدا بشأن حقائقها ولديها قوة ملاحظة شديدة. اتفقت السيدتان على حقيقة واحدة! أن هناك واحداً من الخدم اقترب من السيدة بوينتون أغضبها بطريقة ما وتراجع بسرعة ـ أقرت

السيدة وستهولم تحديدا أن الخادم دخل أولا إلى خيمة جنفرا بوينتون، ولكن كما تعلمون أن خيمة الدكتور جيرار بجوار خيمة جنفرا ومن الممكن أن هذه كانت خيمة الدكتور جيرار التي دخلها أحد هؤلاء الخدم ".

قال الكولونيل كابري: " هل تريد أن تخبرنا أن واحداً من هؤلاء البدو التابعين لي هو الذى قتل السيدة العجوز بغرز الحقنة فى معصمها؟ هذا خيالى ".

" انتظر كولونيل كابرى، فأنا لم أنته بعد ـ دعونا نتفق أن أحد الخدم خرج من خيمة الدكتور جيرار وليس من خيمة جنفرا بوينتون. ما هو الشىء التالى؟ اتفقت السيدتان على أنهما لم يستطيعا أن يتبينا وجهه بوضوح بقدر كاف للتعرف عليه وأنهما لم يسمعا ماذا كان يقول. هذا شيء يمكن فهمه، فالمسافة بين السرادق والحافة حوالي مائتي ياردة. أعطت السيدة وستهولم وصفا دقيقاً للرجل، فقد وصفت بالتفصيل ثيابه الرثة والطريقة غير المرتبة التي كانت لفافات ساقيه ملفوفة بها ".

انحنى بوارو للأمام.

" وهذا بالطبع يا أصدقائي غريب جدا! لأنها إذا كانت لم تستطع أن ترى وجهه أو تسمع ما يقول، فمن غير المنطقى أن تلاحظ حالة سرواله ولفافات ساقه! ليس من على بعد مائتى ياردة!.

كما ترون كانت هذه غلطة! وقد أوحت لى بشىء غريب. لماذا أصرت بهذه الطريقة على السراويل الرثة واللفافات غير المرتبة؟ هل هذا بسبب أن السراويل لم تكن ممزقة واللفافات كانت غير موجودة؟ رأت كل من السيدة بيرس والسيدة وستهولم الرجل. ولكن لم يكن بمقدورهما رؤية بعضهما البعض فى المكان الذى كانا يجلسان فيه، هذا واضح من خلال حقيقة أن السيدة وستهولم، ذهبت لترى إذا ما كانت السيدة بيرس ما زالت مستيقظة ووجدتها جالسة على مدخل خيمتها ".

قال الكولونيل كابرى وهو يعتدل فجأة في جلسته: " هل تريد أن تقول...؟ "

" أنا أقترح ذلك. بعدما تحققت مما كانت تفعله السيدة بيرس الشاهدة الوحيدة التي ربما كانت مستيقظة، فقد عادت السيدة وستهولم إلى خيمتها وارتدت سراويلها الرثة وحذاءها ومعطفها الكاكى. صنعت لنفسها غطاء رأس بواسطة منفضتها ذات المربعات وهكذا. ذهبت بجرأة إلى خيمة الدكتور جيرار، بحثت في خزانة دوائه، اختارت العقار المناسب وأخذت الحقنة الجلدية، وملأتها وذهبت بجرأة إلى ضحيتها.

ربما كانت السيدة بوينتون في غفوة، وكانت السيدة وستهولم سريعة، فأمسكت بمعصمها، وحقنتها بالمادة. صاحت السيدة بوينتون، حاولت النهوض، ثم سقطت للخلف. ابتعد الخادم عنها بسرعة.

لوحت السيدة بوينتون بعصاها، حاولت النهوض ـ ثم سقطت للخلف على مقعدها.

بعد خمس دقائق التحقت السيدة وستهولم بالسيدة بيرس وعلقتا على المشهد الذى رأتاه لتوهما. وحاولت أن تقنع الآنسة بيرس بما رأته من سلوك الخادم. ثم بعد ذلك ذهبتا للتريض. توقفتا تحت الكهف حيث صاحت السيدة وستهولم لأعلى نحو السيدة العجوز. ولم تتلق أي إجابة. كانت السيدة بوينتون ميتة، ولكنها وجهت حديثها للسيدة بيرس قائلة: وقح جدا أن تتعالى علينا هكذا، سلمت الآنسة بيرس بذلك، فقد جلست السيدة وستهولم مع الكثير من السيدات من أمثال السيدة بيرس، وتعرف بالضبط كيف تستطيع أن تؤثر عليهم بواسطة شخصيتها المؤثرة.

النقطة الوحيدة التى أفشلت خطتها هي إعادة الحقنة. فعودة الدكتور جيرار السريعة أفسد مخططها، أملت أنه ربما لا يلاحظ اختفاءها أو أنه ربما أهملها. وأعادتها خلال الليل ".

توقف عن الحديث للحظة.

قالت سارة: " لكن لماذا؟ لماذا تريد السيدة وستهولم أن تقتل السيدة بوينتون العجوز؟ ".

" ألم تخبريني أن السيدة وستهولم كانت قريبة منك في القدس عندما تحدثت إلى السيدة بوينتون؟ كانت كلمات السيدة بوينتون موجهة فى حقيقة الأمر إلى السيدة وستهولم عندما قالت: أنا لا أنسى شيئا أبدا ـ لا موقف ولا وجه ولا اسم. ضعي هذا مع حقيقة أن السيدة بوينتون كانت حارسة في السجن ويمكنك أن تتوصلى إلى حقيقة الأمر بسهولة، فاللورد وستهولم قابل زوجته خلال رحلة عودته من أمريكا. وكانت السيدة وستهولم قبل زواجها مذنبة وتقضى حكماً بالسجن ".

" أترون المأزق الرهيب الذي كانت فيه؟ فوظيفتها. وطموحاتها ومركزها الاجتماعي كانوا جميعا فى خطر شديد ومهددين من قبل السيدة بوينتون! ما هي الجريمة التي نفذت بسببها حكما بالسجن؟ لا نعلم حتى الآن على الرغم من أننا سنعرف قريبا. ولكن بالتأكيد هى جريمة قد تدمر منصبها السياسي إذا اكتُشفت. وتذكروا هذا، فالسيدة بوينتون لم تكن مبتزة عادية ـ فهي لا تريد المال ـ هي تريد التمتع بتعذيب ضحيتها لفترة ثم تستمتع بعد ذلك بإفشاء الحقيقة بأكثر الأساليب إثارة. فإذا ظلت السيدة بوينتون على قيد الحياة فإن السيدة وستهولم بالتالى ليست بأمان. أطاعت تعليمات السيدة بوينتون لمقابلتها في البتراء. لقد فكرت طويلا كم يبدو هذا غريبا أن تسافر امرأة في مثل أهمية السيدة وستهولم كمجرد سائحة. ولكن في عقلها كانت بلا شك تفكر في طرق ووسائل للتخلص منها، ونفذت جريمتها بجرأة.

وقد قعت فى خطأين فقط. الأول هو أنها قد تحدثت طويلاً عن وصف السراويل

الرثة والتي كانت أول شيء لفت انتباهي إليها، والثانى عندما أخطأت خيمة الدكتور جيرار ذهبت إلى الخيمة التي كانت فيها جنفرا نصف نائمة. ثم بعد ذلك قصة الفتاة بشأن الشيخ المتنكر. لقد أخطأت فهم ما حدث، وقد حاولت أن تشوه تلك الحقيقة بوضعها فى صورة مؤثرة ولكنى استطعت فهم معنى ما حدث ".

توقف عن الحديث.

ثم أردف قائلاً: " ولكننا سنعرف قريبا، فقد حصلت اليوم على بصمات أصابع السيدة وستهولم بدون أن تدرك، فإذا أرسلتها إلى السجن الذى سُجنت فيه وكانت تعمل به السيدة بوينتون، فإننا سنعرف الحقيقة قريباً عندما تقارن بالملفات ".

توقف عن الحديث.

وأثناء ذلك، سمع صوتا حاداً.

سأل الدكتور جيرار: " ما هذا؟ ".

قال الكولونيل كابري وهو ينهض بسرعة: " يبدو بالنسبة لي كصوت طلقة في الغرفة المجاورة. من الذى يقطن هذه الغرفة بالمناسبة؟ ".

غمغم بوارو: " إنها ـ إنها غرفة السيدة وستهولم... ".

الخاتمة

مقتبسة من صحيفة المساء.

نأسف لإعلان خبر وفاة السيدة وستهولم عضو البرلمان، نتيجة لحادث مأساوى، فالسيدة وستهولم كانت مغرمة بالسفر إلى بلاد بعيدة وكانت تأخذ مسدسها الصغير معها دائما، كانت تنظفه عندما خرجت إحدى الطلقات، وأودت بحياتها على الفور.

بعد مرور خمس سنوات وفى إحدى ليالى شهر يونيو الدافئة جلست سارة بوينتون وزوجها فى أحد أكشاك مسرح لندن.

كانا يشاهدان مسرحية هاملت، أمسكت سارة بذراع ريموند بينما كانت تتدفق كلمات أوفيليا مع أضواء المسرح.

كيف أعرف حبك الحقيقى

أمن شخص آخر؟

بواسطة قبعته من الصخور البحرية وعصاه، وصنادله.

لقد مات ورحل يا سيدتى

لقد مات ورحل

على رأسه بعض من العشب الأخضر.

وعلى قدميه حجارة.

أوه ـ أووه!.

شعرت سارة بالسعادة، هذا الجمال الرائع وهذه الابتسامة الملائكية الجميلة لفتاة خلفت وراءها العديد من المشاكل، وقدراً هائلاً من الأسى والحزن حيث أصبح ما كانت تصبو إليه حقيقة...

قالت سارة لنفسها: إنها جميلة.....

هذا الصوت الغنائى كانت نبرته دائماً جميلة ولكنه الآن منضبط ومنظم على الآلات الصحيحة.

حدثت سارة نفسها بينما أسدلت الستارة فى نهاية الفصل: جنفرا ممثلة رائعة، رائعة، رائعة. ممثلة رائعة.

بعد ذلك جلسوا حول مائدة طعام فى سافوى، ابتسمت جنفرا من بعيد والتفتت إلى الرجل ذى اللحية بجانبها.

" كنت جيدة، أليس كذلك جيرار؟ ".

" كنت رائعة يا عزيزتى ".

تراقصت على شفتيها ابتسامة سعيدة.

غمغمت: " أنت تثق فى قدراتى دائماً. تعلم دائماً أننى أستطيع أن أفعل أشياء عظيمة ".

قالت نادين التى تجلس أمام جنفرا: " كم هذا مثير أن أكون هنا فى لندن مع جينى وهى تمثل دور أوفيليا وقد أصبحت ذات شهرة واسعة ".

قالت جنفرا بنعومة: " كم هو لطيف منك أن تأتى إلى هنا ".

قالت نادين: " حفلة عائلية رائعة ". ابتسمت وهى تنظر حولها ثم قالت لزوجها لينوكس: " أعتقد أن الأطفال يمكنهم أن يشاهدوا حفلة المساء، لقد أصبحوا فى سن مناسبة، وهم يريدون أن يشاهدوا العمة جينى على المسرح! ".

قام لينوكس الذى بدت عليه أمارات السعادة الزوجية بتحية المتزوجين حديثا، السيد والسيدة كوبى.

رد كل من كارول، وجيفرسون كوبى تحيته.

قالت كارول وهى تبتسم: " أيها القروى الخائن جيف! من الأفضل لك أن تشرب نخب حبك الأول الذى يجلس أمامك مباشرة ".

قال ريموند بشكل مرح: " احمر وجه جيف. فهو لا يحب أن يتذكر الأيام الخوالى ".

فجأة تغيرت ملامح وجهه.

لمست سارة يده بيدها. فنظر إليها بابتسامة عريضة.

كان يبدو كحلم سيئ!

وقف شخص أنيق بجوار مائدتهم، لقد كان هيركيول بوارو مرتدياً زياً أنيقاً، كان شاربه ملتفاً وانحنى بشكل رسمى.

قال لجنفرا: " تهانئى يا آنستى. كنت رائعة! ". قاموا بتحيته فى حرارة، وأخلو له مكانًا بجور سارة.

توجه لهم بالتحية وعندما تحدثوا جميعا انحنى جانبا قليلا وقال بنعومة لسارة:

" جيد، يبدو أن الأمور تسير بشكل جيد مع عائلة بوينتون! " قالت سارة: " شكراً لك ".

" لقد أصبح زوجك بارزاً الآن، لقد قرأت اليوم استعراضًا لكتابه الأخير ".

" إنه كذلك بالفعل! أتعلم أن كارول وجيفرسون كوبى ارتبطا أخيراً؟ ولينوكس ونادين أنجبا طفلين رائعين. وبالنسبة لجينى، أعتقد أن جينى عبقرية ".

نظرت عبر المائدة إلى الوجه الجميل والتاج المتوج من الشعر الأحمر الذهبى.

للحظات كان وجهها متجهما. رفعت كأس العصير ببطء إلى شفتيها.

سأل بوارو: " هل شربت نخبا يا سيدتى؟ "

قالت سارة ببطء:

" لقد تذكرتها فجأة. فعندما نظرت إلى جينى رأيت لأول مرة ـ التشابه بينهما. ولكن جينى الآن تواجه الحياة، النور، أما الأخرى فكانت تختفى فى الظلام... ".

وقالت جنفرا على خلاف المتوقع: " أمى المسكينة... كانت غريبة.... الآن ونحن جميعا سعداء أشعر بنوع من الأسف تجاهها. لم تحصل على ما كانت تريده من الحياة. يبدو أن هذا كان قاسيا بالنسبة لها ".

وبدون توقف اهتز صوتها بنعومة إلى سطور من مسرحية " سيمبلين " بينما استمع الآخرون وهم مسحورون بالموسيقى المنبعثة منها.

لا تخافى من لهيب الشمس

ولا برد الشتاء الغاضب.

فلقد بذلت كل ما تستطيعين.

ورغم ذلك فقد تهدم البيت، وضاعت جهودك سدى.

جدول المحتويات

الجزء الأول
الفصل 1
الفصل 2
الفصل 3
الفصل 4
الفصل 5
الفصل 6
الفصل 7
الفصل 8
الفصل 9
الفصل 10
الفصل 11
الفصل 12
الجزء الثاني
الفصل 1
الفصل 2
الفصل 3
الفصل 4
الفصل 5
الفصل 6
الفصل 7
الفصل 8
الفصل 9
الفصل 10
الفصل 11
الفصل 12
الفصل 13
الفصل 14
الفصل 15
الفصل 16
الفصل 17
الفصل 18

الخاتمة